السنة الأولى　(المحرم ١٣٥٤ — ابريل ١٩٣٥)　العدد الرابع

صحيفة دار العلوم

مجلة الأدب واللغة والتربية والاجتماع

تصدرها «جماعة دار العلوم»
كل ثلاثة أشهر

قررت وزارة المعارف ومجالس المديريات «صحيفة دار العلوم» في جميع مدارسها

المدير　　　　رئيس التحرير
ابو الفتح الفقى　　　　محمد على مصطفى

المراسلات تكون باسم مساعد التحرير
محمد مهدى علام
نادى دار العلوم
١١٤ شارع عماد الدين. القاهرة

الاشتراك السنوى

فى القطر المصرى	لغير الطلبة	....	٢٠ قرشا
	للطلبة	....	١٢ «
	لمدرسى المدارس الأولية	....	١٢ «
خارج القطر		....	٥ شلنات انجليزية
ثمن العدد		....	٥ قروش

المطبعة الرحمانية بمصر
بالخرنفش رقم ٣٥ تليفون ٥١٥٢٢

إِنَّ بَاحِثًا مُدَقِّقًا لَوْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ أَيْنَ تَمُوتُ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ وَأَيْنَ تَحْيَا، لَوَجَدَهَا تَمُوتُ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَتَحْيَا فِي دَارِ الْعُلُومِ"

الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

أعضاء لجنة الصحيفة

حضرات الأساتذة

(١) السباعى السباعى بيومى	المدرس بدار العلوم
(٢) حامد عبد القادر	وكيل كلية أصول الدين
(٣) زكى المهندس	المدرس بدار العلوم
(٤) صالح هاشم عطيه	وكيل كلية اللغة العربية
(٥) طه احمد ابراهيم	المدرس بكلية الآداب
(٦) عبد الحميد حسن	المفتش بوزارة المعارف
(٧) عبد الرحيم محمود	المدرس بالمدرسة التوفيقية الثانوية
(٨) عبد المغنى المنشاوى	المدرس بدار العلوم
(٩) عبد الوهاب حمودة	المدرس بكلية الحقوق
(١٠) على عبد الواحد	المدرس بدار العلوم
(١١) محمد عطية الابراشى	المفتش بوزارة المعارف
(١٢) محمد على مصطفى	المفتش بوزارة المعارف (رئيس التحرير)
(١٣) محمد مهدى علام	عضو المكتب الفنى بوزارة المعارف (مساعد التحرير)
(١٤) محمد هاشم عطيه	المدرس بدار العلوم
(١٥) محمود محمد مصطفى	المدرس بكلية اللغة العربية
(١٦) مصطفى السقا	المحرر بالمجمع اللغوى الملكى

معاونو مساعد التحرير

(١) ابراهيم الابيارى	المحرر بالقسم الأدبى بدار الكتب المصرية
(٢) عبد الحفيظ شلبى	» » » » » »
(٣) عبد الخالق عبد المجيد عطيه	بوزارة الحربية والبحرية

كلمة الأستاذ أبى الفتح الفقى

رئيس جماعة دار العلوم فى افتتاح موسم المحاضرات

سادتى : سرور عظيم يملأ نفسى ، وينبعث من سويداء قلبى بافتتاح محاضرات جماعة دار العلوم . وشرف كبير لى فى نيابتى عن أعضاء الجماعة فى شكر حضراتكم جميعاً على تشريف دارنا ، والاستماع لمحاضرتنا .

لقد دعونا معالى الوزير النبيل ليشرفنا بحضوره فقابل دعوتنا بالعطف والتقدير ، واعتذر آسفا لارتباطه بموعد آخر قبل الدعوة ، فاغتبطنا بعطفه وأسفنا لغيابه .

سادتى : ليست فكرة إلقاء محاضرات الجماعة بمدرج دار العلوم وليدة اليوم ، بل هى قرار من قررات الجماعة منذ تكوينها والشروع فى إنشاء نادينا ، قصدنا بها ألا ننسى واجبنا لهذه الدار صاحبة الفضل فى تكويننا ومصدر ثقافتنا ، تلك الدار التى قضينا بين رحباتها زهرة شبابنا ، وانتهلنا من مناهلها العذبة خير العلوم وأشرفها ، علوم الدين القويم ، والعربية الفصحى لغة التنزيل الحكيم ، وعلوم التربية الصحيحة التى لا يستقيم بدونها تعليم ولا ينتج بغيرها تهذيب ولا تكوين . رأينا وفاء لهذه الأم الرائم ألا نقطع صلتنا بها ، فقررنا أن نلقى محاضراتنا بها . وأنها لبداءة موفقة ، وافتتاح ميمون ، إذ يفتتح محاضراتنا أحدث أبنائنا تخرجا من جامعات أوربة ولم يمض على قدومه إلى وطنه المفدى إلا أيام معدودات . وكان أول عمل له فى وطنه أن يحيى أمه هذه التحية العطرة ، وأن يقدم لها ثمرة من ثمار جده اليانعة . وهذا هو المثل الأعلى للوفاء . أردنا بهذا أيضا أن نعرب عما تكنه نفوسنا من أننا نعتز

بشبابنا اعتزازنا بشيوخنا ، وأن نترجم عما تضمره قلوبنا من أن تقديرنا لأبنائنا لا يقل عن تقديرنا لأساتذتنا .

سادتى : لقد افتت على وقتكم ، وطغيت على وقت المحاضر ، فعذرا لكم ، وصفحا يابنى .

أما محاضرنا فهو الدكتور إبراهيم مدكور ، الذى تخرج فى هذه الدار سنة ١٩٢٧ ، ثم عين مدرساً بمدارس القاهرة الابتدائية ، ثم نقل إلى إدفو فى ظروف قاسية ، فأبت نفسه الكريمة الإقامة على الضيم ، فسافر من إدفو إلى باريس على نفقته الخاصة ، ثم عين عضواً فى البعثة الحكومية بفرنسا ، فجد وثابر على جده ـ شأن أبناء هذه الدار ـ حتى نال خمس دبلومات عالية فى المنطق ، والفلسفة ، والاجتماع ، والأخلاق ، والاقتصاد ، والتربية وعلم النفس ، وليسانس فى الآداب .

لم تقف همته الوثابة عند هذا الحد ، بل ثابر على جهوده الموفقة حتى حصل أيضا على دكتوراه الدولة فى الآداب بدرجة التفوق الممتازة . وقدم للحصول عليها رسالتين (١) أرجانو أرسطو فى العالم العربى . (٢) منزلة الفارابى فى المدرسة الفلسفية الإسلامية .

ولكن إرادة الشباب المثقف وعزيمة الفتاء الصادقة بعثتا فيه الطموح إلى ماهو فوق هذا فحصل على ليسانس الحقوق من جامعة باريس .

سادتى : لا يفوتنى فى هذا الموقف كما لم يفتنا فى كل موقف أن نقدم أجزل الشكران ، وأطيب الثناء لحضرة صاحب العزة صديقنا الجليل الأستاذ أحمد عاصم بك رب دارنا ، الذى بذل كل جهد محمود فى خدمة جماعتنا . وأوسع صدره كما أوسع لنا داره . فجزاه الله والعلم والوطن عنا وعن دارنا خير الجزاء . والسلام عليكم ورحمة الله .

من مكتب التحرير

بقلم محمد علي مصطفى

المفتش بوزارة المعارف ورئيس تحرير الصحيفة

ليست الصحيفة فى حاجة إلى تقديم ، ولـكن يحلو لى ان أقدمها ، فإن دافعا أحس به وأشعر بقوته ، يحرك من قلمى، ويمهد صفحة القرطاس أمامى ، ويوحى إلى الأفكار فيرسلها تباعا ، فى مثل انبلاج الفجر، وأنفاس الزهر ، ونسيم السحر ،وروعة الضحى .

ما هذا الذى أحس به ؟ لقد حرت فى أمره زمنا ثم عرفته . عرفته عرفته حقا ، فهو الشعور بالأمـل الحلو المرتقب يتحقق فى أقرب مما كنا ننتظر .

قطعت الصحيفة عامها الأول — والعام من العمر قصير — ولـكنها تجاوزت فيـه مهد الطفولة ، ودرجت فى مدارج الفتاء ، وفتح الله لها فتحاً مبينا ، وأيدها بروح من عنده . واتسع أمامها المجال ، فشرّقت وغرّبت ، وأتهمت وأنجدت ، وحملت معها إلى كل مكان نزلت به هديا شاملا ، وحجة دامغة ، ونورا ساطعا ، ملأ الأفق ، وبهر الأبصار .

هذا هو العدد الرابع من صحيفة دار العلوم ، تختم به عامها الأول ، وقد كان عاما طيبا مباركا ، اضطرد لنا فيه التقدم ، وجرى معنا التوفيق . فتنوعت موضوعاتها ، وتناولت بحوثها المسائل المختلفة ، وشملت القديم والجديد من نزعات الأدب ، وعنيت بالإصلاح فى كثير من نواحى الحياة . وتفضل بالـكتابة فيها أساتذتنا الأجلاء ، وشيوخنا الأماجد ،

وعلماؤنا المحققون ، من أبناء دار العلوم ، وسواهم من رجالات الأدب وزعماء الحركة الفكرية فى مصر والبلاد الشرقية .

وآزرنا الشبان فى إصدارها بأفكارهم ، فدبجوا المقالات الممتعة ، وجرت يراعهم بروائع الأدب ، من شعر يأخذ بمجامع القلب ، ونثر يستولى على النفس . وفاض نشاطهم فمهدوا لصحيفتهم الطرق ، ونشروها فى الملإ . وعرف الناس جميعا قدرها ، حتى صارت ذخرا لا غنى عنه لأحد من أصحاب الزعامة الفكرية والأدبية .

واشتركت فيها وزارة المعارف منذ صدر العدد الأول ، وجرى على سنتها مجالس المديريات ، وكثير من معاهد العلم ، فى مصر وغيرها من بلاد العالم . وتسابق الطلاب إلى ورد مناهلها الصافية . وكان لنا من هذا الإقبال العظيم ، الذى تجاوز ما كنا نقدره ، أكبر باعث على مضاعفة العمل وبذل الجهود فى سبيل رقيها ، واضطراد التحسين فيها ، وإصدار أعدادها فى ثياب جديدة خلابة . وسنسير بمعونة الله ، وفضل إخواننا ومؤازرتهم لنا ، فى الطريق التى رسمناها لأنفسنا ، حتى نصل إلى منزلة من الكمال تغتبط بها النفوس . والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ؟

بحوث فى الأدب

اللغة العربية بين القديم والحديث

قصيدة الأستاذ على الجارم

المفتش بوزارة المعارف وعضو المجمع اللغوى الملكى (١)

ذِكرياتٌ ردَّد الدهرُ صَدَاها   وعهودٌ يحسُدُ المسكُ شذاها
وَصَلَ العُرب الغَطاريفُ إلى   غايةٍ لا تبلغ الطيرُ ذُراها
وجَرَوْا صَوْب العلا فى طَلَق   زاحم الأنجمَ واجتاز مداها
تقفُ الأوهام حَسْرى دونه   لاهثاتٍ قَصَّر الأيْنُ خُطاها
مرَّ بالشمس فلم تشعر به   إذ جرى ، إلاّ ظنونا واشتباها

✡ ✡ ✡

أُمَّةُ الصحراء أقوى جلَدا   من مهاريها وأهدى من قَطَاها
صخرها أوحى إليها عَزْمةً   من بنى رَضْوى وثهْلان بناها
وسُكونُ البيدِ فى رَهْبتها   جرَّد الروح وبالنور كساها
ربَّ صدر نافس الحلمُ به   كلَّ صحراء بعيدٍ منتهاها
وخلال أنبت الجدْبُ بها   عزَّة اليأس فما لانتْ قَناها
أبَتِ الضيمَ فما مدت يدا   لذوى النُّعْمى ولم تعفر جِباها
تحفظ العِرْضَ مَصُونا ناصعا   وإلى الطُّرَّاق مبذولٌ قِرَاها

---

(١) ألقيت فى حفل افتتاح الدورة الثانية للمجمع يوم الاثنين ١٤ ذى القعدة سنة ١٣٥٣ — ١٨ فبراير سنة ١٩٣٥

أمم إن يهلكِ المـــالُ فإن   لُـمِست أعراضُها حَلَّـتْ حُبَاها
رددتْ أشعارَها شمسُ الضحى   وسراجُ الليلِ لما أن تلاها
آية من نفحة الله ، فلو   كان للنسيان كفٌّ ما محاها
روضة قـد لقبوها كَلِماً   تُخجل الحسنَ إذا الحسن رآها
كم حكيم أُوتِيَ الحكمَ فتًى ،   وفتاةٍ ملأ التِّبيانُ فاها
ترسل الأمثالَ تَسْرِى شُرداً   لا تبالى أينما كان سُراها

☆☆☆

قف على الأطلال واذكر أمة   خلّد الأطلالَ مأثورُ بكاها
بعث الله بهـا نورَ الهـدى   من قريش ، فاصطفاه واصطفاها
أشرق الصبحُ على الدنيا به   بعـد أن طال على الدنيا دُجاها
وجرى فى الأرض ينبوعَ هُدًى   بعـد أن حرّقَها حرٌّ صَداها
قلّد الفصحى حُلىً قدسيةً   فزهاها من حـــلاها مازهاها
وبيانا هاشميا ، لو رمى   قلَلَ الأجبال لانْهَدّتْ قواها
أسهمٌ من كَلِمٍ مسنونة   جاهدت فى الله ، والله براها
كلمـا صاح بهـا فى طيبة   مستثيرا ، ردّدَتْهـا لا بتاها
يزعم الشعرُ سَفَاهًا أنه   لو عفت عنه القوافى لحكاها
نزل القرآن بالضاد ، فلو   لم يكن فيها سواه لكفاها
حسبُها أن صوّرتْ من آيه   معجزاتٍ عظمت أن تتناهى

☆☆☆

وبنو مروان ، لله همُ   عدة الفصحى وحراسُ حماها
رب مأثورٍ لهـم ودّ له   صدفُ اللؤلؤ لو كان شِفاها

خُطَبٌ هزَّ لها منبرهم يقذف الهولَ دِرَاكاً مَن رماها
وقَوافٍ سلْ « أبا حَزْرَتِها » وسل « الأخطل » كيف ابتدعاها

* * *

طفْ ببغدادَ وسَل آثارها أى سر كتمته شفتاها ؟
كل رسم قد وعى نادرة لو جرى النطق عليه لحكاها
مشت الدنيا إليها تتَّقى سخطَ بغدادَ وتستجدى رضاها
وأبو المأمون فى مملكة يتحدى المزن أن تعدو قُراها (١)
بَلغتْ بنتُ قريش ذِروةً ببنى العباس صعباً مرتقاها
بين شعر كأزاهير الرُّبا عكف الغيث عليها فسقاها
هو دَلٌّ رددته قَيْنَةٌ وهو وجد فاض من نفس فتاها
وعلوم ترجمت واستنبطت وفصول بهر الدنيا حجاها
آبدات القول ولّت بعدهم طيّب الله ثراهم وثراها
يا بنى العباس فى مصرعكم عظة الكون ، وعاها من وعاها
أُطفِئ النور ، ودالت دولة وطوى الدهر المنى حين طواها

* * *

شد « هُولاَكو » على أرباضها شدة الذؤبان أبصرن شياها
وجرى من حوله عِقْبانه كلما أطعمها هاج ضَرَاها
لَهفَ نفسى بنتُ عدنان هوت وأُسود الغيل قد دِيسَ شَراها

(١) نعتقد أن الشاعر يلمح إلى الحادثة المعروفة من أن الرشيد رأى سحابة تكاد تمطر فلم تمطر ، فقال لها : « أمطرى حيث شئت يأتنى خراجك . » يقصد أنها لن يسقط مطرها إلا فى حدود مملكته . وهو تعبير شبيه بتعبير المؤرخين المحدثين عن العاهلية البريطانية بأنها : لاتغيب عنها الشمس « صحيفة دار العلوم »

سائلوا « دِجْلَةَ » عما راعها ، أو دعوها ، فكفاها ما دهاها
قذف الكتبَ بها طاغيةٌ هل درى ما كنزته دَفّتاها ؟
فتأمل إذ جرى آذِيُّها : أترى فيه عقولا أم مياها ؟
ذهب العسف بآثار النهى . كيف تحيا أمة ضاعت نُهاها ؟
طارت الفصحى بمصر تبتغى ناعم العيش خصيبا فى ذَرَاها
بقيت فيها تلاقى شظفا فى أحايين ، وفى حين رَفَاها
ثم هبت حولها عاصفة خلَط الذعرُ ضُحاها بمَسَاها
وإذا نجم بدا مؤتلق شَخَصت نحو سَناه مقلتاها
وإذا منقذ مصر ماثل وإذا مصرُ وقد شدّتْ عراها
وإذا العلم يدَوّى صوته وإذا الضاد أضاءت صفحتاها
ظفِرت بالعبقرىّ المرتجَى فاستجابت للعلا لما دعاها
دولة العلم به رُدّتْ إلى عرش مصرٍ بعد أن طال نَوَاها

* * *

من كإسماعيل فى آلائه ينفَدُ القول ولا يَفنى جداها
زُهِيَتْ مصر جمالا وسنا بأبى الأشبال واهتزت رُبَاها
تَخجل السحب إذا ما وازنت مرة بين نداه ونداها
غرس العلم بمصرٍ دوحةً كلما أخْضَلَها طاب جناها
سَمتِ الآداب والدنيا به وبدت تخطر فى أزهى حِلاها
يا ابن إسماعيل ، يا ذخر النُّهى جددت مصر بكم عهد صِباها
كلُّ أشتات الندى إن فرّقتْ فإلى باب « فؤاد » ملتقاها
همة شادت بمصرٍ دولةً صانها الانصافُ ، والعلم وقاها

مسحت مصر به عين الكرى / بعد أن طال على مصر كراها
وتَثَبَّتْ وثبتها دائبة / كلما أجهدها السعيُ زجاها
أينما أبصرت تلقَى نهضة / — تملأ العين — وإقبالاً، وجاها
وقصورا لامعات كالضحى / ردّدَ العرفان فى مصر صداها
يا نصير العلم فى مملكة / بلغت بالعلم غاياتِ مناها
كل يوم لك حفل للعلا / وأياد تبهر الدنيا لُهاها
وجدت بنت قريش موئلا / فى ذرا الملك وحصنا من عداها
لغة القرآن تزهى شرفا / أن حامى الدين والملك حماها
حكمة المأمون عادت دارُها / بابن إسماعيل من بعد بلاها
« مجمع الفصحى » تجلى مشرقا / فى سماء المجد مجتازا سُهاها
هو فى مصر منار، كلما / أرسل الأضواء فى مصر هداها
رأت « البصرة » فيه حفلها / ورأت « بغداد » فيه منتداها
مَنْ رسولى لأعاريب اللوَى؟ / أين أعراب اللوى؟ أين لواها؟
أنّ مصرا بعثت آدابها / وأبا الفاروق قد أحيا لغاها
وبنى اليوم عكاظا ثانيا / تاه إعجابا به الدهر وباهى
هل حبا الآدابَ تاج مثلما / صاحب التاج بمصر قد حباها
أنهض التأليف من كبوته / فسقى الأحلام رشدا وغذاها
كم كتابٍ دوّنت أخبارُه / مِنَناً كان فؤاد مبتداها
رحلَ الأعلامُ فى الغرب إلى / سُدّة يسطع بالعلم سناها
فرأوا مملكة وثّابة / ومليكا بهُدَى الله رعاها
دُمْ « فؤاد » القطر، تحيا أمة / لم يكن إلاك يوما مرتجاها
وسما « الفاروقُ » نجما ساطعا / لبنى مصر وعنوانَ علاها

ذو الرُّمَّـــة

بقلم الأستاذ الجليل الشيخ أحمد الإسكندري

عضو المكتب الفنى بوزارة المعارف ، وعضو المجمع اللغوي الملكي

« ليس فى القطر المصرى ، ولا فى العالم العربى من يجهل « شيخ دار العلوم » . فليس فى هؤلاء جميعا من لم يتتلمذ على الأستاذ أو على كتبه . وحسب الأستاذ فخراً أن يكون جميع من خرجتهم « دار العلوم » فى مدى ربع قرن ممن تثقفوا على يديه ثقافة عربية صحيحة . أما كتبه ومقالاته وبحوثه فحدث عن الجاحظ وابن العميد ، ولك أن تزيد . وأما أثره فى المجمع اللغوى الملكى فحسبنا فى التعريف به مجلة المجمع التى تشهد صفحاتها بجهد الفتاء ، وحكمة الشيوخ . وستنشر « صحيفة دار العلوم » فى الأعداد المقبلة بعض بحوث الأستاذ التى لم تنشر من قبل مما هو مخطوط محفوظ فى مكتبة شيخنا العالم الدءوب . »

ذو الرمة : هو ابو الحارث ، غَيْلان ، ذو الرُّمَّـة بن عُقْبة العَدَوى المَلَكانى . وقومه مَلَـكان بن عدى بن عبد مَناة من قبائل مضر ، كانت تنزل جنوبى نجد . فولد ذو الرمة فى باديتهم حوالى سنة ٧٧ هـ . ونشأ بينهم نشأة أبناء الأعراب ، ولم يرد فى أخباره ذكر لأبيه ، فلعله مات وهو صغير ، وربته أمه وعمه وإخوة له ، فخرج أعرابيا جَلْدا على الرحلة والأسفار منذ شب ، فصيح اللسان ، عذب الحديث ، حاضر الذهن ، سريع الجواب . فانه لفى بعض أسفاره مع بعض أبناء عمومته وإخوته إذ اجتازوا بحىّ من أحياء بنى مِنقر من تميم ، وقد أجهدهم العطش ، فأرسلوه يستسقى لهم من بيت عاصم بن طلبة بن قيس بن عاصم المِنقرى . فخرجت له بالماء ابنته ميّة ، وكانت بارعة فى الجمال ، فبهره حسنها . وكان على

كتفه رُمّة (اى قطعة حبل بالية) فقالت له : اشرب ياذا الرمة ، لقد كافك أهلك السفر على ما أرى من صغرك وحداثة سنك . فلقب من يومئذ بذى الرمة . فرجع وهو مفتون بها ، وأنشد فيها أول شعر قاله . ثم مكث يهيم بها ويشبب بها فى شعره عشرين سنة ، يلم فيها بديار قومها ومرابعهم التى ينزلونها ، عله يتغفل رجال الحى ويتحين خروجهم فى أمر من الأمور فيقف قليلا يكلمها ثم ينصرف . وربما جلس على باب بيتها واجتمع عليه جاراتها فسمعن شعره فى نزاهة وتصون ؛ وإذا أحس قدوم الرجال ركب راحلته النجيبة صَيْدَحَ حتى عرفوا آثاره وآثارها ، وخافهم على نفسه ، وصار يستعير ناقة غيره ويزورها مسلماً منشداً .

واحتال مرة أن يراها فتضيَّف زوجها ظانا أنه لا يعرفه ، فعرفه وأنزله فى العراء خارج البيت وبعث له بالقِرى ، فجاش صدره بشعر هتف فيه باسمها ، فأكرهها زوجها على أن تسبه من وراء الخباء ، فركب راحلته من وقته وانصرف مغضبا ، وعزم على أن يعدل عن حبها وألا يذكرها فى شعره . فبينا هو فى بعض أسفاره مارّ بفَلْج (وهو منزل على طريق الحاج من البصرة إلى الحجاز) عطف على أهل بيت من بنى البَكّاء ابن عامر ليخرزوا له سقاء له خُرق ، فخرجت له امرأة جميلة ، فسألها أن تخرز له سقاءه ، فقالت : والله ما أُحسنُ ذلك ، وإنى لخرقاء (والخرقاء عندهم هى التى لا تعمل بيدها شيئا لكرامتها على قومها) فسماها من وقتئذ خرقاء ، وشبب بها فى بضعة قصائد ، وهتف بها فى شعره بضع سنوات على غير محبة مكايدة لمىّ ، ولم يطل بعدها عمره .

ولم يكن حب ذى الرمة لمىّ ليبلغ به حد الوله والتدله ويقعد به عن الرزق والتكسب بالشعر ، فكثيرا ما كان يفد البصرة والكوفة ويقيم بكل منهما مدة يمدح ولاة بنى أمية وأشراف العرب ؛ وإذا قصرت به النفقة

تطفل وحضر ولائم الأعراس بلا دعوة .

وأكثر مدائحه كانت فى بلال بن أبى بُرْدة بن أبى موسى الأشعرى مدة ولايته على البصرة .

وأدرك جريرا والفرزدق . وهو شاب وهما شيخان . فكانا يكبرانه ويعترفان له بتقدمه فى بعض أبواب الشعر . واتهمه جرير بممالأة الفرزدق عليه . وكان ذو الرمة يهاجى رَجّازا يسمى هشاما ، فأمد جرير هشاما على ذى الرمة بأبيات أفحمت ذا الرمة ، وعرف أنها لجرير فذهب إليه وتبرأ من ممالأة الفرزدق عليه ، فقبل اعتذاره وأعانه على هشام .

وكان ذو الرمة يلم بالقراءة والكتابة ويكتم ذلك . روى بعضهم أنه كان يكتب له شيئا فقال له : ارفع هذا الحرف ؛ فقال له : أتكتب ؟ فأشار بيده على فيه أن اكتم علىّ . وقال : إنه عندنا عيب . أى لأنفةِ البداة من الصناعات ، والكتابةُ منها .

واعتل ذو الرمة بالبادية وطالت علته ، واحتاج فرأى فى نفسه خفة ، فخرج ينتجع بنى مروان ، فانتقضت علته فى الطريق ، فمات وهو ينشد :

يامخرج الروح من جسمى إذا احتُضرت
وفارج الكرب زحزحنى عن النار

ودفن برأس كثيب من كثبان حُزْوَى من رمال الدهناء ، وكان يذكره فى شعره سنة ١١٧ هـ فى خلافة هشام

وكان ذو الرمة حلو العينين ، حسن النغمة ، طيب الحديث ، دينا عفيفا ، قليل الفحش فى هجائه ، حسن الصلاة ، شديد الخشوع فيها . متسننا فى قوله وعمله ، ينشد الشعر فإذا فرغ قال : والله لأكْسَعَنَّكَ (١) بشىء ليس فى حسابك : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

(١) أى لأضربنك باستغفار يمحوك . وكسعه وسكعه بمعنى .

شـــعره

كان ذو الرمة وإخوته شعراء ، ولكنه اشتهر دونهم لحبه ميّة ؛ وأخبارُه معها وأخبار العشاق من أعجب الأحاديث للشبان والشواب ، فحفظوا شعره وغنى به القيان والمغنون ، وتناقله الرواة ، وأعجب علماء اللغة غريبه ففضلوه على كثير من شعراء زمانه ، حتى كادوا يفضلونه على جرير وأمثاله من الفحول . ورَأْى أبى عمرو بن العلاء أن قد ختم به الشعر الفصيح ، وأنه آخر من ذهب مذاهب العرب القدماء فى شعره .

وكان ذو الرمة فى صغره راوية للراعى النُّمَيْرى ، وهو شاعر فحل هاجى جريرا فأسقطه جرير فى بائيته المشهورة التى يقول له فيها :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

ثم فارق ذو الرمة أستاذه الراعى .

ولو لم يُحْتَضَر ذو الرمة وهو فى سن الأربعين ، وعُمِّرَ عُمْرَ الفرزدق أو جرير ، لكان له فى الشعر شأن غير ما نراه عليه اليوم . ومع أنه مات صغيرا ترك ديوانا من الشعر لا يقل عن ديوان كل منهما .

ورأى الشعراء والأدباء من أهل عصره وصدر الدولة العباسية فى شعره أن منه الجيد الذى لا يدرك شأوَه فيه جرير ولا الفرزدق ، ومنه الردئ الساقط ، وهو كثير بحيث لم يبلغ به مبلغ غاية الفحول فجاء بعدهم .

أغراض شعره وفنونه

وتعرض ذو الرمة فى شعره لجملة فنون من الشعر أهمها النسيب ، ووصف الفيافى والرمال ، ونعت الدمن والأطلال والبكاء عليها ، وآثار الأبل والوحش والطير فيها ، والمدح ، والهجاء .

فأما النسيب والتشبيب فهو أنفس بضاعته وأروجها عند الناس وأسيرها شيوعا .

وقد سلك به مسلك القدماء فى الجاهلية. فلم يتهالك فيه تهالك جميل وقيس بن ذَريح، ولم يتصنعه تصنع كُثَيِّر، ولم يتأنث فيه تأنث الأحوص، ولم يخرج به مخرج القصص وحكاية أحاديث النساء وتماجنهن والتعرض لهن فى الطريق ومشاعر الحج كما يفعل عمر بن أبى ربيعة، بل أشبه فيه جريرا والفرزدق والأخطل؛ غير أن هؤلاء لم ينسبوا عن عشق صحيح ووجد مبرح، وإنما كان غزلهم خياليا قُصد به محاكاة شعراء الجاهلية فى التمهيد به للمديح وغيره. وإذا صدق أحدهم فغاية صدقه أن يصف زوجته بما يوصف به العفيفات من ربات الحجال. ونسيب ذى الرمة وليد عشق حقيق، كان له فيه قصائد مستقلة به لا يخالطها فن آخر، وفيه تظهر حقيقة لوعته، ومرارة شكواه، وحلاوة عتابه، ويلوح فى خلاله مخايل العفاف والتصوّن وصدق الوفاء لحبيبته ميّة. وفيه يقول الأصمعى: «ما أعلم أحدا من العشاق الحضريين وغيرهم شكا حبا أحسن من شكوى ذى الرمة مع عفة وعقل رصين».

ومن قوله فى ميّة وهو مما يتغنى به:

أما أنتَ عن ذكراك ميةَ مُقْصِرُ؟ ولا أنت ناسى العهدِ منها فتذكرُ
تهيم بها ما تستفيق، ودونها حجاب وأبواب وستر مُسَتَّرُ

وقوله فيها من قصيدة:

هى البرء، والأسقام، والبر، والمنى وموت الهوى فى القلب منى المُبرِّح
وكان الهوى بالنأى يُمحى وينمحى وحبُّكِ عندى يَستجدُّ ويَرْبَحُ
إذا غيّر النأى المحبينَ لم أجد رَسيسَ الهوى من حب مية يبرح

وأما وصفه فلم يذهب به بعيدا عن فن النسيب، فكان يصف الفيافى فى رحلته إلى ديار الأحبة أو إلى الممدوحين، ويصف الدمن والأطلال وأبعار الأبل الباقية بها، وأثافى القدور المخلفة فيها، ويطيل عليها البكاء

والحسرة . وأفرط فى ذلك أيما إفراط ، وأحاط فيه بمعانى المتقدمين ، وأضاف إليها ما لم يخطر على بالهم حتى استنفد فيه جهد فكره ، وأطفأ به شعلة ذكائه ، وعذله الناس وخاصة أخاه مسعودا . وحتى عيَّره به شعراء زمانه كجرير والفرزدق وجعلوه سبباً فى إخماله وتقصيره عن بلوغ الغاية فى المدح والهجاء وغيرهما من فنون الشعر ، وحتى ضرب به المثل فى العكوف على الربوع الخربة ودمنها وبكاء النازحين عنها من أهلها . فقال أبو تمام فى قصيدته التى يهنىء فيها المعتصم بفتح عَمُّورية ويصفها بعد تخريب عسكره لها :

ما رَبْعُ مَيَّةَ معمورا يُطيفُ به   غَيْلانُ أبهى رُبًى من رَبْعِها الْخَرِبِ

ومن وصفه الديار قوله — وهو مما يتغنى به — :

وقفت على ربع لمية ناقتى   فما زلت أبكى عنده وأخاطبُهْ

وأسقيه حتى كان مما أبثه   تكلمنى أحجاره وملاعبه

وقوله — وهو مما يتغنى به أيضا — :

ألا يا اسلمى يادار مىّ على البلى   ولا زال منهلا بجرعائك القطرُ

ولو لم تكونى غير شام بقفرة   يَجُرُّ بها الأذيالَ صَيْفية كُدْرُ

وقوله — وهو مما يتغنى به كذلك — :

أمَنْزِلَتَىْ مىّ سلام عليكما   هل الأزمن اللائى مضين رواجعُ ؟

وهل يرجع التسليمَ أو يكشف العمى   ثلاث الأثافى والديار البلاقع ؟

ومَوْشَيَّةٌ سُحْمُ الصَّيَاصِى كأنها   مُجَلَّلة حُوٌّ عليها البراقع(١)

وأما مدحه فلم يكن بالغا حد الجودة ، وقد أسفَّ فيه أحيانا وجفا جفاء الأعراب . مدح مرة بلال بن أبى بردة ، وهو أعز ممدوحيه عليه ، فقال من قصيدة :

---

(١) سحم : سود . الصياصى : القرون ، وأصل الصياصى : المعاقل والحصون ، وأطلقت على قرون البقر لأنها تحمى نفسها بها . حو : دهم .

رأيت الناس ينتجعون غيثا فقلت لصيدحَ انتجعى بلالا

(وصيدح هى ناقته ويذكرها كثيرا فى شعره) فلما سمع بلال هذا البيت قال : أو لم تنتجعى غير صيدح ؟ ياغلام ، أعطه حَبْلَ قَتّ لَصَيدح . (والقَتّ ما نسميه بعاميتنا : الدريس) أى أعطه حملا منه . فخجل ذو الرمة .

على أن قصيدته البائية التى مدح بها هشام بن عبد الملك ومطلعها :

* ما بال عينك منها الماء ينسكب *

تعد من غرر الشعر ، وتمنى جرير لو تنسب إليه .

وأما هجاؤه فلم يكن فيه موجعا ولا مفحشا ، لأنه لم يكن يحسن التهكم بالمهجو ، ولا يكنى عن معايبه بالكنايات المضحكة للناس عليه ، كما كان يصنع جرير بالبَعيثِ والراعى والفرزدق ، ولذلك لم يصل به شعره إلى غاية الأخطل والفرزدق وجرير ، لأن المفاضلة بين شعراء هذا العصر كانت تكون فى ميادين المدح والهجاء ، وهما الروح السائد المتفشى فى شعر هؤلاء ، وذو الرمة لم يكن من المحسنين فيهما .

وكأنه كان يحس من نفسه القصور فى الهجاء ، فترضّى جريرا بتنصله من تهمة ميله إلى الفرزدق ، وقبل منه أن يمده على خصمه هشام المرَئىّ - أحد شعراء بنى امرئ القيس من تميم - بهذه الأبيات الثلاثة المشهورة ، وضمنها ذو الرمة قصيدته الرائية التى هجا بها هشاما فقال :

يَعُدُّ الناسبون إلى تميم بيوتَ المجد أربعة كبارا

يَعُدُّون الرِّباب وآل سعد وعمرا ثم حنظلة الخِيارا

ويسقط بينها المرَئِىُّ لغوا كما ألغَيْت فى الدية الحُوارا(١)

(١) لقد كان هذا البيت سيئ الحظ فى يد « الأشمونى » و « الصبان » فقد حرفه الأول وهو يستشهد به فى باب النسب ورواه هكذا :

وسمع الفرزدق هذه القصيدة من ذى الرمة فعرف أن هذه الأبيات ليست له وإنما هى لجرير ، وعرفها المرئى . ومع علم كثير من الناس أنها ليست لذى الرمة اشتهر أنه غلب هشاما فى الهجاء . وصادف أن مات ذو الرمة عقب إرفاد جرير إياه ، فلم يُمْحَ أثر غلبته على هشام ، لأن موت ذى الرمة منعه من مناقضته قصيدته هذه .

ألفاظه ومعانيه

عرفنا من حيـاة ذى الرمة أنه نشأ وعاش أكثر عمره بالبادية ، وأنه ابتلى من صغره بالعشق فأحب حبا صحيحا عفيفـا خالط نفسـه وأخذ بشغاف قلبه . فتألف مزاج شعره من جفاء البادية ورقة العاشقين ؛ فهو إذا وصف الفيـافى ، وكثبان الرمال والوحش والنعام والإبل والظعائن ، وبكى الرسوم البوالى والعصور الخوالى ، رجع إلى طبيعة البُداة ومألوف الأعراب الجفـاة ، فأغرب فى لفظـه بالمعروف المتبـدّين ، المنكور للمتحضرين ، وحاكى فى عبارته وأسلوبه فحول الجاهليين ، حتى ليصعب

ويسقط منهم المرئى لغوا كما العنب فى الدبة الحوّاء

وعلّق عليه « الصبان » بقوله : « . . . قال البعض ليس بنظم ، وانظر ما ضبطه وما معناه ، فانى لم أقف عليه اه . لكن وجد فى بعض النسخ على وجه كونه نظما من بحر الوافر ، ولفظه :

ويسقط منهما المرئى لقوا كما العُنْب فى الدُّبَة الحواء

بضمير التثنية فى (منهما) ، وضبط (لَقْوًا) كقَرْو ، وسكون نون (العُنْب) وتخفيف باء (الدُّبَة) ، وواو (الْحَوَاء) . وفى كثير من النسخ إسقاطه كما قدمنا فى القولة قبله » . ولا شك أن هذا الخاط الغريب يتحدث عن نفسه ، وكأن القدر قد كتب لهذا البيت الهجين النسب أن يشق بقدر ما أشق « المرئى » الذى قيل فى هجائه .

« صحيفة دار العلوم »

على غير حافظ لشعره أن يميز شعره فى هذه الأغراض من شعرهم . فروى الرواة أن شعره كان يعجب أعراب البادية ، ويملأ صدور المتعصبة من علماء اللغة للجاهلية ، كأبى عمرو بن العَلاء ، الذى خَتَم به فصحاء الشعراء .

وهو إذا هتف بمية . أو وقف على ربعها فحن وبكى ، وتوجع واشتكى رجع إلى طبيعة العشاق . ومذلة أهل الجوى ، فرق لفظه ، وصرح أسلوبه وأعجب عشاق البوادى ، وظرفاء الحواضر ، وخف على ألسنة المغنين ، وآذان المستطربين . فكان هارون الرشيد يحفظ جمهرة شعره منذ أزمان الصبا ، ويعجبه التغنى به . وصنع له فيه اسحاق الموصلى نحو مائة صوت نال بها منه مئات الألوف من الدراهم . وكان مجموع ما غنى المغنون من مقطعات شعره أكثر مما غنوا من شعر جرير والفرزدق والأخطل ثلاثتهم ، لا لأنها أجزل فى اللفظ ، وأبدع فى المعنى ، وأدخل فى صناعة الشعر من نظائرها فى شعرهم ، بل لأنها انبعثت من قلب جريح ، ووجد صحيح . وما خرج من القلب حل فى القلب .

ديوانه : ولذى الرمة ديوان شعر مطبوع عنى بتصحيحه وتنقيحه كارليل هنرى هيس مكارتنى . طبع فى كمبردج سنة ١٣٢٧هـ - ١٩١٩م ويقع فى ٦٧٦ صفحة . وأبياته مضبوطة ضبطا كاملا ، ومشروحة شرحا وافياً . ويقع الشرح بعقب كل بيت . وللديوان فهرس اقتصر فيه شارحه ومصححه على ذكر الأعلام التى وردت فى الكتاب .

وقد صدر الديوان بمقدمة انجليزية تقع فى نحو أربع صفحات ، وضعها شارحه ما كارتنى

هى ؟

بقلم محمد موسى عفيفى

المدرس بمدرسة الأمير فاروق الثانوية بالقاهرة وكلية أصول الدين

ليست خَوْدًا عَروبا ، ولا هيفاء لَعُوبا . ليست آنسة تامها الحب فباحت من الوجد بسرها ، ولا عانسا تندب سوء حظها ، ولا عجوزاً تجر وراءها السنين ، ولا متبتلة منقطعة إلى عبادة ربها ، ولا ممن يجترحن السيئات ، أو ينغمسن فى الموبقات . ليست ورقاء على فن تهتف بإلفها ، ولا ساجعة تسبِّح الله بسجعها .

ليست من بنى الإنسان ، ولا من فصيلتى الطير والحيوان . ليست إنسية ولا جنية ، ليست السماء ذات الكواكب ، ولا الأرض ذات السباسب . ليست أمة من الأمم ، ولا مملكة من الممالك ، ولا مدينة عامرة ، ولا بلدة غامرة . ليست داراً تسكنها ، ولا ملحفة تترداها ، ولا أمنية ، عزيزة تتمناها . ليست ثمرة حلوة تستطيبها فتأكلها ، ولا مرة تعافها فتلفظها ولا شجرة وارفة الظل ، ينتظم أفنانَها الطل . ليست الجنة التى وعد الله المتقين ، ولا النار التى أوعد الله الكافرين .

هى حية بلا روح ، تمشى ولكن بلا خف ولا قدم ، وتكتب وتشير ولكن بلا يد ولا قلم ؛ تتحرك ولكن لا تتقدم ، وتتقدم ولكن لا تتحرك شرقية وغربية ، عربية وأعجمية ؛ ساهرة ليلها ، صائمة نهارها ، تأكل أنت وهى جائعة لا تشكو سُغوباً ، وتنام أنت وهى ساهرة لاتحِسّ لغوبا ؛ خرساء ولكنك تفهم لغتها ، عمياء وعينها أصفى من عين الديك ؛ وآية ذلك أنها تقودك وتهديك . مُقعدة وتسير ؛ بلا أجنحة وكأنها تطير . صغيرة وكبيرة ، ثقيلة وخفيفة ، حالية وخاليه ، غالية

ورخيصة . يحتاج إليها الملوك الصيد ، ولا يستغنى عنها السوقة والعبيد ؛ فى متناول أيدى الفقراء والأغنياء ، والأغبياء والأذكياء ، والبدوى والحضرى ، والغربى والشرقى ، والشيوخ والأطفال ، والنساء والرجال ؛ فى كل أرض وهى واحدة ، تعمل عملاً واحداً .

تتأثر ولكن لا تحِس ، وتخفق ولكن بلا قلب : اسمها عربى ، ولحنها أعجمى ؛ تنطق ولكن بلا لسان ، وتشافهك بلا ترجمان ؛ تحكى لهجة التمّام إذا نطقت ، وخفقان قلب الواله إذا نَبَست .

هل عرفت ماهى ؟

إنها التى قد تكون حينا أقصر من ليل الوصل ، وحينا أطول من يوم الفصل . وقد تكون فى وقت أحلى من الماذى ، وأعذب من الماء ، وفى وقت آخر أبشع من مر الدواء .

على وجهها أشراط وعلامات ، وأمعاؤها ملتويات متصلات ، لا تهضم الطعام ، وهى تعرُقُ عظام الدهر والأيام ؛ ثمرة من ثمرات العلم ، ضرورية فى الحرب والسلم ، بناها الإنسان فهُدِم وهى ثابته . وخلقها فمات وهى باقيه .

هل عرفت ماهى ؟

إنها التى تعد انفاسك ، وتحسُبُ أوقاتك ، وتحصِى آناتك وأنّاتك ، هى التى تقطع أوصال الزمان ، ولا تبالى الحِدْثان .

هى التى تدور عليها عقرب لا تضرب بحُمة ولا ذنب ، ولا تجلب الضر ولا العطب .

هى التى

تريك مكان الشمس فى دورانها إذا حَجَبت عنك الغيومُ ضياها
تنادى بنى الأيام فى نقراتها : أنِ اسعَوْا بجد بالغين مناها
ولا تهملوا الأوقات فهى بوَاترٌ تقطع أوصالَ الحياة شبَاها

هى : « الساعة » .

وطن الفأس!

لشاعر الريف محمود حسن اسماعيل

بدار العلوم

« فى مساء يوم الجمعة أول فبراير أقامت نقابة الموظفين فى ناديها حفلة تكريم لشاعر الريف محمود حسن إسماعيل أفندى الطالب بدار العلوم، بمناسبة صدور الجزء الأول من ديوانه « أغانى الكوخ » وقد حيا الشاعر النابه أكثر من عشرة من الخطباء منهم الصحفى وفيهم المدرس بدار العلوم والمدرس بالجامعة المصرية، والمفتش بوزارة المعارف. وقد أعجبتنا كلمة قالها المحرر الأدبى للمقطم ليلتئذ إذ قال: « إن هذه الحفلة لا يمكن أن تتهم بواعثها، فان المحتفل به شاعر ناشىء لم يزد على أن يكون طالبا. وهؤلاء أساتذته وزملاؤه ورجال الأدب يكرمونه، وما نراهم مدفوعين إلى ذلك التكريم، حباً فى جاهه، أو سعياً وراء ماله، وإنما هى عبقريته حركتهم إلى ذلك التكريم ».

وفى نهاية الحفلة وقف المحتفل به فألقى القصيدة التى ننشرها فى هذا العدد يحيى المحتفلين به، ولكنه يحيى معهم مذهبه فى الشعر. « المحرر »

فى الضُّحَى، والشعاعُ جاثٍ على النِّيـــلِ، كما خَرَّ ساجدٌ فى صَلَاتِهْ
والرَّياحينُ ناهلاتٌ مِنَ الطَّـــلِّ رحيقَ الصهْباء من قَطَرَاتِهْ
خمرةً سَـــلْسَلَ الضِّياءُ طِلاها فجرَتْ كوْثرًا على رَبَوَاتِهْ
عربَدَ الزَّهْرُ من شـذاها فأفشَى سرَّ جنَّاتِهِ على نفَحـــاتِهْ!
والفَرَاشُ الوديعُ يَسْبَحُ فى الأيْـــكِ، ويَحْسُو العبيرَ من زَهَرَاتِهْ
ومن الطيْرِ سَجْعَةٌ ورنـينٌ ومن النَّحْلِ زَفَّةٌ فى رَبَاتِهْ
وهُنـا هُدْهـدٌ تولَّع فى الحقْــلِ بظِلٍّ يَفِىء من نَخَلاتِهْ
فيلسوفٌ أضاع حكمتَهُ الدهْـــرُ فرام الرشـاد من نقَرَاتِهْ!
وقَصادٌ يَزِقُّ فى ضَحْوَةَ النُّو رِ، فيُحْيِى الربيعَ فى خطَرَاتِهْ

فَتَنَتْهُ من القنابر عَـذرا ءُ ، فهاج الدَّفينُ من صَبَوَاتِهْ
والعصافيرُ شادياتٌ على الدَّوْ حِ ، تُناغى بشَدْوِها شَجَرَاتِهْ
جَنةٌ نَضْرَةُ الخمائلِ فى الرِّيــفِ ، نَماها مُعَذَّبٌ فى حَياتِهْ
ناسِكٌ فى الحقول ، هَيْمَانُ بالأرْ ضِ ، يجلَّى بِتُرْبِها دَعَوَاتِهْ
حمِّلَتْ فأسُهُ من الغيب سِرًّا حيَّرَ العقلَ كامنٌ منْ صفاتِهْ
حَطَبٌ يابسٌ يَمرُّ على الصَّخْــرِ ، فتزهو الورود فى جَنَباتِهْ !
رَصَدٌ فى الحديد ، لو أنَّ « هارو تَ » رَقاهُ لضَلَّ فى قَسَماتِهْ !
حكمة تَبْهَرُ النُّهى حطَّمَ العِلْــمُ لديْها العظيمَ من مُعْجزاتِهْ
لو رنا الملْحدُ العنيــد إليْها وهْوَ جَمُّ الضَّلالِ من نَزَغاتِهْ
رَجَمَتْ غَيَّهُ ، وكادت جلالاً تسكبُ الرشْدَ والهدى من لهاتِهْ

* * *

جنَّةٌ ، بَرَّةُ الأفانين ، لَفَّا ءُ ، نماها معذَّبٌ فى حياتِهْ
شاعرٌ فى الضحى يُغَنِّى فتُصْغى كلُّ سوسانةٍ على راياتِهْ
سَرَقَ الطيرُ شدْوَه حين فاضَتْ خلَجاتُ الإيمانِ من أُغْنياتِهْ
وبكى النبْتُ شجْوَه حين غنَّى وأذاع الشجونَ فى نَبَراتِهْ
هل رأيتَ النَّدَى مدامعَ زَهْرٍ فِضْنَ من رِقَّةٍ على وَجَناتِهْ ؟
أتواسيه فى الضَّنَى نبْتةُ الحقْــلِ ، ويُغْضى الإنسان عن حَسَراتِهْ ؟
تلكَ أعجوبةُ الوفاء ! فيا ويْــحَ لشعب يهيم في غَفَلاتِهْ !

* * *

والسَّوَاقى مُفَجَّعاتٌ عليــه نائحات تُرِيقُ من عَبَرَاتِهْ
عنــدها الثَّوْر قيَّدَتْهُ يدُ الظُّلْــمِ . وهذا حليفُه فى سِماتِهْ !

والشواديف - كم أرنّت بأذنيـــهِ ، وصاحت تئنُّ فى مزرعاته !
شهدت شَمْلةً عليه تحاكى كفناً مُزّقت بوالى رُفاته
صبَّغ الحظُّ لونها بسوادٍ من أسى نحسه ، ومن عثراته
نصف عُرْيان! لوسرَى نسَمُ الفجْــر عليها تطير من خفقاته
عبست والضياء مُبْتَلِجُ اللمْــحِ تميس الحقول فى هالاته
فحكت خطرةً من الهمِّ رانت فى ضمير الضحى على قنواته !
يابس الكف من عناءٍ وبرْحٍ شقّق الكدُّ بالضّنى أنملاته
وهو إن مسّ زهرةً لم تفتّحْ ، نفحت عطرها على راحاته ؟
كم صبا السُّنبلُ الحبيبُ إليه ساكباً بين راحه قبلاته
وهفت نورة من الفول بيضا ءُ كطيف الإيمان فى صلواته
عشق الزّهرُ كفّهُ فتمنّى خلْدَ أطرافها على ورقاته !

٭ ٭ ٭

إيه ياجنتى ! لقد صدح النا ىُ ، وروحى تفيض من نفثاته
شفّنى فى حماك قوم حيارى ، ندبوا نحسهم على صفحاته
نضّروا غرسك الرطيب ، وناموا . فعدا غاصب على ثمراته
قطف اليانع الشهىّ ، وألقى لبنيك الجياع ، فضل فتاته !
إيه ياكوخى الحبيب ! ألا تسْـــمعُ شدْواً سكرتُ من صدحاته ؟
غزَل بالورود عبقرىٌّ فنيتُ فى نغماته
ودّت الغيدُ لو تكلّلن منهُ ونظمن الحلىّ من سجعاته
حسد القصرُ لحنه ، وتمنّى خفقةً للبروج من أبياته
قد غنمتُ الوفاء والمجد منه ومُنحت الخلود من أغنياته !

بين الأدب والتاريخ

إيتاخ وأشناس

تحقيق تاريخي — بقلم الأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار

الأستاذ السابق بدار العلوم وأستاذ التاريخ الاسلامي بكلية أصول الدين

قرأت في أول الديوان الحافل بالشعر الجيد ، والخيال البديع ، والأدب الرائع (ديوان صَرّدُرّ) الذي نشرته دار الكتب أخيرا ، من قصيدة له يمدح فيها الإمام القائم بأمر الله العباسي قوله (ص ٤) :

يؤيده الرحمن في كل موقف بنصر يعود الليثُ وهْو به خاسي
جيوش من الأقدار ، تفني عداتَه بلا ضرب إيثاخ ولا طعن أشناس

ووجدت إيثاخ (بالثاء المثلثة) كما وجدت المصحح الفاضل قد كتب هذه الجملة (« إيثاخ وأشناس » كذا بالأصل ولعل الأولى أثباج جمع ثبج وهو ما بين الكاهل إلى الظهر ، والثانية لم نوفق إلى مراد الشاعر منها .)

والحقيقة أن « إيتاخ » (بالتاء المثناة من فوق) و « أشناس » علمان من أعلام قواد الجيوش في دولة المعتصم بالله محمد بن هارون الرشيد . والواثق والمتوكل ابني المعتصم ؛ وكل منهما كان ملء سمع الأرض وبصرها ، وكل منهما قد ولي على البلاد المصرية . وكان مرجع الشؤون المهمة فيها وإن كان لم يحضر إليها ، وكل منهما كان له من السلطان في دار الخلافة ما يحقق فيه قول الصفي الحلي :

إن ادّعوا جاءت الدنيا مصدقة وإن دعوا قالت الأيام آمينا

لذلك أردت أن أعرّف بهذين القائدين ، وأبين ما كان لكل منهما من مكانة مكينة في أيام عزه ، وازدهار سعده ، وإقبال الدهر

عليه، وما آل إليه أمره. لما فى ذلك من عظة وعبرة.

إيتاخ — ذكر اسمه عشر مرات فى الجزء الثانى من كتاب النجوم الزاهرة لابن تَغْرِى بَرْدِى فى صفحات ٢٣٢ و ٢٤٣ و ٢٥٥ و ٢٥٦ و ٢٦٥ و ٢٧٤ و ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٢٧٨ و ٢٨٨

وكان أصل إيتاخ مملوكا من الخُزَر طباخا لسلام الأبرش، فاشتراه المعتصم فرأى له رُجْلةً وبأسا. فقربه ورفعه. وكان المعتصم تعجبه الشجاعة والقوة ويحب المتصف بهما.

ثم إن المعتصم لما قاد الجيوش لفتح عَمُّورِيَّة من بلاد الروم جعل إيتاخ قائدا على الميمنة. وقد أبلى إيتاخ فى فتح عَمُّورية بلاء عظيما. وخاصة فى اليوم الثالث من أيام فتح تلك المدينة. قال ابن الأثير فى الكامل (صفحة ١٦٥ ج ٥): «فلما كان اليوم الثالث كانت الحرب على أصحاب المعتصم، ومعهم المغاربة والأتراك، وكان القيم بذلك إيتاخ، فقاتلوا وأحسنوا، واتسع لهم هدم السور. فلم تزل الحرب كذلك حتى كثرت الجراحات فى الروم.»

وقد ولّى المعتصم بالله إيتاخ أمورا كانت تهمه، فأظهر فيها كفاية ودراية بالحرب والجلاد.

ففى سنة أربع وعشرين ومائتين أمر المعتصم إيتاخ بالمسير إلى جعفر ابن فَهْرَجْس وقتاله، فتجهز وسار إلى الموصل سنة خمس وعشرين، وقصد جبل دَاسِنْ وجعل طريقه على سوق الأحد. فالتقى مع جعفر، وكان بينهما قتال شديد قتل فيه جعفر وتفرق أصحابه. فانكشف شره وأذاه عن الناس. وأوقع إيتاخ بالأكراد وحشر الأسرى والنساء والأموال إلى تَكْرِيت.

وجعفر بن فَهْرَجْس هذا كردى شق عصا الطاعة بأعمال الموصل.

فوجه إليه المعتصم بعبد الله بن السيد الأزدى فى جيش عظيم فأوقع به جعفر ثم كانت منيته على يد إيتاخ .

وكان من اراد المعتصمُ والواثقُ والمتوكلُ قتله سلمه إلى إيتاخ ، فقد قتل على يده مثل عُجَيْف بن عَنْبَسة من قواد المعتصم ، والعباسُ ابن المأمون بن هارون وستأتى قصته ، ومحمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم ثم الواثق ثم المتوكل .

وكان إيتاخ من القواد الذين اعتزم الأفشينُ القائد التركى أن يدس لهم السم فى الطعام ليقتلهم إذا لم يظفر بقتل المعتصم .

ذلك أن الأفشين كان قائدا عظيما من مقدمى القواد عند المعتصم . وقد أحس الأفشين تغير المعتصم فاعتزم أن يقتله بالسم فى وليمة يصنعها للمعتصم وقواده ، فاذا لم يحضر المعتصم ، وفاته ما يرجو من قتله ، فعلَ ذلك بقواده مثل أشناس وإيتاخ . فأحس ذلك أحد خدم الأفشين ، واطلعُ على ما دبره أستاذه ، فأطلع على ذلك أَوَاجنَ الأشروسنى . فعزم أوَاجن على إفساد أمر الأفشين ، وقال لخادم الأفشين : لا يتم هذا الأمر .

فأما تابع الأفشين فأعلم سيده . وأما أواجن فيمم دار المعتصم ليلا ليطلعه على ما دبره الأفشين عليه وعلى رجال دولته . ولقى إيتاخ فقال له إن لأمير المؤمنين عندى نصيحة . فقال له قد نام أمير المؤمنين . فقال أواجن : لا يمكننى أن أصبر إلى غد . فدق إيتاخ الباب على بعض من يخبر المعتصم بالحال . فقال المعتصم : قل له ينصرف الليلة إلى غد . فقال إن بقيت إلى غد ذهبت نفسى . فأمر المعتصم أن يبيت أواجن عند إيتاخ ليغدو به عليه ففعل .

فلما أصبح أواجن أفضى إلى المعتصم بجلية الحال ، وقُبض على الأفشين ، وحبس فى دار إيتاخ مدة إلى أن أخرج ميتا . وكان القبض على

الأفشين سنة ٢٢٥ وموته سنة ٢٢٦ وقد صلب بعد موته وأحرق بالنار.

وقد ولى الخليفةُ الواثقُ باللهبنُ هارون الأميرَ إيتاخَ اليمنَ، وذلك قبل أن يوليه مصر، لأن ولاية مصر آلت إليه فى سنة ٢٣٠ بعد وفاة أشناس. ولا عبرة بقول ابن تَغْرِى بَرْدى فى ص ٢٥٦ إنه ولاه اليمن مضافا إلى مصر؛ فإنما ولاه مصر فى سنة ٢٣٠ بعد وفاة أشناس. وقد بقى إيتاخ واليا على مصر من سنة ٢٣٠ إلى أوائل سنة ٢٣٥ وكان يرسل إلى مصر نوابا عنه.

وقد جاء فى صفحة ٢٧٥ من الجزء الثانى من النجوم الزاهرة: «فى سنة أربع وثلاثين ومائتين فوض الخليفة المتوكل لإيتاخ الكوفة، والحجاز، وتِهامة، ومكة، والمدينة، مضافا على مصر ودُعِى له على المنابر» أى مع الدعاء للخليفة. وقد علم مما سبق أنه كان مولى على اليمن أيضا. وكانت إمرته على الصلاة والخراج معا.

وكان لإيتاخ أيضا المعونةُ[1] بسامرّا مع إسحاق بن إبراهيم المُصْعَبى وكان مع المتوكل فى مرتبته، وإليه الجيشُ، والمغاربة، والأتراك، والأموال، والبريد، والحجابة، ودار الخلافة.

فلما تمكن إيتاخ من نفس المتوكل، حدث أن الخليفة شرب معه وعربد عليه، فهمّ إيتاخ بقتله. فلما أصبح المتوكل قيل له ما كان منه وماهم به إيتاخ فاعتذر إليه المتوكل وقال له: أنت أبى وأنت ربيتنى. ثم دس المتوكل إليه من يحسّن له الحج، فاستأذن المتوكلَ، فأذن له وصيره أمير كل بلد يدخله، وخلع عليه، وسار العسكر جميعه بين يديه، وأظهر له غاية التكريم والإجلال فكان إيتاخ كالثور يُزَيَّنُ ليذبح.

(١) المعونة تقابل فى نظامنا الحاضر وزارة الأشغال.

فلما عاد إيتاخ من حجه وقرب قدومه على المتوكل بسُرَّمَنْ رَأى كتب المتوكل إلى إسحاق بن إبراهيم ببغداد يأمره بحبس إيتاخ. وأنفذ المتوكل كسوة وهدايا إلى إيتاخ فى طريقه تأمينا له. فلما قرب من بغداد خرج إسحاق بن إبراهيم إلى لقائه. وكان إيتاخ أراد المسير على الأنبار إلى سامرا. فكتب إليه إسحاق: إن أمير المؤمنين قد أمر أن تدخل بغداد، وأن يلقاك بنو هاشم ووجود الناس، وأن تقعد لهم فى دار خُزَيْمة بن خَازم، وتأمر لهم بالجوائز. فجاء إلى بغداد ولقيه إسحاق بن ابراهيم فلما رآه اسحاق أراد أن يترجل له فحلف عليه إيتاخُ أن لا يفعل. وكان فى ثلثمائة من غلمانه وأصحابه. فلما صار بباب دار خزيمة وقف إسحاق وقال أصلح الله الأمير، يدخل؛ فدخل إيتاخ ووقف إسحاق بالباب ومنع أصحابه من الدخول عليه، ووكل بالأبواب، وأقام عليها الحرس. فحين رأى إيتاخ ذلك قال: « قد فعلوها. » ولو لم يفعلوا ذلك ببغداد ما قدروا عليه. وأخذوا معه ولديه منصورا ومُظفَّرا. وأرسل إيتاخ إلى إسحاق: قد علمتَ ما أمرنى به المتعصم والواثق فى أمرك، وكنتُ أُدافع عنك، فلينفعنى ذلك عندك فى ولدىّ. فأما أنا فقد مر بى شدة ورخاء فما أبالى ما أكلت وما شربت؛ وأما هذان الغلامان فلم يعرفا البؤس، واجعل لهما طعاما يصلحهما. ففعل إسحاق ذلك وقُيِّد إيتاخ وجعل فى عنقه ثمانون رطلا، فمات فى جمادى الآخرة سنة ٢٣٥. وأشهد إسحاق جماعة من الأعيان أنه لا ضرب به ولا أثر. وقال ابن الأثير: « وقيل سبب موته أنهم أطعموه ومنعوه الماء حتى مات عطشا ». وعلى هذه الطريقة كانت نهاية إيتاخ بعد ذلك العز الأقعس والنفوذ الذى لا حد له.

أشناس — أما أشناس فهو أبو جعفر أشناس التركى المعتصمى . اشتهر بالقوة وحب المغامرة فى الحرب وملاقاة الحتوف . فقربه المعتصم ورفع درجته . وصار من قواده العظام ورجال دولته ، وولاه الولايات السنية ، وولاه مصر : صلاتها وخراجها وبقيت فى حوزته نحو اثنتى عشرة سنة وهو يرسل إليها نوابا عنه يلون صلاتها وخراجها وعظمت منزلته بين قواد المعتصم ، مثل الأمير إيتاخ ، وكان الخلفاء يجلونه ويؤثرونه بالمراتب السنية .

قال ابن تَغْرِى بَرْدِى فى صفحة ٢٤٥ من الجزء الثانى من كتابه النجوم الزاهرة : « فى سنة ثمان وعشرين ومائتين استخلف الخليفة هارون الواثقُ على السلطنة أشناسَ الذى كان إليه امر مصر يولى فيها من اختار ، وألبسه وشاحين بجوهر » . وقال فى صفحة ٢٣٢ من الجزء الثانى أيضاً : « أما التعريف بأشناس فإنه كان من كبار القواد بحيث إن المعتصم جعله فى فتح عمورية من بلاد الروم على مقدمته » . وكان يُدْعَى لأشناس على منابر مصر كما فى صفحة ٢٢٩ من الجزء الثانى من النجوم الزاهرة وقد ذكر ابن تغرى بردى أشناس ١٢ مرة فى الجزء الثانى من كتابه النجوم الزاهرة وهى صفحات (٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٩ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٦ ، ٢٧٤ ، ٢٨٨ ، ٣٣٦)

وأظهر الوقائع التى ظهر فيها بلاء أشناس وقوة مراسه وإقدامه حرب عمورية : ذلك أن المعتصم بالله محمد بن هارون سار فى سنة ثلاث وعشرين ومائتين (على أوسط الأقوال) من سر من رأى ، وتجهز جهازا لم يتجهزه خليفة قبله قط من السلاح والعدد والآلة وحياض الأدَم والرَّوَايا والقرب وغير ذلك ، وجعل على مقدمته أشناس (ص ٢٦٢ ج ٥ ابن الأثير) .

فلما صار أشناس بمرج الأسقف ورد عليه كتاب المعتصم يحذره ملك الروم، لأنه يريد كبس عسكر المسلمين، فحذر وأرسل أحدقواده. فأتى ببعض الأسرى وفيهم شيخ كبير، فلما قتلهم ولم يبق إلا هذا الشيخ. قال له: ما تفعل بقتلى وأنتم فى ضيق؟ إنى أدلك على مكان فيه قوم من أهل أنقرة جلوا عنها إليه، وفيه الكلأ والماء والطعام. فوجه معه أشناس جندا مع مالك بن كَيدَر، وأمره أن يطلق الشيخ إذا دله على ماوصف. ففعل وانتهى بهم إلى مكان فيه أهل أنقرة وجند من فَلّ جند الملك، وعلم منهم أن الملك قد هزم أمام جند الأفشين الذى أدْرَب إلى تلك البلاد ولقى ملك الروم ففلّ حده، وشتت جنده. وهو الآن مشتغل بجمع فل جنوده، وحشر من لم يحشر من قبل. وكان أول من ورد عمورية أشناس بجنوده، ثم المعتصم، ثم الأفشين. وجاء رجل مسلم من الأسرى بالمدينة، وأعلم المعتصم بعورة فى السور وأراه إياها، فألح المسلمون على السور من ذلك الموضع حتى عوروه وصدعوه وثلموه. وكان أول من قاتل الروم على الثلمة أشناس، ثم تتابع العمل فى الحرب إلى اليوم الثانى عشر، فقال بعض قواد أشناس: الحرب فى هذا اليوم (يوم الأفشين) أجود منها أمس (يوم أشناس) فأسرها فى نفسه. ولما عاد إلى عسكره وترجل له القواد سبهم سبا قبيحا فاضطغنوا عليه، وانصرفوا إلى مضاربهم، وقد باح بعضهم بمكيدة مدبرة على المعتصم وقواده ومنهم أشناس والأفشين وإيتاخ وغيرهم. والذى دبر هذه المكيدة العباس بن المأمون بن هارون الرشيد.

وكان أول من وسوس بهذه المكيدة عُجَيف بن عنبسة من قواد المعتصم، فإن المعتصم وجه به إلى قتال ملك الروم، ولم يطلق يده فى النفقات كما أطلق يد الأفشين. واستصغر المعتصم شأنه. فأنحى عجيف على العباس بن المأمون إذ سلم لعمه بالخلافة ولم يطلب البيعة لنفسه،

وأن الواجب عليه أن يتلافى أثر العجز الذى عجزه فى أول أمره .

فوجه العباس برجل أديب له عقل وحسن تأت للأمور ، فخالط بعض ذوى النجدة ، والقدر النابه فى جيوش القواد ، وواطأهم على أن يثوروا بقوادهم ، وأن يقتلوهم عند أول إشارة ، ثم ينتهى الأمر بقتل المعتصم ، ويستبد العباس بالأمر . فلما كانت الملاحاة بين أشناس وقواده ، تناجوا بالأمر المبيت ، وأخبر الذى عنده علم من الأمر من لم يكن يعلم . وزادت مراقبة أشناس لقواده والتضييق عليهم حتى سمع نجواهم بعضُ الغلمان وطلب قواده أن يُضموا إلى غيره من القواد ، وقبض أشناس على بعض قواده ، وجاء غلام سمع بعض ما يسرون إلى المعتصم وأفضى اليه بما سمع من عمر الفرغانى ، وكان من المقبوض عليهم ، فأخذه المعتصم من عند أشناس وسأله عما قاله الغلام . فأنكر وقال إن الغلام كان سكران ولا يدرى ما قلت . فدفع المعتصم الغلام إلى ايتاخ . فأنفذ أحمدَ بن الخليل من المقبوض عليهم إلى أشناس يقول إن عنده نصيحة لأمير المؤمنين لا يقولها إلا للخليفة المعتصم ، فخلف أشناس ليقتلنه بالسياط إذا لم يخبره ، فجاء إليه وأخبره بما بيت العباس والقواد والحارث السَّمرَقندى فانفذ أشناسُ الحارث مقيداً إلى المعتصم وسير أحمدَ إلى المعتصم فأفضى إليه بجلية الحال . فلم يصدق المعتصم ذلك على القواد لكثرتهم ، وأراد أن يستثبت الأمر ، فأتى بالعباس وبسطه وسقاه حتى سكر ، وأحلفه أن يخبره بالأمر على حقيقته ففعل ، ولم يُبق فى نفسه شيئا مما دبر وممن اشترك فى الأمر إلا قاله . فتتبع المعتصم القواد والرؤساء الذين واطئوا العباس على أمره . وكان منهم الشاه بن سهل ، وهو من أهل خراسان ، وقال له : يابن الزانية ، أحسنت إليك فلم تشكر . فقال : ابن الزانية هذا — (وأشار إلى العباس ، وكان حاضرا) — لو تركنى ما كنتَ

الساعة تقدر أن تجلس هذا المجلس، وتقول هذا الكلام. فأمر به فضربت عنقه، وهو أول من قتل منهم.

وسلم العباس بن المأمون إلى ايتاخ. فلما ورد الجيش بلاد الاسلام وكانوا بِمَنْبِج طلب العباس طعاما فقدم إليه، فلما أكل منع الماء حتى مات. وعلى الجملة فقد تتبعهم المعتصم وقتلهم جميعا وسمى العباس من حينئذ اللعين، وأخذ المعتصم أولاد المأمون من سندس فحبسهم عنده حتى ماتوا.

ومن لطيف ما يروى أن محمد بن على الاسكاف كان يتولى إقطاع عجيف فرفعت عليه شكوى، وهمّ عجيف بقتله فبال على نفسه من الخوف، ثم شُفع فيه فقيّده وحبسه وتركه محبوسا وذهب إلى بلاد الروم، وقد حفر المعتصم لعجيف بئرا فى بَاعينَاثا من بلاد الموصل وألقاه فيها وطمها عليه. وخرج الاسكاف من الحبس واستُعمل على باعيناثا - قال: فخرجت يوما إلى تل باعيناثا فاحتجت إلى الوضوء فجئت إلى تل فبلت عليه ثم توضأت ونزلت، وشيخ باعيناثا ينتظرنى؛ فقال لى: فى هذا التل قبر عجيف، وأرانيه، فإذا أنا قد بلت عليه. وكان بين الأمرين سنة لا تزيد يوما ولا تنقص يوما.

وكانت وفاة أشناس سنة ثلاثين ومائتين لم يحبس ولم يقتل ولم ينكب. ومن الغلط ما نقله ابن تغرى بردى عن الذهبى من أن أشناس توفى سنة اثنتين وخمسين ومائتين (ص ٢٥٥ ج ٢ النجوم الزاهرة)

* * *

ومع ما كان لأشناس وإيتاخ من البلاء ما أتينا على بعضه، وما كان لهما من التقدم فى الدولة لم يكن المعتصم راضيا عنهما تمام الرضا، ولم يكونا واقعين عنده الموقع الكريم اللائق ببلائهما ومنزلتهما.

قال اسحاق بن إبراهيم المصعبى: دعانى المعتصم يوما فدخلت عليه

فقال : أحببت أن أضرب معك بالصَّوَالِجة ، فلعبنا بها ساعة ، ثم نزل وأخذ بيدى نمشى إلى أن صار إلى حجرة الحمام ، فقال : خذ ثيابى ، فأخذتها . ثم أمرنى بنزع ثيابى ففعلت ، ودخلت وليس معنا غلام ، فقمت إليه ، فخدمته ودلكته ، وتولى منى المعتصم مثل ذلك ، فاستعفيته فأبى على . ثم خرجنا ومشى وأنا معه حتى صار إلى مجلسه فنام . وأمرنى فنمت حذاءه بعد الامتناع . ثم قال لى : يا إسحاق ، إن فى قلبى أمرا أنا مفكر فيه منذ مدة طويلة ، وإنما بسطتك فى هذا الوقت لأفشيه إليك . فقلت : قل يا أمير المؤمنين ، فانما أنا عبدك وابن عبدك . قال : نظرت إلى أخى المأمون وقد اصطنع أربعة فأفلحوا . واصطنعت أربعة فلم يفلح أحد منهم . قلت : من الذين اصطنعهم المأمون ؟ قال . طاهر بن الحسين ، فقد رأيت وسمعت . وابنه عبد الله بن طاهر ، فهو الرجل الذى لم ير مثله ، وأنت ، فأنت والله الرجل الذى لا يعتاض السلطان عنك أبدا (فى ابن الأثير : لا يتعاصى) وأخوك محمد بن إبراهيم ، وأين مثل محمد ؟ وأنا اصطنعت الأفشين ، فقد رأيت إلام صار إليه ، وأشناس ففشل ، وإيتاخ فلا شىء ، ووصيف ، فلا معنى فيه . فقلت : أجيب على أمان من غضبك ؟ قال نعم ؛ قلت له يا أمير المؤمنين نظر أخوك إلى الأصول فاستعملها ، فأنجبت . واستعمل أمير المؤمنين فروعا فلم تنجب . إذ لا أصول لها . فقال : يا إسحاق ، لمَقاساة ما مر بى طول هذه المدة أيسر على من هذا الجواب .

هذا ما أردت أن أورده فى شأن هذين العلمين اللذين لعبا دورا هاما فى سياسة الدولة العباسية ، ونالا من النفوذ فى الأمور ، والرفعة فى الدولة ما لم ينله أحد إلا قليلا ، ولله عاقبة الأمور ؟

نصيب العربي في باديته

من الرياضة البدنية

بقلم محمود مصطفى

أستاذ الأدب العربي بكلية اللغة العربية

إذا كانت الرياضة البدنية فى حياتنا المدنية علاجا للفتور الناجم عن الترف، والحياة الوادعة، والمآكل الدسمة، أو كانت مناهضة للضعف الذى صار إلى الأبناء وراثة عن الآباء، أو كانت مرادة للهو وتزجية الوقت، فقد كانت عند العرب فى باديتهم مرادة لأعظم من ذلك خطراً وأبعد غاية.

بنيت حياة العرب فى باديتهم على توقع الخطر، وترقب المباغتة. وقد كثرت فيهم الحروب والغارات، وليست كلها انتقاما للشرف، وأخذا بالثأر، ومجازاة على العدوان، ولكن كثيرا منها كان عدوانا ومبادهة بالشر، وتجنيا من قوى باغ على ضعيف وادع، أو طلبا للقوت لا يتحرجون معه من الإغارة على بنى أبيهم الذين ليس عليهم فى صدورهم سخيمة، ولا لهم قبلهم وتر. قال القَطامى يتحدث عن افراسه الحسان.

وكُنَّ إذا أغَرْنَ على قبيل فأعوزهن نَهْب حيث كانا
أغرن من الضِّباب على حِلاَلَ وضَبَّةَ إنه من حان حانا
وأحيانا على بكر أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانا

فهم إذا علموا أبناءهم الفروسية، وأحذقوهم ركوب الخيل، وأخذوهم بالمرانة على الرماية والتسديد، فانما يفعلون ذلك استعدادا للمواثبة والمجالدة

والكر والفر ، كما يفعلونه التماسا لوسيلة من وسائل كسب القوت .
ولسنا بصدد أن نحصر أنواع الرياضات عندالعرب ولكننا ذاكرون منها أشهر ما عرف ، فمن ذلك :

الصيد والقنص

لقد كان فى متسع صحراء العرب مراح ومغدى لهم ، يطلبون أنواع الوحش والطير ، ويستعملون لذلك الأحابيل والمصايد ، وينصبون الفخاخ ، ويحملون القسىّ وجعاب السهام ، ويتخذون لمعونتهم على هذا ما يكلبونه من الضوارى والجوارح لتمسك عليهم صيدهم .

ولم يكن كل طَرَدهم للحيوان لتحصيل الرزق ورد الجوع بل إن كثيرا منه كان تمرسا بالشدائد ، ومغامرة فى الصعاب ، وتلهيا بإعمال الحيلة وتباهيا بالفراسة ، واعتدادا بالقوة ، وإلا فما شأنهم والأسد ؟ يتخذون له الزبا وليس هو بمأكول اللحم ، فليس يدفعهم إلى صيده إلا الافتنان فى الحيلة والدلالة على القوة .

والصيد يطلق على فعل الصائد ، وهو اعتقال الحيوان أو الطائر ، وحرمانه من حريته التى كان يتمتع بها فى مسارحه وأجوائه ، كما يطلق على نفس الحيوان أو الطائر إذا وقع فى قبضة الصائد .

أما القَنْص فهو بالمعنى الأول للصيد ، فان فتحت النون « قَنَص » صار بالمعنى الثانى . والناس يخطئون فيقولون : خرج فلان للصيد والقَنَص (بفتح النون) وهو لا يكون مصدرا إلا بسكونها .

وإن نظرة فى كتاب « المخصص لابن سيده » فى باب الصيد وآلاته لتدلنا على أن العرب كانوا يعنون بهذا الأمر عناية تامة ، بدليل ما وضعوا له من ألفاظ تدل على أحواله ، وجميع ما يعرض له . فهم يسمون مزاول

ذلك صائدا ، وصيادا وقانصا . فإذا كان خروجه فى نصف النهار سمى ساميا والجمع سُماة . وقد دلوا على استثارة الوحش وإخراجه من مكمنه فسموا ذلك نجْشا ومحاوله نجّاشا ومِنْجاشا ، وعبروا عن الخيبة فى محاولة الصيد والرجوع بلا شيء ، بالإرجاء ، فقالوا : أرجأنا وأرجينا ، أى لم نصد شيئاً . وسموا الحفرة التى يكمن فيها الصائد قُتْرة ، والتى تحفر للأسد زُبْية .

فأما أنواع المصايد فكثيرة تتجاوز الحصر . ومنها ما كانت الفطرة البدوية هى الهادية إليها ، ليس فيها أثر للصناعة كالرّداحة ، وهى دعامة بيت يبنى من حجارة فيجعل على بابه حجر وتجعل لحمة السبع فى مؤخر البيت ، فإذا دخل وتناول اللحمة سقط الحجر على الباب فسده .

ومن المصايد ما كان للصناعة أثر فيه فدل على فكر صناعى مثقف . وقد استعمله العرب فى باديتهم أيام جاهليتهم : إما منقولا عن المتحضرين حولهم ، أو هو من بقايا مدينتهم القديمة فى اليمن ، ومن ذلك اللبجة . وهى حديدة ذات شعب كأنها كف بأصابعه ، تنفرج فيوضع في وسطها اللحم ثم تشد إلى وتد ، فإذا قبض عليها الذئب مثلا التبجت فى خطمه فقبضت عليه وصرعته . وغير ذلك كثير .

طرائد العرب

الطرائد جمع طريدة ، وهى ماطرد ، أى طلب من صيد . هذا تعريف كتب اللغة لها . فإن بقيت فى نفسك حاجة إلى معرفة الصلة بين طلب الصيد وأصل معنى الطرد المعروف ، وهو الإبعاد فاعلم أن طلبك للحيوان يستلزم فراره من أمامك وابتعاده عنك ، فكأنك بطلبه تطرده وتبعده ، وإن لم يكن ذلك قصدك ، فهذا ما يسمى عند علماء البلاغة بالمجاز المرسل ، إذ قد ذكر اللازم وهو لفظ الطرد وأريد ملزومه ، وهو طلب الحيوان .

والعرب تطلب من الوحش أنواعاً كثيرة ، فمنها : البقر الوحشية ، ويضرب بها المثل فى حسن العيون وسوادها ، وهى مما يصاد بالطَّرَد على الخيل . ويقال : إن أول من طردها ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان . ومنها الحمر الوحشية ، ويقال للأنثى منها أتان ، وللذكر حمار أو عَيْر ، كما يقال للحمر الإنسية وتسمى أيضاً الفَرَأ ، وهى من أسرع الصيد عدوا ، وأشده فى صيده استعصاء . وقد ضرب بها المثل فى كرمها على صائدها ، وعظيم استفادته منها فقيل : « كل الصيد فى جوف الفرا » . والمعنى أن الذى يظفر بالفرا فى صيده يكون قد نال خيرا كثيرا ، لما له من ضخم الجثة وكثرة اللحم ، كما أنه يكون قد دل على حذقه ومهارته لأن الفرا مشهور بشدة عدوه حتى إنه لا يتعلق به من الضوارى إلا العقَاب ، ولا شىء أبلغ فى صيده من النُشّاب .

وأول من قال هذا المثل رجل خرج مع اثنين من أصحابه . فأصاب أحدهما أرنبا والثانى ظبيا ، فافتخرا بما نالا . وكان هو قد أصاب فرأ ، فكان رده عليهما بتلك الكلمة التى ذهبت مثلا . وقد استعارها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطاب أبى سفيان يكرمه بها ويتألفه على الاسلام حين قال له : يا أبا سفيان أنت كما قيل : « كل الصيد فى جوف الفرأ » .

ومما يكثر طلب العربى له ، وهو كثير ببلاده ، الظباء . وهى تصاد بالفهد والكلب والعقاب والحبائل والأشراك . وربما صيدت بأهون المحاولات ، وذلك أن العربى عرف من طباعها حبها للنيران ، فإذا أراد صيدها أوقد النار فعشا اليها الظبى وأدام النظر فيها حتى يعشى ويذهل فيؤخذ على هذه الحال . وربما أضيف إلى ذلك جلجلة جرس أو قرع شن أو نحوه ، فيزداد لذلك ذهوله . ولهم فى صيده وسائل غير هذه .

ومما يصيده العربى فى باديته ويأكل لحمه : النَّعَام ، واحدته نعامة ، وهى طائر مركب من صورتى جمل وطائر . وبعض المتكلمين على طبائع الحيوان لا يجعلها طائرا وإن كانت تبيض ، لأنها لا تطير ، وفاته أنها تملك وسيلة الطيران وهى الأجنحة والريش ، ولكن الذى منعها من ذلك هو ضخامتها وثقل جثتها . وهى تسرع فى عدوها إسراعا يقرب من الطيران.

وقد عرف العرب عنها أموراً كثيرة ، منها : الحمق وذلك لأنها إذا كانت تحتضن بيضها ثم احتاجت لطلب الطعام فتركته ، لم تستطع العود إليه ، ونسيت مكانه ، فاحتضنت بيض نعامة أخرى ؛ كما أنها إذا رأت الصياد يحاول صيدها وقفت مكانها وأخفت رأسها تحت جناحها فظنت حين لا تراه أنه لا يراها فيأخذها بلا محاولة . وقالوا : إن النعام ليس له حاسة سمع ولكنه قوى الشم جدا ، فيستغنى بشمه عن سمعه . وهو لا يشرب الماء وإن طال عليه الأمد .

كما ذكروا أنه يتغذى بالصخر ، وقد عجب الجاحظ فى كتابه «الحيوان» من ذلك وإن لم ينكره ، فقد قال : « وفى ذلك أعجوبتان : إحداهما التغذى بما لا يتغذى به ، والأخرى استمراؤه وهضمه للشىء الذى لو ألقى فى شىء ثم طبخ أبدا ما انحل ولا لان . قال : ومن زعم أن جوف الظليم إنما يذيب الحجارة بقيظ الحرارة فقد أخطأ ، ولكن لابد من مقدار للحرارة مع غرائز وخاصيات أخر ، ألا ترى أن جوف الكلب والذئب يذيبان العظام ولا يذيبان نوى التمر ، ونوى التمر أرخى وألين وأضعف من العظام المصمتة . ثم قال : وباب آخر ـ وهو عندى أعجب من الأول ـ وهو ابتلاعه (أى النعام) الجمر حتى ينفذ إلى جوفه ، فيكون هو العامل على إطفائه ، ولا يكون الجمر هو العامل على إحراقه » .

ولم يقتنع الجاحظ بهذا الحكم حتى شهد تجربة التقمت فيها النعامة

أمامه الصخر والحديد محميين فى النار ، وفعلت ذلك مرات ولم يعترها منه شىء ، وكأنها لم تفعل إلا أمراً معتاداً .

وما أردنا بذلك الحديث إلا أن العرب قد درسوا طباع الحيوان لكثرة ممارستهم لصيده ، حتى كان علمهم فى ذلك علما جليلا نافعا مبنيا على ما هدتهم إليه تجربتهم فى بيئتهم .

الضوارى والجوارح

استعان العرب على الصيد بأنواع من الحيوان والطير وسموا ما اتخذ من الحيوان لذلك : الضوارى ، وما اتخذ من الطيور : الجوارح .

فأما الحيوان فكثير منه قابل للتضرية ، ولكن ذلك متعلق بمهارة السائس وحذقه ؛ فقدذكروا أن الذئب ضُرِّى حتى اصطاد الظباء وما دونها ، وأنه رجع لصاحبه من ثلاثين فرسخا ، وكذلك الأسد اصطيدت به الحمر الوحشية ، وابن عِرْس يجعل فى عنقه حبل ، فيدخل على الثعلب وجاره فلا يخرج إلا به . ولكن المشهور فى قبول التضرية هو الكلب والفهد . فأما الكلب فلا حاجة بنا إلى الدلالة على وفائه وذكائه وشدة حراسته ، فكل ذلك أمور متعارفة . ولكن الذى يهمنا من أموره فى باب الصيد أنه إذا عاين الظباء قريبة كانت أو بعيدة عرف المقتل وغير المقتل ، وعرف العنز من التيس . وهو إذا أبصر القطيع لم يقصد إلا قصد التيس - وإن علم أنه أشد حُضرا ، وأطول وثبة ، وأبعد شوطا - ويدع العنز . وهو يرى ما فيها من نقصان حضرها وقصر قاب خطوها . ولكنه يعلم أن التيس إذا عدا شوطا أو شوطين حَقِب[1] ببوله . وكل الحيوان اذا اشتد فزعه فإنه سيعرض له : إما سلس البول والتقطير ، وإما الأسر والحقب .

---

(١) تعسر عليه البول

وإذا تعب التيس لم يستطع البول مع شدة الحضر ، فيثقل عدوه ويقصر خطوه ، ويعتريه البُهْر حتى يلحقه الكلب فيأخذه . والعنز من الظباء إذا اعتراها البول لم تجمعه وحذفت به ، فتصير لذلك أدوم شدا وأصبر على المطاولة . وقد عرف الكلب ذلك بطبعه من غير تعليم .

أما الفهد فهو من الوحش الذى يؤنس . وطريقة تأنيسه أن يجعل فى بيت وعنده سراج ، ويعوّد الركوب على شىء يشبه ظهر الدابة حتى يتأنس . فإذا ركب مؤخر الدابة فقد صار داجنا وصاد . ومن طباعه شدة الغضب، فإذا أرسله صاحبه على صيد فأرجأ (لم يصد) احتد حتى كاد يقتل نفسه . فلا يسرى عنه الا تسلية صاحبه له .

أما الطيور التى تتخذ للصيد، وهى المسماة بالجوارح، فمنها (وهى ملكتها): العُقاب وهى أنثى ، أما ذكرها فهو طير آخر لطيف الجرم لا يساوى شيئا تلعب به الصبيان . والعقاب أعظم الجوارح جثة ، ومن أسرع الطير طيرانا . ذكروا أن عقابا حملت كف عبد الرحمن بن عَتّاب ـ المقتول يوم الجمل ـ من الكوفة الى مكة ، وقد تبينوها فإذا هى كفه . وأرخ ذلك الوقت فإذا هو يوم الجمل .

والعقاب لا يتعاظمها شىء من الوحش حتى إنها تصيد حمر الوحش ، وطريقة صيدها لها انها اذا رأتها رمت نفسها فى الماء حتى يبتل جناحاها ، ثم تقع على التراب فتحمل منه ما يعلق بجناحيها ، ثم تقع على رأس الحمار الوحشى وتصفعه بهما على عينيه فتمتلئان ترابا ، فيقف فيدركه الصائد .

ومن الجوارح : البازى ، وهو من أشد الحيوان كبرا ، وأضيقه صدرا ، ولا يكون إلا أنثى ، وذكرها من نوع آخر : حِدَأة أو شاهين أو غيرهما ؛ ولذلك اختلفت أشكال البزاة وهو يصيد وان لم يعلم الصيد ، فإنه يؤخذ من وكره قبل أن يصيد مع أبويه ، فيصيد ابتداء وقريحة من غير تضرية

السباق والرهان عليه

قال صاحب بلوغ الأرب فى أحوال العرب : « كان العرب يتسابقون فى أشياء كثيرة ، ولهم لعب مشهورة مشحون بها كتب اللغة . وقد أبطل الشرع السَبَق ، وهو المال الذى يؤخذ على المسابقة فى جميعها ، الا ما استثناه الحديث وهو قوله عليه الصلاة والسلام : « لا سبق الا فى خف أو حافر أو نصل » . أراد بالخف الأبل ، وبالحافر الخيل . والنصل هو السهم ، أراد به الرمى به . كل ذلك أباح فيه الخطر الذى كان عليه العرب أيام جاهليتهم ، لما فى ذلك من المصالح والفوائد التى تعين فى الحرب ، وتستوجب الفروسية ، ويجترئ بها الأنسان على المناضلة والنزال » .

وخيل العرب هى أجود الخيل وأقواها على العدو ، وقد عنوا بها قديما أتم عناية ، فعرفوا أنسابها ، وميزوا سلائلها ، وتعارفوها بالأسماء كأبنائهم.

ويحسن أن نعرض على أصحاب خيل السباق الذين يحبون أن تذكر خيولهم بالعتق وترجع فى نسبها الى خيل عراب ، نذكر لهم أسماء من خيل العرب لينحلوها خيولهم حتى يتم التوافق بين صفات خيلهم وأسمائها فتكون جميعا عربية .

فأشهر خيل العرب وأكثرها نسلا ودورانا فى شعرهم : أعوج ؛ وكان لغنىّ بن أعصر . ومن أسماء خيلهم أيضا : الأشقر ، والأحزم ، والأزور ، وحَوْمل ، وخِصاف ، وداحس ، والغبراء ، ومرهوب ، والنعامة ، ونَحلة ، واليَحْموم ، ولِزَاز (وهو اسم فرس لرسول الله أهداه اليه المقوقس مع مارية) . وقديما عنى العرب بالمسابقة بخيلهم ، واحتشد الناس لمشاهدة ذلك . وكانوا يفعلون كما نفعل من الاستشراف للنتيجة ، ونزوان القلوب عند

مشارفة الغاية ، ثم الهتاف للسابق وفرحهم بفوزه . وتتمثل ذلك فى قوله الخنساء تصف سباقا جرى بين أبيها وأخيها قالت :

جارى أباه فأقبــلا وهما   يتعاوران مُلاءة الُحضْر
حتى إذا نَزَتِ القلوب وقد   لُزَّت هُناك العُذْر بالعُذْر
وعلا هُتاف الناس أيهما   قال المجيب هناك لا أدرى
برزت صحيفة وجه والده   ومضى على غلوائه يجرى
أولى فأولى أن يساويه   لولا جلال السن والكِبْر
وهما وقد برزا كأنهما   صقران قد حطا إلى وكر

ومن هذه الأبيات نفهم مقدار عناية القوم بخيلهم ، وشغف جمهورهم بحضور مسابقاتهم ، فيكون منهم مثل ما يكون منا من الاستشراف وانتظار النتيجة والهتاف للفائز ، وتهنئته بالفوز وتعيير الخائب بخيبته ، حتى احتالت الخنساء على الخروج من هذا المأزق (وقد قيل لها اذا مدحت أباك فقد هجوت أخاك) بهذا الأسلوب البديع فى إثبات الفضل لأبيها فى سبقه والاعتذار عن أخيها فى تخلفه بأنه جدير أن يساويه فى الفضل وإحراز السبق ، لولا أن جلال السن وشرف المقام جعلا الولد يتزحزح عن الغاية لأبيه فيخليها له . وهذا أسلوب شهد ببراعة الخنساء فيه نقاد الأدب وصيارفة الكلام .

ومما يذكرون من أمثلة معرفة العرب بأنواع الخيل ما كان منها أصيلاً أو هجيناً أو مُقْرِفاً (١) ، أن سليمان بن ربيعة الباهلى عرض الخيل فمر عمرو بن معد يكرب على فرس فهجنه سليمان فاستعدى عليه عمرو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فدعا سليمان بإناء فيه ماء ، ثم أتى

(١) الأصيل ما كان أبوه وأمه عربيين . والهجين ما كان أبوه عربيا وأمه غير عربية ، والمقرف عكسه .

بفرس عتيق لا شك فى عتقه فأشرع فى الإناء فصف بين سنبكيه ومد عنقه فشرب . ثم أتى بهجين لا شك فى هجنته فأشرع فبرك وشرب . ثم أتى بفرس عمرو فأشرع فصف بين سنبكيه ومد عنقه ثم ثنى أحد سنبكيه قليلا فشرب . فقال عمر : أنت سلمان الخيل .

وفى رواية : أن عمر لم يكن حاضر هذا المقام . فلما قال سلمان لعمرو : فرسك هجين؛ قال له عمرو : أجل ، الهجين يعرف الهجين . وبلغت عمر فكتب إلى عمرو : قد بلغنى ما قلت لأميرك ، وبلغنى أن لك سيفا تسميه الصمصامة ، وعندى سيف أسميه مصمما ، وايم الله لئن وضعته لا أقلع حتى أبلغ به شيئاً قد ذَكَره من جوفه [1] ، فإن سرك أن تعلم أحق ما أقول ، فعد .

وفى هذه القصة دلائل كثيرة على اعتداد العرب بخيولهم ومعرفتهم بعتقها ، وعدهم تهجين الأصيل منها سبة ، يستعدى عليها السلطان ، ويتحاكم فيها إلى ولى الأمر .

الحلبة والرهان

الحلبة تطلق على معنيين نصت عليهما كتب اللغة . فأما أحدهما : فهو الخيل تجتمع للسباق . قال صاحب القاموس المحيط : الحلبة (بالفتح) الدفعة من الخيل فى الرهان ، وخيل تجتمع للسباق من كل أوب . وفى المصباح : الحلبة (وزان سجدة) : خيل تجتمع للسباق من كل أوب . يقال : جاءت فرسه فى آخر الحلبة ، أى فى آخر الليل .

أما المعنى الثانى فهو مكان السباق ، وقد نص عليه صاحب الأساس قال : وتجاوروا فى الحلبة وهى مجال الخيل للسباق .

---

(١) شيئا : القلب ؛ ذكره : أى ذكر الله تعالى

والرهان، مصدر راهن : بمعنى شرط شيئاً يأخذه السابق. وهذا المال المشروط يسمى الخَطَر أو السَّبَق. وخيل الحلبة عشرة، ولكل منها اسم: فالأول السابق أو المجلى، والثانى المصلى، والثالث المسلى، والرابع التالى. والخامس المرتاح، والسادس العاطف، والسابع المؤمل، والثامن الحظى. والتاسع اللطيم، والعاشر السُّكَّيت. وكان من عادة العرب أن تجعل للسبعة الأول أنصبة تختلف على ترتيبها، فأما الثلاثة الباقية فلا نصيب لها

وكانت للعرب شروط فى تحقيق السبق، وجواز المراهنة عليه، فقد اشترطوا أن تكون الخيل متقاربة فى الحال، فمتى تحقق حال أحدها فى السبق كان الرهان فى ذلك غير جائز، كما منعوا اشتراك المضمرة مع غير المضمرة، والعراب مع الهجان. وكانوا يعدون الفرس السابق بأذنه سابقا. هذا إذا تساوت الأعناق، فان اختلفت كان السبق بالكاهل.

والمسابقة من أمور الجاهلية التى أقرها الاسلام بشروط، ولم يعدها من باب تعذيب الحيوان. بل جعلها من المنافع لحاجة الانسان إلى الخيل فى الكر والفر. فأما الخطر ـ وهو الجعل الذى يكون لصاحب الفرس السابق ـ فقد اختلفت أحواله فى الاسلام عنه فى الجاهلية، فأحله فى أحوال. منها: أن يخرج الوالى، أو رجل من الناس متبرع، سَبَقا يجعله للسابق وليس له فرس فى الحلبة، فمن سبق فهو له. كما يجوز أن يقسم هذا السبق أقساماً، فيجعل للمجلى نصيب للموصلى غيره وهكذا، فيأخذ كل فرس ما شرط له عند فوزه. وهذه الصورة قد أباحها الأئمة جميعاً بلا استثناء، كما أباح بعضهم معها صورة أخرى. وهى أن يكون لهذا الوالى أو المتبرع فرس فى الحلبة، فإن سبق فرسه حبس مافرضه. وإن سبق غيره أخذ ما شرط.

وقد أجاز الشافعى رضى الله عنه أن يشترط كل من المتسابقين سَبَقا فيحرز السابق السبقين معاً. وكان هذا مباحاً فى الجاهلية على إطلاقه،

ولكن الاسلام اشترط دخول فرس ثالث يسمى الدخيل أو المحلل ، لا يكون عليه غرم إن تأخر ويكون له السبقان إن فاز ، وقد اشترطوا فيه أن يكون كفئا للفرسين اللذين جرى عليهما الرهان ، يخشى أن يسبقهما فيحرز السبق . فأما إذا كان بليداً مأمونا أن يسبق لم يحصل معنى التحليل ، وصار الرهان قماراً محرما .

هذا هو الذى أباحه الاسلام من أحوال المراهنة . وهو ما كان فى الجاهلية مع فروق لا تخرجه كثيراً عن الغرض الشريف الذى قصد منه ، وهو حمل أصحاب الخيل على العناية بها وإكرامها وانتخاب ماعرف بالعتق منها ، وهو غرض حربى جليل يحمل عليه صواب الرأى ، وتدعو إليه حكمة التدبير ، مع ما فيه من تسلية بريئة .

فأما ما نراه اليوم بيننا فى مصر فهو قمار بالغ الأذى ، ذريع الفتك بالثروات ، معجل بالخراب لكثير من البيوتات ، لأن جمهور النظّارة والمتفرجين يدخلون فى المخاطرة ويتراهنون على الخيل متعصبين لأحدها على غيره وهم ليسوا بفرسان ولا بأصحاب خيول ، فبان فى عملهم الجشع وحب الحصول على المال بلا كد ، واندفعوا فى ذلك حتى ليخرج أحدهم عن ثروته فى ساعة واحدة ، وفيهم إلى جانب عظماء القوم ، خدم المنازل وصغار الباعة والصناع يسهل عليهم التقدم بعرق جبينهم فى أسبوع كامل إلى بائع أوراق المراهنات ثم يظلون مستشرفين للنتيجة فتخيب آمال ، وتخوى بيوت ، وتطوى بطون ، وتعرى أجساد . ولأهون من كل هذا حُرِّم القمار !

إن انحصار المخاطرة فى أصحاب الأفراس ، أو تبرع العظماء برصد جوائزها ، فيه كل المعانى الجليلة التى نبهنا عليها ، من إحداث التنافس بين أصحاب الخيل وحملهم على الاعتناء بها وانتخاب جيادها . وهو نوع من

الذى يجرى بيننا فى كل شىء لا يقصد منه إلا شحذ الهمم وبعث العزائم، فهو مثل تلك الجوائز التى فرضها أصحاب الغنى للمخترعين والكاشفين والعلماء، وهو مقصد نبيل لا نزال نشكر المتبرعين فيه، ونضيف إليهم الفضل فيما يكون من نجاح فى نواحى حياتنا.

فأما مراهناتنا فما أجدرها بحزم الحكومة لترد هؤلاء الناس عن غواياتهم، وتوجه إلى الصواب مقاصدهم، وتوفر على الفقراء قوتهم.

الرمى بالسهام

لا شك ان هذا كان من علوم العرب الجليلة التى أخذوا بها أبناءهم ليعدوهم للحروب التى كانت لازمتهم فى حياتهم البدوية، وقد كانت القسى ورمى السهام أنكى أسلحتهم، وأعظم عددهم. وكانوا يتعلمون كيف يقف الرامى ويمسك القوس وينزع عنها، ومقدار ما يكون بينه وبين الهدف من قرب أو بعد أو ارتفاع أو انحطاط.

ولسنا مبعدين اذا تصورنا لهم مدارس خلوية يقف فيها الأحداث أمام الشُّداة يتلقون عنهم تلك الأساليب، ويتخرجون على أيديهم فى الرمى والطعن والضرب، ويكفى أن يقول الشاعر:

أعلمه الرماية كل يوم فلما استدّ ساعده رمانى

حتى نتصور مقدار عنايتهم بالرماية وعدها علما، واحتياجها الى المداومة فى التلقى.

كما نستطيع أن نفهم من الوضع اللغوى، وكثرة أسماء القوس وأجزائها، وأسماء السهام وأنواعها. وتفصيل حالات الإصابة ما يدلنا على اتساع مادة هذا العلم.

ويكفى فى هذا المقام أن نبين تفصيلهم للإصابة. فقد ذكروا أنها سبعة أنواع:

فالخاصل الذى يقرع الشن ولا يخدشه ، والخازق الذى يخدشه ولا يثقبه ، والخاسق الذى يثقبه ويثبت فيه ، والحابى الذى يدنى يده من الأرض فيمر سهمه على وجهها ثم يصيب الغرض . والمارق الذى يثقب الهدف وينفذفيه ، والخارم الذى يخرم طرف الشن ، أى يقطعه . والمزدلف الذى يسقط سهم على الأرض بقرب الهدف ثم ينحرف فيصيبه .

مراهنات النضال

ولقد كان للعرب فى رمى السهام مراهنات تدل على احتفالهم بهذا النوع من الرياضة ، فهم يجتمعون له كما يجتمعون لسباق الخيل . وقد عدوا من أنواع مسابقاته ثلاثة : فأولها المبادرة ، وهى أن يشترطا إصابة عشرة من عشرين ، فمن أحرزها فقد نضل صاحبه ، أى غلبه ؛ وثانيتها المحاطّة ، وهى أن يقولا : نرمى عشرين رشقا على أن من فضل صاحبه بخمس إصابات فقد نضله . أى أن كل واحد من المتراهنين يرمى عشرين سهما على الولاء ، وتحصى إصابات كل منهما ، فإذا زاد أحدهما على صاحبه بخمس كان هو الفائز ، وثالثتها المناضلة وهى أن يشترطا عشرة من عشرين على أن يرمى كل منهما عشرته ، فإن أصابا معا عشرة أو ما فوقها أو دونها لم يحصل النضل ، وان بلغ أحدهما العشرة أو زاد عليها ولم يبلغها الثانى فقد فاز الأول .

هذا ما تيسر لنا الإلمام به من أحوال العرب فى باديتهم فيما يتعلق بالبدن ورياضته بأنواع المسابقات والمغامرات ، ويصح أن نعود الى توفية الموضوع أو نتركه الى ما صاروا اليه فى أيام مدنيتهم ، وما اكتسبوه من جيرانهم . والله الهادى إلى أقوم سبيل .

محمود مصطفى

أدب الشباب

بقلم محمود البشبيشى

المدرس بدار العلوم

لا نكاد نجد عصراً تزاحم فيـه الشباب على شرعة الأدب كعصرنا هذا الذى تتهم فيـه اللغة بالضعف والانحطاط . وقديماً كانت ميادين الأدب لايصول فيها إلا الشيوخ ومن قاربهم ، وكانت المنابر الأدبية وأنهار الصحف حبسا عليهم دون غيرهم ، لايطمح اليها من الشباب إلا أولئك الموهوبون ، الذين لايخلو منهم زمن من الأزمان ، وكان من يتاح له ذلك من الشبان معدودا من نفحات الزمان .

وما أزال أذكر ذلك اليوم الذى مضى عليه أكثر من عشرين عاما وقد أعددت فيه قصيدة فى حريق ألمّ ببلدة « سلامون القماش » وأقدمت على نشرها فى الصحف العـامة ، فلما قبلتها مجلة « السفور » ، ونشرت بعض أبياتها ، ملأت الغبطة جوانب نفسى ، وعددت فى ذلك الوقت مغامرا حين طوعت لى نفسى أن أخوض ذلك المعترك ، وأطرق باب الصحف العامة .

نعم كانت أحوال الشباب العـامة والخاصة لاتشجعهم على التنافس والتماس العظمة من طريق النشر فى الصحف ؛ وكان لهذا أثره البالغ فى كَبْت مواهبهم وصدودهم عن ميادين الأدب إلا لسماع محاضرة أو قراءة صحيفة ، وقليل ذلك .

أما اليوم فماذا نرى؟ لقد انفسح أمام الشباب مجال الأدب ، ورُوخِيَ لهم فى حبال الحرية ، بعـد ما اهتز العالم كله عقب تلك الحرب الضروس

العامة ، فصارت الحال غير الحال ، وبدلت النفوس غير النفوس ، وكان للشباب من كل ذلك أوفى نصيب .

لقد أصبحنا نقرأ المجلات والصحف العامة فإذا هى تفيض بآثار الشبان : من بحوث فى الأدب ، وآراء فى الاجتماع ، وألوان من الشعر ، وفنون من الجدل . وإذا هى تنوه فى كثير من الأيام بدواوين شعر الشباب ، فلا نكاد نقرأ ديوانا إلا لنستقبل غيره ، وقد تتوالى الدواوين فى العام الواحد ، بل فى الشهر الواحد ؛ وكل منها ينافس الآخر بما يحمل من اسم طريف ، وطبع أنيق ، وافتنَان فى أغراض الشعر وأساليبه ، ومحاولات عنيفة فى سبيل السبق وإدراك الغاية . ولقد صرنا نشهد كثيرا من المناظرات الأدبية ، والاجتماعية ، فإذا طرفاها من أدباء الشباب ، وإذا أكثرهم لا يزالون طلابا ، وإذا التنافس يشمل الشبان والشوابّ . أما المحاضرات العامة والخاصة فلهم فيها جولات كثيرة .

تلك صورة عامة لأدب الشباب فى هذا العصر ، وإنها لصورة يغتبط بها رجال الأدب ، ويرتاح لها أنصار اللغة . وقليل من التشجيع والإرشاد يجعل منها أساساً وطيداً لنهضة من أعظم النهضات فى تاريخ الأدب العربى.

لا ننكر أن فى أدب الشباب نواحى يعوزها الصقل والتهذيب ، ولكن أى أديب بدأ حياته كاملا ؟ وأى غرس نجم قويا سامقا ؟ فليمض الشباب فى سبيلهم ، وليطلبوا المثل الأعلى فى اتزان وروية ، وليقبلوا النصيحة الخالصة بصبر وارتياح ، وليتخذوا من الماضى دعائم للمستقبل ، فإنه لا يثبتُ بناء لا أساس له ، ولا يقوى على هُوجِ الرياح إلا الدوحة القوية المعرقة ، ولا تنهض أمة تنخلع من ماضيها ، وإن لنا فى الأمم القوية الأخرى لأمثلة تحتذى ، وما أمتا الإنجليز واليابان عنا ببعيد .

فى كثير من شعر الشباب نواح تحتاج إلى العناية والتهذيب ، يرجع

بعضها إلى اللفظ ، وبعضها إلى الأوزان والقوافى ، وبعضها إلى الموضوعات والمعانى . وما أحوج أولئك الشبان إلى النقد الرفيق ، والنصيحة الهادئة ! وذلك فى اعتقادى خير علاج لما فى شعرهم من ضعف ، وأقرب طريق للقضاء على تلك النزعة الممقوتة ، نزعة التناكر والتنافس بين الشبان والشيوخ ، فإنها نزعة وخيمة العاقبة ، أقل ما تعقبه وقوع التباغض والتقاطع بين المشتغلين بالأدب ، واتساع مسافة الخلف بين المثقفين بالأدب العربى الصميم ، والناشئين فى هذه البيئة التى اختلفت ألوانها ، وتشعبت مسالكها ، وافتتن فيها كثير من الناس بتقليد الأدب الافرنجى فى جميع مظاهره ، وفى ذلك ما فيه من انصراف الشبان عن قراءة الأدب العربى ، وطبع بيانهم على غراره ، زهدا فيه ، أو مكابرة وعنادا . وفى الشباب عدة المستقبل وهم الماضون فى قافلة الحياة . وهم القائمون على أدب الجيل القادم ، رضينا أم سخطنا . فخير لنا وللأدب أن نشجعهم فى غير تفريط ، وأن نظهرهم على كنوز الأدب ، وأن نعمل على توثيق صلتهم به ، حتى يعكفوا على درسه ، ويقفوا على ما فيه من محاسن ، وبمثل هذا يخدم الأدب ، وبه نأمن العثار .

لست اليوم فى مقام الناقد المستقصى ، وإنما أجمل مآخذ هذا الشعر فيما يلى :

١ — الأوزان :

لا يزال كثير من الشبان الشعراء ومن إليهم يعكفون على الموشح والمزدوج ، وقد يكون الدافع إلى ذلك ما يجده الشاعر المبتدئ من صعوبة القافية لقلة زاده من متن اللغة ، وعدم درسه لكثير من مطولات الشعراء فى الجاهلية والإسلام ، ومادرى أولئك الذين يعولون على الموشحات فى جل أغراضهم أنها لم تخترع فى الشعر العربى إلا للغناء ،

وإذا خرجت عن هذا الغرض فبالقدر اللائق الذى لا يجعلها تطغى على بقية الأوزان . وأحب أن يعلم الشعراء أن لكل مقصد من مقاصد الشعر بحورا تلائمه ، ومن توفَّر على درس الشعر العربى لا يخفى عليه ذلك ، على أنى أحمد الله الذى صرف الناس عن تلك الفكرة التى ملأت بعض الرءوس وقتا ما ، وكانت تروّج لنبذ القافية . والخلط بين الأوزان العروضية على صورة أسْمَوها (مجمع البحور) . وفى اعتقادى أن خير علاج لهذه الحال أن يحبب الأدب العربى إلى النفوس بالإكثار من عرض صُوَره الرائعة ، وطبع نفائس شعر القدامى والمولدين ، وإعادة طبع أجمل المختارات الشعرية (كديوان الحماسة لأبى تمام) فى صورة رائعة مهذبة الشرح ، سهلة التناول .

٢ — القافية :

بعد هذه الخصومة بين الشبان والقافية عادوا إلى سلوك الجادّة ، فأخذوا ينظمون من البحور المأثورة ، ويلتزمون القافية ، ولكنهم أسرفوا فى التزام القافية ، وأطالوها أيما إطالة ، حتى جاء بعض القوافى قلقا نابياً يكاد يفقد الروعة الشعرية ، ويتجرد من النغمة الموسيقية . ومن الخير ألا تطول القصائد إلاّ حيث تسهل القوافى ، وليس طول القصائد فى كل وقت دليلاً على الشاعرية ، بل قد يكون بعض القوافى سببا لإسقاط القصيدة أو دليلا على ضعفها ، ومتى غزرت مادة الشاعر اللغوية ، وكثر اطلاعه على الأدب العربى ، صارت القوافى أكثر مطاوعة له ، وأصبح تطويل القصيدة مظهرا من مظاهر النضج الشعرى .

٣ — الموضوعات والمعانى :

قد يكون طبعيا أن يكثر جانب الحب والغزل فى شعر الشباب ، فإن لهم من نشأتهم واحتدام شبابهم باعثا قويا لا يمكن إغفاله . ولكن الذى لا يرتضيه الناقد البصير أن يستسلم الشبان لهذه النزعة فيطغى سيلها على

جنبات شعرهم، فإذا أكثره — عند بعضهم — فى الحب والغزل، وياليته بريء مع ذلك من كل ما يعيب الشعراء. إذًا لهان الخطب وارتقبنا أن تنقضى هذه الظاهره بانقضاء عهد الشبيبة المحتدمة، عهد غلبة العاطفة واحتدام الوجدان؛ ولكنا نلمح فى كثير من شعر الحب ضعفاً واستخذاء إذا اتسع لهما الأدب وقتا ما فما أجدره أن يضيق بهما فى عصرنا الحاضر، ذلك العصر الذى أخذ كل شيء فيه بأسباب النهوض، وجنح كل شعب فيه إلى القوة يلتمسها من طريق العلم والأدب. وهل نسى شبابنا الشعراء أن الشعر أقوى أسرًا، وأشد أخذًا، فهو من هذه الناحية أبلغ أثرا فى نفوس الشعب، يطبعها بطابعه العام. فما أجدر الشعب فى نهضته بكل أدب قوى! والقوة كما تكون فى الوصف وشعر الطبيعة تكون فى الحب والغزل، ويستطيع المحب والغزل أن يعرضا عواطفهما فى صورة قوية لا يجد القارىء فيها مغمزا، ولا يستولى الضعف على جميع أجزائها.

وهنالك ظاهرة أخرى لا تقل وضوحا عن سابقتها فى شعر الشباب، ولا تقل أثرا عنها فى توهين النفوس، وتفتير العزائم، هى ظاهرة التشاؤم التى كثرت ألوانها فى شعر كثير من الشبان، فهى - مهما يكن لها من روائع فى هذا العصر - باعث من بواعث اليأس، وداع من دواعى الفتور، وباب من أبواب الوهن، وقد تكون سدًا منيعا دون قوى المغامرة والمنافسة وعوامل الانتاج فى الأمة، وهى مهما تكن بواعثها لون من ألوان الحياة إذا جاز ألا يخلو منه الأدب فشعر الشيوخ المجربين أولى به.

لا أريد أن أطيل فى هذا الموضوع فقد طال الحديث فيه، وتناوله النقّاد بما لعلّه يصرف الشبان عن التعلق به رفقاً بأمتهم، وضنًّا بعزائمهم أن ترمى بالوهن والفتور أمام لأواء الدهر وصروفه، وما أحوج الأمم إبّان نهضتها إلى كل شعر يهون شاق الحياة، أو يصورها — وان كان

لا بد منه ـ فى صورة لا تبعث الونَى والقنوط ، بل تصغّرها فى عيون الناس حتى لا تكون عثرة فى سبيل الحياة .

وثَمة ظاهرة ثالثة فى شعر الشباب ، هى محاولة سوْق الحكمة وإرسال المثل ، ولا اعتراض لى على هذه الظاهرة إلا بما قد يكون فيها من تكلف وتعسّف . وفى اعتقادى أن الحكمة نتيجة التجارب الطوال ، وهى بشعر الحكماء المجربين أولى منها بشعر الشباب . على أنه لا مانع من التمسك بهذه الظاهرة ، إذا كان فى المستطاع إضافة شىء جديد على كنوز الحكمة المأثورة ، أما أن تكون صورةً لحكمة سبقت فأمر لا يخسر الشعر شيئاً بفقده ، فأولى للشبان أن يتوفروا على ما هم بسبيله من شعر الوصف والوجدان ، والقصص ، ووصف النفوس ، وتسجيل الظواهر الطبيعية والاجتماعية ، وتوجيه النفوس نحو المثل العليا وكل غرض يضيف ثروة طارفة علَى معانى الشعر ويساير قافلة الحياة ، ويبعث الآمال فى النفوس .

محمود البشبيشى

ننشر هذه الكلمة القيمة راجين أن يتابع الأستاذ البشبيشى بحثه هذا بما ينتظره القراء فى الأعداد المقبلة من الامثلة المختلفة ، يفصل بها ما أجمل فى هذه المقدمة البليغة . والعارفون بمدى اطلاع الاستاذ ، ومقدرته على تصوير أفكاره ، يترقبون على صفحات « صحيفة دار العلوم » شيئا كثيراً .

« صحيفة دار العلوم »

المُنْتَحِرَة

بقلم محمد برهام

الطالب بدار العلوم ، وشاعر مشروع القرش لسنة ١٩٣٥

تقدم « صحيفة دار العلوم » إلى قرائها شاعر من شعراء « دار العلوم » الناشئين النابهين ، وقد نال الجائزة الأولى فى مباراة الشعر لمشروع القرش فى هذا العام ، وأجيز بالوسام الذهبي . « المحرر »

عرفتُهَا نَشأتْ فى البيتِ وَادعةً تَشِعُّ بالطُّهْرِ وَالْإيمانِ عَيْنَاها

تَأْوي إذا الليلُ وافاها لِمَخْدعها وَلا تُفارقُ طُولَ اليوم مَأْوَاها

إذا النَّسِيمُ سَرَى صُبحًا، يُضَاحِكُها والشَّمْسُ إن طَالَعتْهَا ، قبَّلَتْ فَاها

لاَشَيءَ يَشغلُها إلا مَجَلَّتُها فِي مَجلَّتِها أَطْيَافُ دُنيَاها

وَزَهْرَةٌ غضَّةٌ ، بَاتتْ تُدَلِّلُها فى صُبْحِها تَتَولَّاها وَمَمْسَاها

تَقْضِي بجانِبِها السَّاعَات هَانئةً فى كُنَّةِ [1] البيتِ تَرْعَاهَا ،وأرعَاها

تَحْنو عليها فَتَسْقِيهَا لتُنْعِشَهَا وَتِلك تنفحُها شُكْرًا بِرَيَّاها

كلْتَاهُما زهرَةٌ فى كفِّ صَاحبه الله صاغهما فى الْحُسْنِ أشبَاها

كَمْ بِتُّ أَغْبِطُها طورا وأحْسُدُها على حياةٍ تراءتْ طوْعَ يمناها

وَمَا علمْتُ — ولهفي — أَنَّهَا أبدًا تَسُوءُ فى آخر الأيَّام عُقْبَاها

---

(١) الكنة : جناح يخرج من حائط أو سقيفة فوق باب الدار ، أو ظلة هنالك (البلكون) وقد أقر هذه الكلمة المجمع اللغوى فى إحدى جلساته فى الدورة الثانية

فَتًى دَنِيءٍ خسيسُ الطَّبْعِ جُنَّ بها ... وراح يَرْقُبُ مَغْدَاها وَمَسْرَاها
انْسَابَ ينصبُ فى مكرٍ حبائلَهُ ... أَنَّى يُحَدِّثُهَا أَو كيفَ يلقاها
فأَسْعَفَتْهُ عجوزٌ فى مآربه ... بَلْ تلكَ شيطانةٌ — أستغفرُ اللّٰه
مَضَتْ تُصَوِّرُه فى عَيْنِهَا مَلَكاً ... حَتَّى تهلَّل من بشرٍ مُحيَّاها
وَأَصْبَحَتْ تَتَمَنَّى لو يُتَاحُ لها ... لِقاءُ هـذا الَّذى قَدْ باتَ يَهْوَاها
وَلم تزَلْ تتناجَى بالغرَامِ، إِلَى ... أَنْ كان يومٌ فحَيَّتْه وَحيَّاها
كَبُرَتُ فى أَسَفٍ لَمَّا رَأَيْتُهُمَا ... عَلَى الفَضِيلَةِ ـ وَاُسْتشْعَرْتُ مَنعَاها
أَمْسَى يُبَادِلُهَا زُورَ الْكَلَامِ عَلَى ... زَعْمِ الزَّوَاجِ فَأَغْوَاهَا وَأَغْرَاهَا
فِى ساعَةِ الْبَيْنِ يَمْضِى يَشْتَكِى حُرَقًا ... وَسَاعَةَ الْقُرْبِ كَمْ قَدْ بَثَّهَا آهَا !
وَكَمْ غدَا ضارِعًا: رَيْحَانَتِى، مَلَكِى! ... لَوْلَاكِ أَنْكَرْتُ مِنْ دُنْيَاىَ مَعْنَاهَا
لَوْلَاكِ مَا اُئْتَلَفَتْ يومًا، وَمَا عَذُبَتْ ... لَا، لَا، وَمَا شِمْتُ حُسْنًا فِى ثَنَايَاهَا
مَحَاسِنٌ لكِ فِى عَيْنَىَّ قَدْ عَظُمَتْ ... لَوْ عَادَ يُوسُفُ فِى الدُّنْيَا لَأَطْرَاهَا
سِكِّينَةٌ مِنْ ثَنَاءٍ راح يَشْحَذُها ... وَنَغْمَةُ الْمَدْحِ قِدْمًا ما أُحَيْلَاهَا
أَلْقَتْ إِلَيْهِ زِمَامَ الْقَلْبِ وَاُنْخَدَعَتْ ... حَتَّى إِذَا اُنْتَبَهَتْ أَلْفَتْهُ خَلَّاهَا
فَيَا شَرَاهَةَ ذِئْبٍ مَا رَأَى حَمَلاً ... حَتَّى اُنْثَنَى وَهْو غَادٍ مِنْ ضَحَايَاهَا
كَذَاكَ مِنْ غَابِرِ الْأَزْمَانِ (يَا حَمَلٌ) ... قُتِلْتَ ظُلْمًا ـ وَمَا عَكَّرْتَ أَمْوَاهَا
رَاحَتْ تُحَنِّنُ قَلْبًا لَا يَلِينُ لها ... بِكُلِّ مَا مَلَكَتْ فِى الْأَرْضِ كَفَّاهَا
تُرَى أَيَسْمَعُ أَنَّاتٍ لِمَعْولَةٍ ... وَتِلْكَ شَهْوَتُهُ لِلنَّفْسِ أَدَّاهَـا

خلتْ إلى نفسِهَا تشكو ظُلاَمَتها لمَّا رأتْ خِدْنَها بالأمسِ عَادَاهَا
طَافتْ بِها الذِّكريَاتُ السُّودُ فانْدَفعتْ للنِّيلِ تغسِلُ مِنْ عَارٍ خطَايَاهَا
يا ليْتَ صوْتَ ضَمِيرٍ بات يُزْعِجُهَا مِن قَبْلِ عَثْرَتِهَا قَدْ كَانَ نَادَاهَا
ألْقَتْ بِجُثْمَانِهَا فى النِّيلِ صَارِخَةً تَقُولُ، وَالْمَاءُ يَعْلُوهَا وَيَغْشَاهَا :
رَبَّاهُ ! مَا بَعْدَ عِرْضِي ! ثُمَّ عَاجَلَهَا فَوْجٌ مِن الْمَوْجِ غَشَاهَا وَغَطَّاهَا
هَا فَانْظُرُوا جُثَّةً فى الْيَمِّ هَامِدَةً فَيَا لِجَفْوَةِ دُنْيَاهَا وَأُخْرَاهَا

محمد برهام

نُعْم

(لِنُعْمٍ) مُحَيًّا أَبْدَعَ الْحُسْنُ صُنْعَهُ فَإلاَّ يَكُنْ شَمْسًا فَكَالْقَمَرِ التِّمِّ
رَمَتْنِي فَأَصْمَتْنِي وَمِثْلُ جُفُونِهَا إِذَا مَا رَمَتْ عَنْ قَوْسِ حَاجِبِهَا تُصْمِي
مِنَ اللاَّءِ لاَ يَتْرُكْنَ قَلْبًا مِنَ الْجَوَى سَلِيماً، وَلاَ جِسْماً خَلِيًّا مِنَ السُّقْمِ
مُنَعَّمَةٌ أَهْدَى لَهَا جِيدَهَا الْمَهَا وَأَهْدَتْ لَهَا عَذْبَ الرُّضَابِ ابْنَةُ الْكَرْمِ
دَعَانِي لِحَتْفِي حُبُّهَا فَأَجَبْتُهُ وَلَمْ أَكُ مُخْتَاراً وَلَكِنْ عَلَى رَغْمِي
إِذَا أَوْمَضَتْ نُجْلُ الْعُيُونِ لِحَائِنٍ تَدَاعَى لَهَا فِي نَفْسِهِ رَاسِخُ الْحِلْمِ
أَقُولُ لِقَلْبِي حِينَ لَدَّعَهُ الْأَسَى وَمَنْ كَانَ ذَا قَلْبٍ فَبَشِّرْهُ بِالْهَمِّ
أَقَلْبِي لَكَ الْوَيْلاَتُ مَالَكَ كُلَّمَا نَهَيْتُكَ عَنْ نُعْمٍ أَبَيْتَ سِوَى نُعْمِ؟
تُمَنِّيكَ نُعْمٌ وَصْلَهَا فِعْلَ خَادِعٍ وَهَيْهَاتَ مَا مَنَّتْكَ ! مَنْ لَكَ بِالنَّجْمِ؟

علي الجندي

الوصف فى شعر امرئ القيس (١)

بقلم السباعى السباعى بيومى

المدرس بدار العلوم

٤

بعد مقتل أبيه

أما وقد أنهينا فيما سلف من مقالات الكلام على الوصف فى شعر امرئ القيس ، على حياة أبيه من نواحيه الثلاث . فإنا جاعلو هذا المقال للكلام عليه بعد مقتل أبيه . وليس بغائب عن القراء ما قلناه فى التمهيد ، من أن فنونه بعد هذا الحادث الخطير كانت : الوعيد ، والتهديد ، والتحمس ، والتفاخر ؛ وكانت : المدح ، والشكر ، والمعاتبة ، والهجو ؛ ثم كانت شكوى أيام جارت ، وتذكر عزة سلفت ؛ ذاك ما قلناه آنفا فى بيان فنونه وما نعيده الآن ليقع عليه الكلام .

أتى امرأ القيس بمقتل أبيه عامر العِجْليُّ وهو « بدمون » إحدى قرى اليمن ، مع نديم له يشربان الخمر ، ويلعبان النرد . فلما أخبره كفّ نديمه عن اللعب ، فقال له : العب . فما كنت لأفسد عليك دستك . حتى إذا فرغ الدست التفت إلى عامر فاستخبره تفاصيل الخبر ، وجرى لسانه يصف وقعه من نفسه بهذه الأبيات :

أتانى وأصحابى على رأس صَيْلَعٍ حديثٌ أطار النوم عنّى فأنعما (٢)

(١) راجع المقال الأول فى « صحيفة دار العلوم » العدد الأول (ص ٢٩ - ٣٩) والمقال الثانى فى العدد الثانى ص (٥٨ - ٦٨) ، والمقال الثالث فى العدد الثالث ص (٥٩ - ٦٧)

(٢) صيلع : جبل . ويقال جبل صليع (ككريم) اذا لم ينبت عليه نبت . فيكون كالأصلع

فقلت لعجليٍّ بعيدٍ مآبُهُ: أبِنْ لى، وبَيِّنْ لى الحديثَ المجمجما
فقال: أبَيْتَ اللعنَ، عمرٌو وكاهل أباحا حِمَى حُجْرٍ فأصبح مُسْلما[1]

ثم مكث ليلته مسهدا، قد طار نومه، وطال ليله، فقال راجزا:

تطاول الليل علينا دَمُّونْ دَمُّونُ إنَّا مَعْشَرٌ يَمَانُونْ
وإنَّا لأهلنا لَـمُحِبُّونْ

وهو رجز كما ترى يفيض على إيجازه بشعور ما أرقه من شعور، وذكرى لحسب يتقاضى صاحبه ما يتقاضى من دفاع.

وقال فى فداحة الحادث وتبعات ربيعة وتميم والأتباع:

أرِقْتُ لبرق بِلَيْلٍ أهَلّ يضىء سناه بأعلى الجبل
أتانى حديث فكذبتُـه بأمر تَزَعْزَعُ منه القُلَل
بقتل بنى أسَدٍ ربَّهـــم ألا كلُّ شىء سواه جَللْ
فأين ربيعة عن ربِّهـا؟ وأين تميمٌ وأين الخَوَلْ؟
ألا يحضرون لدى بابه كما يحضرون إذا ما أكل؟

ثم همَّ عائدا إلى الشمال، وأخذ يتهيأ لمحاربة بنى أسد لا يثنيه عنها رجاء ولا وعيد، وكله ثقة وأمل أن ينال منهم شفاء نفس، ويأخذ ثأراً يقر عين أبيه. وفى هذه الفترة - فترة الاستعداد - كان يصدر منه شعر التحمس، والتفاخر، والتوعد، والتهديد؛ فترى اللهب يلمع فى ثناياه، والدخان يتطاير من شظاياه. وهذا قبس منه يقول فيه مخاطبا نفسه ومتحدثا عن نفسه، وقد بلغه عن رجل من كنانة إخوةِ أسد يُدْعى أبا الأسود، أنهم غير مبالين بتهديده، قال:

---

(١) عمرو وكاهل من أسد وكذلك مالك، وكانوا ثلاثتهم أشد أسد تألبا على حجر.

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بالأثْمَدِ ونام الخلىُّ ولم تَرْقُدِ (١)
وبات وباتت له ليلة كليلة ذى العائر الأرمد
وذلك عن نبأ جاءنى ونبئته عن أبى الأسود
ولو عن نَثَا غيره جاءنى وجُرْحُ اللسان كجرح اليد،
لقلتُ من القول ما لا يزا لُ يُؤْثَرُ عنى يَدَ المُسْنَدِ

فأنت تراه يصف تطاول ليله لهذا النبأ ، ويذكر أنه بات فى أرقه مهموما مألوما . ويُسْبِل على هذا الأرق ما يجعله أشد إيجاعا وإيلاما ؛ إذ يجعله كأرق الذاهب إحدى العينين المرمود الأخرى ؛ ولكنه يعود فيهون على نفسه أثر ما قال أبو الأسود ـ وإن كان جرح اللسان كجرح اليد ـ لهوان أمر صاحبه عليه . ويقول إنه لو قد صدر عن غيره ممن يعنى بهم ، ويهتم لهم ، لقال فى الرد عليه قولا يبقى يد المسند يعنى أبد الدهر لفظة بلفظة . ثم يدع شأن هذا المهين جانبا ويخلص منه إلى خطاب من هم معه جميعا فيقول :

بأى عَلاقتنا ترغبون : أعن دَم عمرو على مَرْثَدِ؟
فإن تدفنوا الداء لا نخفِهِ ، وإن تبعثوا الحرب لانقعدِ ؛
وإن تقتلونا نُقَتِّلْكُمُ ؛ وإن تقصدُوا لدم نَقْصِدِ .

وفى هذا يقف منهم موقف الكفء للكفء . رابئا بنفسه أن يسكت معهم على تِرات ؛ ولكن كأنه وهو ملك يخاطب سوقة قد حز فى نفسه هذا التساوى فتذكر ماضيه وعاد يقول ـ كأنه قد عدل عن تلك المساواة ـ :

متى عهدُنا بطِعانِ الكما ةِ والمجدِ والحمدِ والسُّؤددِ ،
وبَنْى القِبابِ ، ومَلْءِ الجِفَا نِ ، والنار ، والحطبِ الموقدِ؟

(١) أثمد (كأحمد وقد تضم ميمه) : موضع باليمن .

ثم يوثّق هذا العدول ويذكر ما أعدّ لهذا الموقف الجديد من أدوات قتال . وما كان أقدره فى بيان هـذا الإعداد جمعا ، وأقصده فيه قولا ! وإليك ما قال :

وأعْدَدْتُ للحرب وَثّابةً جَوَادَ المُحَثَّةِ والمروَدِ
سَبُوحاً ،جَمُوحاً ،وإحضارها كمَعْمَعَةِ السَّعَفِ الموقَدِ .
وَمُـطّردا كرشاء الجَرو رِ مِنْ خُـلُبِ النخلةِ الأجْرَدِ
وَذَا شطَبٍ غامِضاً كَـلْمـهُ إذا صاب بالعظم لم يَنْأدِ
ومَسْرُودةَ الشكّ مَوْضُونَـةً تَضَاءلُ فى الطىّ كالمِبْرَدِ .
تفيضُ على المرء أردانهـا كفيض الأتىّ على الجَدْجَدِ .

فهو قد أعد لحربهم فرسا جوادا ، ذات وثوب قوى على الحث والإمهال ، تسبح بيديها ، وتعزُ فى جموحها ؛ وإذا ما أُحضرت سمعتَ لُحضرها صوت اللهب فى الحديد المتقد ، وأعَدَّ رمحا ممشوق الطول لحبل البئر المجرورة الماء البعيدة الغور ، الأملس الليف ، وأعد سيفا ذا طرائق لشدة لمعانه ، وإذا جرَح غمَض كَـلْمـهُ ، وإذا أصاب العظم نَفَذ فيه ولم يَنْبُ ؛ وأعد درعا محكمة النسج دقيقة الحلَق ، حتى انك إذا طويتها تحولتْ فى يدك لذلك ولطراءتها إلى حجم المبرد ، ولكنها حين تلبس تمتد وتفيض على اللابس سعة وتموُّجا كما يفيض الجدول على الأرض الصلبة الـمُسَوّاة طولَ تموُّج وصفاء ماء .

وقد استصرخ أول ما استصرخ بَكْراً وتَغْلبَ لِصِهْره منهما ، ولملك عمّيه فيهما .فأعاناه وأقبل بجموع منهما ومن كِنْدَةَ على أسد ، فارتحلت إلى كنانة خوفا وفرَقا ، فأتبعهم بجنوده وقد اتقوه بكنانة ، فوضع السيف فيها وهذا إذ يقول :

ألا يا لهفَ هند إثر قوم ٍ هم كانوا الشفاء فلم يصابوا
وقَاهم جدُّهم ببنى أبيهم وبالأشقَيْن ما كان العقابُ
وأفلتهنَّ عِلْبَاءٌ جَرِيضا ولو أدركنه صَفِر الوطابُ

فهند أخته، وقد نسب الحسرةَ إليها. لأن النساء فى ذلك أشد من الرجال، وبنو أبى أسد كنانة، وهما اخوان، أبوهما خُزَيْمة، وعِلْبَاء رجل من أسد كان قد أمر ابن أخته أن يطعن حُجْرًا وهو أسير فيهم قبل قتله، لأنه كان قد قتل أباه. ثم غادر امرؤ القيس كنانة إلى أسد. فأدركهم وقد جهدت خيله عطشا، فأثخن فيهم حتى حجزه الليل عنهم. فلبسوا ظلماءه هربا. وقد نجا فيمن نجا قَتَلَة أبيه موفورين لم يُكْلَمْ أحد منهم كَلْما؛ فلم تَشْتَف نفسه بهذه الموقعة، وقال متحسرا مهددا ناسبا الحسرة إلى هند أيضا:

يا لهفَ هِنْد إذ خَطِئن كاهلا القاتلين الملك الحُلاحِلا
خيرَ مَعَدٍّ حسبا ونائلا وخَيْرَهم ـ قد علموا ـ شمائلا
تالله لا يذهب شيخى باطلا نحن جَلَبْنا القُرَّح القوافلا
يحملْنَنَا والأسَلَ النواهلا وحىَّ صَعْبٍ والوشيجَ الذابلا
مُسْتَنْفِرات بالحَصَى جَوَافلا يستشرفُ الأواخرُ الأوائلا

* حتى أُبيد مالكا وكاهلا *

وهو رجز يحرك رمال الصحراء اضطرابا وفزعا، يخلص فيه من الأسف على عدم إدراك خيله كاهلا قتلة أبيه الملك العظيم، الذى لا يقف فضله على شعب قحطان، بل يتعداه إلى الشعب المعَدِّى ـ يخلص إلى القسم بأن دم أبيه لن يضيع وقد جلب للأخذ بالثأر الخيل بُزْلاً ضوامر، يحملنهم وفى أيديهم الرماح نواهل من الدماء، ومعهم حىُّ صعب فى مثل عدتهم، تسابق خيول هؤلاء خيول أولئك وكلها مسرعة مستنفرات بالحصى فى

طريقها إلى أمد، حتى تُبيد منهم مالكا وكاهلا.

وهذا لون آخر من وعيده ونخره يلوم فيه سُبَيْع بن الحارث وقد لامه على المبالغة فى ثأر أبيه وتوعَّده:

أبلغ سُبَيْعًا إن عرضتَ رسالة ... أنّى كظنك إن غشوتَ أمامى
أقصِرْ إليك من الوعيد، فإننى ... مما ألاقى لا أشُدُّ حزامى
وأنا المُنَبِّه بعد ما قد نَوَّمُوا ... وأنا المُعالِنُ صفحة النُّوّام
وأنا الذى عَرَفَتْ مَعَدٌّ فضله ... ونَشَدتُ عَنْ حُجْر ابنِ أُمّ قَطام
خالى ابنُ كَبْشَةَ قد علمتَ مكانه ... وأبو يزيدَ ورهطُه أعمامى
وإذا أُذيتُ ببلدة ودَّعتها ... بل لا أُقيم بغير دار مقام
وأنازل البطل الكريهَ نِزاله ... وإذا أناضل لا تطيش سهامى

وهذا شعر تشرق معانيه من خلال ألفاظه، وليس فى حاجة كالذى سلف إلى تعليق، فلنغادره إلى شعر آخر وصف فيه انتصاره وظفره — وقد نال من قتلة أبيه ما نقع فيه غلة، وشفى منه نفسا — هو الذى يقول فيه:

قُولا لِدُودَانَ عبيدِ العصا: ... ما غرّكم بالأسد الباسل؟
قد قرت العينان من مالك، ... ومن بنى عمرو ومن كاهل،
ومن بنى غُنْم بن دُودَانَ إذ ... نقذف أعلاهم على السافل
نطعَنُهم سُلْكَى ومَخلوجةً ... كَرَّكَ لأمَيْنِ على نابِلِ
إذهنّ أقساط كرِجْلِ الدَّبَى ... أو كَقَطا كاظمةِ النّاهِلِ
حتى تركناهم لدى مَعْرَكٍ ... أرجلهم كالخشب الشائل
حلّتْ لِيَ الخمرُ وكنت امرأً ... عن شُربها فى شُغل شاغل
فاليوم أُسْقَى غير مُسْتَحْقِب ... إثما من الله ولا واغِلِ.

فهو يعدد هذه الأحياء من أسد بعد هذه الموقعة الشافية ، ويطلب إلى خليليه المُتَخَيَّلَيْنِ - كما جرت سعادة الشعراء - أن يقولا لهم على سبيل التقريع مسائلين : ما غركم بالأسد الكريه اللقاء ؟ ثم يقول عن نفسه : فالآن قرت العينان له بالتنكيل بكم . وظهرت آثار الهزيمة والتقتيل شتى على جموعكم ، فَلَشَدَّ مَا قذفنا أعلاكم على سافلكم . وطعناكم على استقامة وفى انحراف ، مسرعين موالين ، كما يفعل النابل لا يزال يرجع إليه مُرْجِع ما يقذف من سهام ، غير مبالين بخيلكم وهى فى كثرتها كأرجال الجراد الصغير ، وفى سرعتها كقطا كاظمة الوَرُود ، حتى تركناكم فى المعرك أكداسا كالخشب الشائل بعضه فوق بعض ، ثم ينهى ذلك الظفر بأن الخمر أصبحت له طِلْقا وكانت قبل حراما .

على أن الدهر وقد أبى أن يصفو لامرئ القيس بعد هذا الانتصار لطلب المناذرة إياه بطل وعيده ، وتهديده ، وتحمسه ، وتفاخره ؛ وهام فى الجزيرة خائفا ، شريدا ، مُفزّعا ، مطلوبا ، ينطق بمدح وشكر إذا وجد مواليا ، ويهجو أو يعتب إذا لم يصادف مسعدا . ولكن أنى لامرئ القيس الذى نشأ أميرا ، يقول لنفسه ولهوه ، وتربى فى بيت ملك يكون فيه ممدوحا لا مادحا ، أن يقول الشعر على غراره الجيد رَغَبا ورهبا ؟ إنه قال فى هذه الناحية على إباء من طبيعته ، مضطرا مكرها ، فجاء شعره فيها بعيدا عن رصانته وقوته وابتكاره وقشابته ، فلم يقع فيه مما يقبل عن مثله إلا البيت ينفرُد من سائر الأبيات ؛ فهى ناحية جديرة بالترك لذلك ، ولأنها لا تنخرط معنا فى سلك الأوصاف .

أما الناحية الثالثة ، وهى شكوى الأيام الجائرة ، وذكرى العزة السالفة ، فقد جرى فيها على عادته صفى الخاطر رخىّ العنان .

قال ، وقد غلبت عليه القناعة بعد تطواف فى الجزيرة طويل ، يدفع

عن نفسه لوما ، ويعتذر عن حاضر بماض ، ويرضى بما فعل الدهر معه ، غير مرجّ منه خيرا بعد الذى فعل مع أبيه وأشراف بيته :

فبعضَ اللوم عاذلتى ، فإنى ستكفينى التجاربُ وانتسابى
وكل مكارم الأخلاق صارت إليه همّتى وبه اكتسابى
ألم أُنضِ المطىّ بكل خَرق أمقّ الطول لمّاع السّراب
وأركب فى اللُّهام المَجْرِ حتى أنال مآكل القُحَمِ الرِّغاب
وقد طوفت فى الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب
أبعد الحارث الملك ابن عمرو وبعد الخير حُجْر ذى القِباب
أرجى من صروف الدهر لينا ولم تغفُل عن الصم الصِّلاب ؟
وأعلمُ أننى عما قليل سأنشَب فى شَبا ظُفُرٍ وناب
كما لاقى أبى ، حُجْرٌ وجدّى ولا أنسى قتيلا بالكلاب

فهو يطلب إلى عاذلته أن تكف عن بعض لومه إن لم تكف عنه كله ذاكرا أن له تجارب ونسبا . وأنه لم يدع من مكارم الأخلاق مكرمة إلا صارت إليها همته ، ونالها اكتسابه ، مقدما إليها بعض ما كان له فى ذلك من ماضيه ، فهو صاحب المطايا يُهْزِلها بالسير فى كل مفازة بالغة الطول لامعة السراب ، وصاحب الجيش العظيم الكثير العَدد والعُدد يركب فيه حتى ينال من المصاعب المرغوب فيها على شدة اقتحامها ما يريد ، وهو ـ وإن انتهى مطافه فى الآفاق بسلامة الرجوع ـ غير متأذ من ذلك ولا خائف له عارا . بعد الذى حدث لجده الحارث وأبيه حجر ، وعمه شُرَحْبيلَ قتيل الكلاب ممن هم أمثلة على أن صروف الدهر التى لا تغفل عن تفتيت الأحجار الصلبة الصماء ـ وقد كانوا هم كذلك وأشد ـ ليس لعاقل أن يرجى منها خفضا ودعة ، وأن من وراء ذلك كله لمن تظاهرت

له بالوفاء منية ينشب منها فى شبا ظفر وناب ، فلا يغنى عنه فى دفعها ما يظن فيه غناء .

وقال ، وقد دفعت به همته إلى ألا يرضى ما صار إليه من قناعته بغير الملك ، ففكر فى أن يخرج إلى قيصر الروم مستنجدا إياه على المناذرة ثم خرج ومعه عمرو بن قميئه الْيَشْكُرِى وجابر بن يحيى التَّغْلبى . يصف هذا الخروج وحاله النفسية فيه ، بادئا بذكر أم عمرو :

أرى أم عمرو دمعها قد تحدرا بكاء على عمرو ؛ وما كان أصبرا !
إذا نحن سرنا خمس عشرة ليلة وراء الحِساء من يدافع قيصرا
إذا قلت هذا صاحب قد رضيتُه وقرت به العَينان بُدِّلتُ آخرا .
كذلك جَدِّى ، ما أصاحب صاحبا من الناس إلا فاتنى وتغيّرا .
بكى صاحبى لما رأى الدَّرْب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا .
فقلت : له لا تبك عينُك ، إنما نحاول مُلكا ، أو نموتَ فنعذرا .

وقد شاء جده العاثر أن ينتهى إلى ما انتهى به البيت الأخير فقد عاد من لدن قيصر صفر اليد مما أراد ، وأصابه ما أصابه فى طريقه من مرض كان لحمه ينتثر منه انتثارا ، حتى اضطر صاحباه أن يحملاه فى رِحَالة خشبية هى التى عناها إذ يقول متعزيا عن حاضره بماضيه :

فاما تَرَيْنى فى رِحالة جابر على حَرَجٍ كالقَرِّ يخفق أكفانى
فيارُبَّ مكروب كرَرْت وراءه وعانٍ فككت الكَبْلَ عنه ففدّانى
وفتيانِ صدق قد بعثت بسُحرة فقاموا جميعا بين عَاثٍ ونشوان
وخَرْقٍ بعيد قد قطعت نِياطه على ذات لَوْثٍ سَهْوَةِ المشى مِذعان
وغيث كألوان القنا قد هبطته تعاور فيه كل أوطفَ هتَّان

على هيكل يعطيك قبل سؤاله أفانين جَرى غير كزّ ولاوانِ
ومَجْر كغلاّنِ الأنَيْعم بالغ ديارَ العدوّ ذى زُهاء وأركان
مَطوتُ بهم حتى تكلّ غزاتهم وحتى الجيادُ مايُقَدْنَ بأرسان
وحتى ترى الجون الذى كان باديا عليه عوافٍ من نسور وعقبان

وكأنى به يخشى معاجلة المنية قبل أن يتم تعداد هذا الماضى فيسرع فيه إسراعا دونه سرعة شريط الخيالة: فيذكر المكروب يكر وراءه ليفرج عنه. والعانى الأسير يقصده ليفك كبله - فى بيت؛ فيذكر فتيان الصدق يبعثهم سحرا فيقومون ولا زالت فيهم آثار الخمر التى سقاهم من خلط ونشوة فى بيت؛ ثم يعود إلى جده فيذكر تقطيعه نياط الصحارى المترامية ذات الرياح المخرّقة، ممتطيا ناقته قوية البدن، مواتية المشى، مطواعا لراكبها فى بيت؛ ثم يذكر هبوطه النبت قد تلونت أنواعه بألوان الفنا وتعاور عليه من السحاب كل مسترخ هتان، على حصان يعطى الراكب أفانين جرى لاضيق فى أحدها ولا فتور. وإذ كان هذا أحب الأشياء إليه أيام لهوه فليكن فى بيتين؛ وليكن أحب الأشياء إليه فى أيام جده وهو الزحف بالجيوش فى ثلاثة أبيات بعده، يذكر فيها أنه أسرع إلى ديار العدو بجيش كثير كل شىء، من عدد وقوة يغطى الأرض كأنه ذلك النبات الكثير الكثيف المعروف باسم الغُلاّن فى أشهر الأمكنة بإنباته، وهو الأنَيْعِم. فلم يزل يغزوهم بذلك الجيش حتى كلت غزاتهم، وقيدت بغير أعنة خيولهم. وامتلأت بسوادهم الأرض تتخطف لحومهم عوافى النسور والعقبان.

وإن امرأ القيس لم ينس هذه الهمة فى نفسه، وتلك النجدة من قلبه حتى فى اللحظة الأخيرة التى كاد يسلم فيها الروح وإليك ماقال فى هذا الوقت العصيب يصف مرضه ويذكر نجدته وهو ما سنختم به هذه الأوصاف:

وبدلت قرحا داميا بعد صحة لعل منايانا تحولن أبؤسا
فلو أنها نفس تموت حميقة ! ولكنها نفس تساقط أنفسا .
وماخفت تبريح الحياة كما أرى، تضيق ذراعي أن أقوم فألبسا .
فإمّا تريني لا أغمّض ساعة من الليل إلا أن أكُبَّ فأنعسا
فيارب مكروب كررت وراءه وطاعنت عنه الخيل حتى تنفسا

السباعى السباعى بيومى

ساعة الغروب

بقلم محمود عبده الحمامصى

المدرس بالمدارس الملكية للبنات ببنى سويف

آذنت بالرواح بنت السماءِ فتداعت لها جيوش الفضاءِ
وترامت بأفقها فى خشوع فى ثياب من نسجها حمراءِ
ويح بنت السماء ماذا عراها من ذهول وصفرة وانحناء !
فتراءت ، وليتها ما تراءت فى ثياب غريبة دكناء !!
وبوجه من النوى فى قتام مثل وجه المريض حين الفناء
أكذا يفعل الفراق بوجه باسم الثغر مشرق وضاء ؟

٭٭٭

لبست برقع الحياء ، وماذا يرتجيه مودِّع فى حياء ؟ !
أكثر اللوم عاشق مستهام حين سارت وودعت فى خفاء

٭٭٭

ليت شعرى: وهل يواسيك شعرى فى اغتراب وفرقة وتناء ؟ !
ذاك مالى بذلته بسخاءٍ يوم شدت رحالها أسمائى

العقـــل العربى بين عهدين
قبل الإسلام وبعده (١)
بعض صوره فى الأدب

بقلم عبد اللطيف المغربى
المدرس بمعهد التربية للبنات

٢

جلونا فى مقالنا السابق صوراً من العقل العربى قبل الإسلام، وصورا جديدة رائعة له بعد الإسلام ـ فى التشريع، والعلوم، والفنون والجدل، والمناظرة ـ مما يعد أثمن ذخيرة فكرية ظفرت بها العربية ونهضت بها الإنسانية، وأحفل جمع من الشكول الممتازة بطابعها الإسلامى، وسموها الروحى، لم يع مثله التاريخ، ولم تطرب بشبيه له أذن الزمان. وفى مقالنا هذا نعرض للعقل العربى من الناحية الأدبية، فى الجاهلية عصر السذاجة والفطرة، وبعد الإسلام حين توافرت العصور على إنضاجه، وتواثبت عليه العوامل، وتزاحمت الآمال، وانفسحت امامه مطالع الفكر، واتسعت آفاق الحقيقة والخيال، وتواردت عليه صور الترف والنعيم فياضة، وتأتت له مظاهر الفلسفة والحكمة عذبة سائغة، فكرع ما شاء أن يكرع من تيارات الفكر والاجتماع المتلاطمة حوله، ونهل ما أحب أن ينهل من رحيق الأزاهير الحيوية الباسمة الناضرة أمامه، فإذا به ملتقى تراث الأوائل والأواخر، وطائر غرد فى رياض الأدب يشدو بأروع الأمانى والآمال، وأطيب الأغاريد والألحان،

(١) انظر المقال الأول فى « صحيفة دار العلوم » العدد الثالث (ص ٦٨ - ٧٥)

ويتسمع إلى متع الحياة ومباهجها وأسرارها وحكمها ، فيرسلها فى منفسح الكون وطيات العصور ، خفقات مصورة لقلب الإنسانية ، وخلجات لضميرها محددة .

ونحن إذا أوغلنا فى مناحى الأدب ، وحاولنا أن نعرضها على أقرب ما يكون من صور الإجمال والإيجاز ، فقد عرضنا لخضم عجاج لا قبل لنا بغمره ، ولقينا من وراء ذلك عنتا ينضى الهمم ويفل العزائم ، وأعوزتنا الساحة التى نعرض فيها الكثير الجم من ذخائره ، والممتع العذب من نفائسه . لهذا نرد وجه القلم إلى أيسر الطرق وأقرب الغايات ونعرض على القراء الكرام صورة من صور العقل العربى نبين لهم فيها نموه وتدرجه ، وأثر الأزمنة والثقافات المختلفة فى تغذيته وإنضاجه حتى كانت ثماره المختلفة أصدق مرآة وأدق مقياس لمراتب تدرجه وترقيه فقوى واستشرى ، وتعمق فى المعانى واستقصى ، وعاد لا يقنع بما توحى به الفطرة الساذجة ، واللمحة الطارئة ، وتتبع المعنى الواحد موغلا فى مناحيه وأعطافه ، حتى وصل منه إلى الغاية التى ليس وراءها لمستزيد مطلب ، وأفرغ عليه ألوانا زاهية انتزعها من روح العصور المتعاقبة . انظر إلى خفقته الجاهلية حول الموت وما يلابسه من أحوال . يقول الأسود بن جعفر النهشلى :

ولقد علمت سوى الذى نبأتنى أن السبيل سبيل ذى الأعواد :
أن المنية والحتوف كلاهما يوفى المخارم يرقبان سوادى
لن يرضيا منى وفاء رهينة من دون نفسى طارفى وتلادى

ويقول المرقش الأكبر :

ليس على طول الحياة ندم ومن وراء المرء ما يعلم
يهلك والد ويخلف مو لود وكل ذى أب ييتم

وهاتان صورتان للمعنى فطريتان ساذجتان تدوران حول أن الحياة منتهية إلى ما انتهت إليه حياة السابقين، وأن الموت يرقب شخص الشاعر ولن يرضى منه وفاء للرهن إلا نفسه، وأن ليس على طول الحياة المحبوب إذا فات ندم ما دامت عقبى الحياة الموت، وما الحياة إلا حركات متعاقبة تتكشف عن أب يذهب ومولود يخلفه. وكل ذى أب سيفقده وكل أولئك وحى التجربة والمشاهدة، والصورتان أصدق مرآتين للعقل الجاهلى فى قرب متناوله للمعنى وسذاجة الفكرة.

ثم استقبل معى بإعجاب وإجلال هذا المعنى من صقر الشعراء المتنبى. حيث سما فيه إلى غاية بعيدة، ونال منه ما لم يسبق إليه، فقال:

لا بد للإنسان من ضجعة ... لا تَقْلِبُ المُضْجَعَ عن جَنبِهِ
ينسى بها ما كان من عُجْبه ... وما أذاق الموت من كَرْبِهِ
نحن بنو الموتى، فما بالنا ... نعاف ما لا بد من شربِهِ
تَبْخل أيدينا بأرواحنا ... على زمان هى من كسبِهِ
فهذه الأرواح من جوِّه، ... وهذه الأجسام من تربه
لو فكر العاشق فى منتهى ... حُسْنِ الذى يَسْبيه، لم يَسْبِهِ
يموت راعى الضأن فى جهله ... ميتة «جالينوس» فى طبه
وغاية المفرط فى سلمه ... كغاية المفرط فى حَرْبِهِ

فانظر إلى ما تختال فيه هذه الصورة الشعرية للمعنى من ألوان وثمار منوعة هى ثمرة الحضارة، وفيض لغزير الثقافة. ألست تجد أثر الفلسفة ظاهراً جليا فى فكرة المتنبى؟ إنه يحدثنا عن تناشؤ الأرواح من كرور الأيام، ويرى طبيعيا أن ترجع إلى مصادرها، لأنها من كسب الزمن:

تبخل أيدينا بأرواحنا ... على زمان هى من كسبه

ثم هو يتكلم فى تركب الإنسان من جوهرين: لطيف وهو الروح،

وكثيف ، هو الجسم . فاللطيف من الهواء ، والكثيف من التراب ، متأثرا بقول الحكماء : اللطائف سماوية ، والكثائف أرضية ، وكل عنصر عائد إلى عنصره :

فهذه الأرواح من جوه وهذه الأجسام من تربه

وقد ملح فيلسوف الشعراء المعرى وظرف حيث ألبس المعنى ثوبا جديداً رائعا ، وأفاض عليه صورا حسية تهز القلب ، وتثير كوامن الوجدان وتأخذ على النفس منافذ الأمل ، فإذا بها رهينة اليأس ، حليفة الحزن ، ضيقة منقبضة ، فاستمع اليه والمس قلبك لا يطر شعاعا من الهول إذ يقول :

غير مجد فى ملتى واعتقادى نوح باك ولا ترنم شادى
وشبيه صوت النعى ، إذا قيس ، بصوت البشير فى كل ناد
أبكت تلكم الحمامة ، أم غنت على فرع غصنها المياد ؟
صاح ! هذى قبورنا تملأ الرحب ؛ فأين القبور من عهد عاد ؟
خفف الوطء ، ما أظن أديم الأرض إلا من هذه الأجساد
وقبيح بنا ، وإن قدم العهد ، هوان الآباء والأجداد
سر ، إن اسطعت ، فى الهواء رويدا لا اختيالا على رفات العباد
رب لحد قد صار لحدا مرارا ضاحك من تزاحم الأضداد
ودفين على بقايا دفين فى طويل الأزمان والآباد

قف أمام هذه القطعة الخالدة وصوب النظر وصعّده فيها تجدها قد غمرتك بمعانيها المختلفة الرائعة . وفاجأتك بغرائب تلمس منك أعمق الوجدان ، وتسير من نفسك فى أدق مسالك الشعور . وهل بعد أن الناس تفنى وتحور أجسادها رمادا تطؤه الأقدام ، وأن ليس مكان خاليا من تراب أجسامهم ، ما هو أدعى إلى الأسى وأفتك بالقلب ؟ ولقد

ألح اليأس والحيرة على شاعرنا المتألم فدفعاه إلى تلمس طريقة يتقى بها هوان الآباء والأجداد بالمشى على بقايا أجسادهم، فلم يجد أمامه إلا الدعوة إلى الطيران فى الهواء، وما إلى ذلك من سبيل. وفى القطعة معان مؤثرة ندع إلى القارىء أن يتعرفها بنفسه، ويزنها بخبرته، فإنها ستثير منه شعورا وتحرك فى نفسه أسى.

وقد انتهت الزعامة فى هذا المعنى إلى الشاعر الفيلسوف المتحير عمر الخيام. فقد تأثر بهذا المعنى تأثرا عميقا، وأبرزه فى عدة صور لمكانته من نفسه، وسيطرته على شعوره؛ وقد شاء أن يصوغه فى قوالب حسية، كما هى ميزة العقل الآرى ونزعته. فاستمع إليه إذ يقول فى الصورة الأولى:

ولكم خلت ما اقتطفت بنفسج
وترفقت أنه بين عوسج
وهو خال نام بخد فتاة
بدر حسن فى ظلمة القبر غابا
وثغور الأزهار يا ذا الحبيب
من ثغور سناؤها محجوب
لك قلب وفى الأديم قلوب
ضجعة اللطف فوق هذا النبات
فهو نام من أكبد النائمات
فى مهود فيها السبات عميق
لا مفيق منه بهن أهابا

ويقول فى صورة ثانية يصف طينة فى يد الخزاف:

وكأنى أسمعت بين يديه
صوت ذات مظلومة تشتكيه

آه رفقا فأنت طين وماء
أيها المرءلا تسمنى العذابا
إنما ارفق فسوف تطلب رفقا
من حريف تزول أنت ويبقى
فبقايا الأسلاف ما أنت منه
صانع ما يحير الألبابا

ويقول فى صورة ثالثة يصف أثر رش الأرض بالماء :

ماجزافا ما قد أراق السقاة
لا ، لعمرى، بل تلكم صدقات
إنما الترب يا ندامى رفات
فليريقوا فتلكم القطرات
لكُبود تذيبها الحسرات
وليريقوا لعلها مطفئات
لوعة فى الثرى تؤج التهابا

والحق أن الشاعر قد أبدع وأخصب ، فأتى بمعان مختلفة للمعنى الواحد، وانتحى به ناحية الاختراع والابتكار. فنى الصورة الأولى تصور أن الأزهار نامية من خدود فى ظلمة القبر ، وأن النبات نام من كبود فى مهد الموت ، مهد السبات العميق . وفى الثانية يصور لك أن الطينة فى يد الخزاف تئن وتشتكى وتطلب رفقا ، وأنها من بقايا الأسلاف. وفى الثالثة يحمد للسقاة مايصبونه على الأرض من الماء لأنه يسقى ترابا هو رفات الآباء والأجداد ، ويسقى كبودا حرّى فى الثرى .

فهل بعد ذلك إجادة وثروة فكرية ينفق منها الشاعر ما شاء فى تصوير

المعنى الواحد ؟ إن هذا حظ من الإتقان والإبداع لا يوفق إليه إلا من أوتى عقلا عظيما متوثبا . وعندى أن هـذا الخصب والنماء العقلى فى عمر الخيام وليد مزاجين : مزاج فارسى آرى ، ومزاج إسلامى سامىّ ، وقد عاوناه على إبراز هذا المعنى فى الصور المختلفة السابقة .

نقول هذا بعد أن سقنا هذه الثمرة الشهية فى الأدب ، ووضحنا طريقة يجب أن يدرس على غرارها كثير من الموضوعات فى الأدب العربى . ونحب أن نشير إلى دعاة التجديد وإلى المتصدرين لزعامة الأدب أن ينهجوا مثل ذلك الطريق فى بيان كنوز الأدب وكشف نفائسه ، وذلك أفضل وأجمل من كثرة الصياح والجلبة بلا طائل ، وأن يحببوا إلى الناشئين الأدب العربى بمثل هـذه الثمرات المرجوة المدخرة ، بدلا من الهيام بالأدب الفرنجى ، والتفخيم من شأنه ، والإغراق فى امتداحه ، وتهوين أمر الأدب العربى ، إن كانوا يريدون بلغتهم وقوميتهم الشرقية خيرا . وكفانا ما زحفت به علينا المدنية الغربية من ألوان التفكير والأساليب ، وما غمرت به حياتنا الاجتماعية من نزعات وصور ، تذوقنا الكثير منها . فألفيناه مرا مجافيا لأمزجتنا ونشأتنا . وأصبحنا نئن منه ومن نتائجه .

هذه كلمة نسوقها فى إخلاص وحسن نية إلى المعجبين بالأدب الغربى ، الغاضين من شأن أدبهم . وموعدهم معنا الأعداد التالية نطالعهم فيها بروائع أدبنا العربى .

عبد اللطيف المغربى

الخطيئة

ليس الشاعر « سيد قطب » فى حاجة إلى من يقدمه إلى القراء عامة ، أو إلى قراء « صحيفة دار العلوم » خاصة ، فسيد قطب » اسم ملأ سمع العربية وبصرها ، وهو يمتاز بعقيدة راسخة ، يقف إلى جانبها ، وقلم مطاوع لا يستعصى ، ولكنه لا يطيع إلا عقيدته . ولشعره وكتابته طابع خاص هو طابع التحليل النفسى . تقرأ ذلك فى كتابه « مهمة الشاعر فى الحياة » وفى ديوانه الذى ظهر حديثاً « الشاطىء المجهول » والقطعة الآتية باكورة الجزء الثانى من ديوانه الذى نرجو ألا يكتهل العام إلا وهو مطبوع بين أيدى القراء « المحرر »

من خِلال الظَّلماء[1] فى بهْمَةِ الليـــلِ[1] تَمَشَّتْ كالحيَّةِ الرَّقطاءِ

تُوقظُ الجسمَ والغريزةَ بالْهَمْـــسِ وتطغى على الحِجا والذكاء

وَهْىَ من خشية الضَّميرِ توارَى فى زوايا الميولِ والاهواء

فإذا شعَّ مِنْ سناهُ شعاعٌ أرْجَفَتْ منه ، وانزوتْ فى التواء

وإذا خيَّم الظَّلام تراءتْ فى احتراس من أعينِ الرقباء !

* * *

لحظةٌ تلك ، ثم خيَّم صمتٌ وظلامٌ ؛ فما ترَى من ضياء

فمضتْ تضرمُ الغريزةَ ناراً وتُثيرُ الشُّواظَ بين الدِّماء

البِدارِ البِدارِ يأيها الْجِسْـــمُ ، شِفاءٌ من الطَّوَى والظَّماء ![2]

* * *

وتوارى «الإنسانُ» حين تبدَّى « حيوانٌ » ذو شِرَّةٍ نكراء

وإذا بالخطيئةِ السَّوْءِ نَشْوَى بانتصارٍ ، نالتْهُ فى الظلماء !

سيد قطب

---

(١) كل ما فى القصيدة من ألفاظ الظلام والليل يقصد بها الظلام المعنوى المضاد لضوء الفكر وسنا الضمير ، اللذين تهرب منهما الخطيئة . (٢) هذا نداء الخطيئة .

أبو الطّيّب المُتنبّي

هـــل ادعى النبوة حقا ؟

بقلم علي النجدي ناصف

مفتش المعارف بحلوى

خرج المتنبي إلى البادية وهو في الشام ، كما خرج إليها وهو في العراق . لكنه كان في بادية العراق طالبا ليس غير ، يريد أن يتضلع من اللغة ، ويتمرس بأسباب البيان . أما في بادية الشام فيعزى إليه ـ من روايات وأقاويل يشوبها الغموض والاضطراب ـ أنه كان طالبا ، وكان متنبئا أيضا ، استطاع ببعض الحيل أن يفتن خلقا كثيرا ؛ فاستجابوا له ، وخرجوا معه ينافحون عن دعوته . ودونك بعض تلك الروايات والأقاويل :

قال صاحب الصبح المنبي قال أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقي : قدم أبو الطيب المتنبي اللاذقية في سنة عشرين وثلثمائة ، فلما تمكن الأنس بيني وبينه قلت له : والله إنك لشاب خطير ، تصلح لمنادمة ملك كبير ؛ فقال : ويحك ! أتدري ما تقول ؟ أنا نبي مرسل ؛ فقلت له : مرسل إلى من ؟ فقال : إلى هذه الأمة الضالة ؛ فقلت : ذكرت أنك نبي مرسل إلى هذه الأمة ، أفيوحى إليك ؟ قال : نعم ؛ قلت : فاتل علي شيئا مما أوحي اليك . فأتاني بكلام ما مر بسمعي أحسن منه . قلت : أسمع في هذه العبارات أن لك طاعة في السماء ، فما هي ؟ قال : أحبس المدرار ، لقطع أرزاق العصاة والفجار ؛ فإن حبست المطر عن مكان تنظر إليه ، ولا تشك فيه هل تؤمن بي ؟ قلت : إي والله ؛ قال : سأفعل .

فلما كان بعد أيام تغيمت السماء في يوم من أيام الشتاء، وإذا عبده قد أقبل، فقال: يقول لك سيدى: اركب للوعد. فبادرت إلى الركوب معه. وقلت: إلى أين ركب مولاك؟ قال: إلى الصحراء. واشتد وقع المطر، فقال: بادر بنا حتى نستتر من هذا المطر مع مولاى، فإنه ينتظرنا بأعلى تل لا يصيبه فيه المطر. فأتيت إليه، فإذا هو على التل، ولم يصبه من ذلك المطر شيء، وقد خضت فى الماء إلى ركبة الفرس، والمطر فى أشد ما يكون. فسلمت عليه فرد على السلام، فقلت: ابسط يدك أشهد أنك رسول، فبسط يده، فبايعته بيعة الإقرار بنبوته، وأخذت بيعة لأهلى. ثم صح بعد ذلك أن البيعة عمت كل مدينة فى الشام. ولما اشتهر أمر المتنبى، وشاع ذكره. وخرج بأرض سَلَمية من عمل حِمْص فى بنى عدى، قبض عليه ابن على الهاشمى فى قرية يقال لها: «كوتكين» وأمر النجار أن يجعل فى رجله وعنقه قرمتين من خشب الصفصاف (١).

وهذه القصة - إذا لم يكن بد من النظر فيها، والإغضاء عن خرافاتها - تنطوى على أشياء مريبة، تدعو إلى الشك فى صحتها، فهى تفيد أن دعوة المتنبى نبتت فى اللاذقية، ثم امتدت إلى سائر بلاد الشام. والمفهوم من الروايات الأخرى - وهى كثيرة - أن الدعوة بدأت وانتهت فى البادية كما سيأتى. على أن مثل هذه الدعوة إذا أمكن أن يستجيب لها أهل البادية، فلا يرجى أن يستجيب لها أهل المدن، وبخاصة أن صاحبها غلام بائس غريب، لا يكاد الناس يعرفون من أمره شيئا مذكورا. ثم إن حدوثها فى المدن أجدر أن يسرع بنبئها إلى آذان الولاة وأصحاب السلطان فى دولة فتية كدولة بنى الإخشيد يومئذ (٢). فيعاجلوها بعزيمتهم

---

(١) الصبح المنبى: (١ : ٢٥ - ٣٤) ببعض الاختصار.
(٢) سيأتى أن خروج المتنبى كان فى عصر الدولة الاخشيدية لا قبله.

الحاسمة، ويقضوا عليها قبل أن تدرج من مهدها .
وأخرى تفيدها هذه القصة :أن المتنبي كان إذ ذاك فى سعة ويسر ؛ إذ كان لديه عبد يقوم على خدمته . والناس مجمعون على أن أسرة المتنبى كانت رقيقة الحال، وأن المتنبي لم يزل فى عسر وضيق إلى ما قبل اتصاله بسيف الدولة بقليل . ومع ذلك ، إذا نحن جردنا القصة من هذه الشوائب وجدناها تدل بجوهرها على أكثر ما تدل عليه الروايات الآتية من الوقائع . فلنتركها الآن جانبا ، ولنستعرض أقوال بعض الرواة الآخرين .

قال البغدادى : وقد كان المتنبى لما خرج إلى كلب وأقام فيهم ، ادعى أنه علوى حسنى، ثم ادعى بعد ذلك النبوة ، ثم عاد يدعى أنه علوى . إلى أن أُشهد عليه بالشام بالكذب فى الدعويين ، وحبس دهرا طويلا ، وأشرف على القتل ، ثم استتيب وأُشهد عليه بالتوبة وأطلق .

أخبرنا التَّنُوخِيّ حدثنى أبى قال حدثنى أبو على بن حامد قال :

سمعت خلقا بحلب يحكون — وأبو الطيب المتنبى بها إذ ذاك — : أنه تنبأ فى بادية السماوة ونواحيها ، إلى أن خرج إليه لؤلؤ أمير حمص من قبل الإخشيدية فقاتله وأسره ، وشرد من كان اجتمع إليه من كلب وكلاب وغيرهما من قبائل العرب ، وحبسه فى السجن حبسا طويلا : فاعتل ، وكاد أن يتلف ، حتى سئل فى أمره فاستتابه [1] .

وقال الثعالبى : وبلغ من كبر نفسه ، وبعد همته أن دعا إلى بيعته قوما من رائشى نبله ، على الحداثة من سنه ، والغضاضة من عوده ، وحين كاد يتم له أمر دعوته تأدى خبره إلى والى البلدة ، ورفع إليه ما هم به من الخروج ، فأمر بحبسه وتقييده . ويحكى أنه تنبأ فى صباه ، وفتن شرذمة بقوة أدبه ، وحسن كلامه [2] .

---

(١) تاريخ بغداد : ٤ : ١٠٣ ، ١٠٤ .
(٢) أبو الطيب المتنبى وأخباره : ٨ ، ٩ .

وقال ابن خلكان : وإنما قيل له المتنبى لأنه ادعى النبوة فى بادية السماوة ، وتبعه خلق كثير من بنى كلب وغيرهم ، فخرج إليه لؤلؤ أمير حمص نائب الإخشيدية ، فأسره ، وتفرق أصحابه ، وحبسه طويلا . ثم استتابه وأطلقه[1] .

وقال الأنبارى : وكان المتنبى لما خرج إلى كلب وأقام فيهم ادعى أنه علوى ، ثم ادعى النبوة . ثم عاد يدعى أنه علوى ، إلى أن أشهد عليه فى الشام بالتوبة وأطلق وهنا أورد الأنبارى حديث أبى على بن حامد المار ذكره فى رواية البغدادى[2] .

وإذا أنت قابلت هذه الروايات بعضها ببعض رأيتها متفقة الدلالة على أن أبا الطيب ادعى النبوة فى بادية السماوة ونواحيها : فقبض عليه ، وحبس حينا ، ثم عفى عنه ، وأخلى سبيله ، إلا أن رواية الثعالبى ـ فضلا عن ذلك ـ تفيد أنه دعا إلى بيعته جمعا من أترابه ، ولكنه قبض عليه قبل أن يتم أمر دعوته . ولسنا ندرى على التحقيق ماذا يريد الثعالبى بذلك . أيريد أن المتنبى خرج مرتين : مرة لطلب الرياسة والملك ، وأخرى لدعوة الناس إلى الإيمان بنبوته ، فيكون من أجل ذلك حبس مرتين ؟ أم يريد أن المتنبى لم يثر إلا لطلب الملك ، لكن بعض الناس تقولوا عليه الأقاويل . ونسبوا إليه زورا أنه ادعى النبوة ؟ إننا نستبعد أن يريد الأول ، وإن كان البغدادى والأنبارى كلاهما يذكر أن المتنبى انتسب إلى العلويين مرتين ، مما يمكن أن يفهم منه بادى الرأى أن إحداهما كانت تمهيدا للتنبؤ ، والأخرى كانت تمهيدا للخروج فى طلب الرياسة والسلطان . نعم نحن نستبعد ذلك بالرغم مما ترى ؛ لأنه ليس لدينا من الأنباء الصريحة ،

---

(١) وفيات الأعيان : ١ : ٤٥ .

(٢) طبقات الأدباء : ٣٦٨ .

ولا من شعر الشاعر فى الحبس ما يفيد أنه حبس أكثر من مرة واحدة. فإن كل ما قاله فى هذا الشأن بيتان فى الهاشمى إذ قبض عليه فى كوتكين، وأربعة أبيات يهزأ فيها بالحبس وآلامه حين توعده السجان بالبقاء فيه. ومقطوعة وقصيدة يستعطف الوالى بهما.

وشىء آخر تتفرد به رواية الثعالبى من بين سائر الروايات التى أوردناها هنا، ذلك أنها تفيد أن المتنبى لم يخرج، وإنما أراد الخروج، وأعد له عدته، ولكن لم يتم له ما أراد. وتفرد الثعالبى بوصف حادث المتنبى هذا الوصف لا يكفى وحده للغض من روايته، وترجيح غيرها عليها، ولا سيما إذا رجعنا إلى قول الشاعر فى استعطاف الوالى:

وكن فارقا بين دعوى أردتُ ودعوى فعلتُ، بشأو بعيد

أليس هذا القول مما يمكن الاستدلال به على أن المتنبى ما زاد على أن هم بالخروج؟ فكيف إذا لحظنا المألوف من الوالى حين يظفر بالثائر وقد عظم أمره، وبلغ من التمرد مبلغ المتنبى فى ثورته، كما يصفها الرواة سوى الثعالبى؟ أليس المعروف أن الوالى حينئذ يحمل الثائر إلى السلطان فيقر عينه، ويدخل السكينة فى قلبه، ويدع لمولاه النظر فى أمر عدوه، وتعيين المصير الذى يختاره له؟

فياليت شعرى أكان حادث المتنبى - كما يصفه الثعالبى - عزما على الخروج، وتحفزا له ليس غير؟ فلذلك تصرف لؤلؤ فى أمره ذلك التصرف الذى مر بك نبؤه، أم كان الحادث كما يصفه سائر الرواة ثورة حمى وطيسها، وكاد يستشرى شرها، ولكن لؤلؤا مع ذلك رأى أن الاكتفاء بحبس زعيمها بعد أن فرق أعوانه حقيق أن يزجره، ويقضى على مطامعه، لحداثة سنه، وفقدان العصبية من قومه وعشيرته؟

من رأى أن الأمر لم يكن ليحدث كل هذا الدوى من تاريخ الشاعر ولا ليظفر من الرواة بهذا الإجماع على ذكره، لو كان مجرد عزم واستعداد.

ثم إن وقوعه فى البادية بمعزل عن الرقباء وأعوان السلطان ، مما يتيح للمتنبى إعداد العدة ، ويملى له حتى يجمع جموعه قبل أن يبلغ خبره مسامع أولى الأمر . وأما اعتذاره إلى الوالى بأنه أراد ولم يفعل فهو ـ فيما أظن ـ اعتذار المذنب يخشى مضاعفة العقاب من الإقرار بالذنب ، ويرى أن الإنكار محاولة لا غناء فيها ، وأمل لا سبيل إليه ، فيقف بين بين ؛ لعل هذا القدر من الصدق يشفع له ، أو يخفف عنه .

ثم إذا أنت قابلت هذه الروايات مرة أخرى برواية البديعى المار ذكرها تبينت أن رواية البديعى تقرر أن الذى قبض على المتنبى هو ابن على الهاشمى ، وأن سائر الروايات ـ خلا رواية الثعالبى ـ تقرر أن الذى قبض عليه هو لؤلؤ والى حمص للدولة الإخشيدية . وربما لا تكون هناك فى الواقع منافاة بين هذا أو ذاك؛ فلعل المتنبى فر إلى كوتكين واستخفى فيها حين هزمه لؤلؤ ، وفض الناس من حوله فقبض الهاشمى عليه ، وجاء الوالى به فألقاه فى غيابة السجن . يؤيد ذلك رواية المعرى أنه كان استخفى فى اللاذقية أو غيرها من السواحل [(١)] إذا صح أن كوتكين كانت على الساحل ، فإنا لم نعثر عليها فى جميع المظان التى رجعنا إليها ، وافتقدنا عندها مكانها .

هذه طائفة من الروايات تمثل آراء القدماء فيما سموه نبوة المتنبى، تناولنا بعضها بالنقد وبعضها بالتأويل . والآن نريد أن نتعرّف تاريخ هذه النبوة وأن نذكر كلمة عن البيئة التى ظهرت فيها ، تقرّب موقعها إلى الذهن ، وتكشف بعض الشىء عن القبائل التى استجابت لدعوة الشاعر ، على قدر ما تتسع له الطاقة ، ويسعف به الاستدلال ، ثم نتقدم بالرأى الذى نعتقده فى هذا الحادث المشهور .

---

(١) رسالة الغفران : ٢ : ٢٩ .

تاريخ النبوة:

رأيت فيما تقدم أن الرواة يكادون يجمعون على أن الذى تولى قتال المتنبى، وتشتيت أنصاره، هو لؤلؤ أمير حمص من قبل الدولة الإخشيدية. إذًا نستطيع أن نقرر أن المتنبى لم تظهر دعوته، ولم يقبض عليه قبل سنة ٣٢٣؛ لأن الدولة الإخشيدية لم تقم إلا فى هذه السنة [١]، ثم إن المتنبى كان فى الكوفة سنة ٣٢٥، فيما يقول الناشئ الأصغر [٢]، وعاد منها إلى الشام سنة ٣٢٦، فيما يفهم من كلام المعرى [٣] والعُكْبَرِى. وفى سنة ٣٢٨ دخلت حمص مع غيرها من بلاد الشام فى حكم ابن رائق [٤]، وحمص هى المدينة التى خرج لؤلؤ أميرها من قبل الإخشيدية لقتال المتنبى كما سبق. فهل كان ظهور أمر المتنبى والقبض عليه بين سنتى ثلاث وعشرين، وخمس وعشرين، أو فى المدة بين سنتى ست وعشرين، وثمان وعشرين؟ إننا إذا رجعنا إلى كلام الثعالبى المتقدم ذكره رأيناه واضح الدلالة على أن كلا من طلب البيعة، وادعاء النبوة وقع فى أيام صباه، ثم إذا رجعنا إلى الشاعر نفسه فى القصيدة التى استعطف الوالى بها حين حبسه، وجدناه يصرح أنه كان يومئذ حدثا لم تجب عليه الصلاة بعد، قال:

تعجّلَ فىَّ وُجُوبَ الحدُودِ وَحَدِّى، قُبَيْلَ وجُوبِ السجودِ

ولا شك أن المتنبى فى نحو العشرين من عمره، أى فيما بين سنتى ثلاث وعشرين وخمس وعشرين، يكون أقرب إلى الحداثة، وأشبه بالصبيان منه فى نحو الثالثة والعشرين، أى فيما بين سنتى ست وعشرين وثمان وعشرين. نعم، قد يكون صغر السن فى القصيدة المذكورة إلى هذا الحد مجرد دعوى

---

(١) النجوم الزاهرة: ٣: ٢٥١

(٢) معجم الأدباء: ٥: ٢٣٩ – ٢٤٠

(٣) رسالة الغفران: ٢: ٣٠

(٤) التبيان: ٢: ٣٠٧

ادعاها الشاعر ، وبالغ فى تصويرها ، ليقنع الوالى أن غلاماً مثله لا يظن اجتماع الناس حوله لتنبؤ أو خلاف [١] . ولكن هيهات أن يلجأ الشاعر إلى هذا الأسلوب فى الاستعطاف إلا إذا كان له من سنه ، ومن ظواهر الحداثة البادية عليه شاهد يؤيد دعواه ، ويدعو إلى تصديقها . وإلا ذهب استعطافه جُفاء لا قيمة له ولا أثر ، الا السخرية والإنكار . ذلك إلى أن المتنبى اتصل ببدر بن عمار سنة ٣٢٨ [٢] . إذ كان يتولى حرب طبرية من قبل ابن رائق ، وبدر هذا من أشهر الممدوحين الذين اتصل المتنبى بهم قبل سيف الدولة ، وتقدمت به الأيام على أيديهم . والمعروف أن الشاعر بعد خروجه من السجن قضى فترة كان فيها خامل الذكر ، كاسد الشعر [٣] . والمدة بين سنتى ست وعشرين ، وثمان وعشرين أجدر ألا تتسع من جهة للحبس الذى يصفه الرواة بأنه كان طويلا ، ومن جهة أخرى للفترة التى كان يمدح فيها كل من يصادفه كائناً من كان . أو كما يقول الثعالبى : يمدح القريب والغريب ، ويصطاد ما بين الكركى والعندليب . [٤]

فلهذا كله نرجح أن شيوع أمر المتنبى والقبض عليه وقع كلاهما وهو فى نحو العشرين من عمره ، أى فيما بين سنتى ثلاث وعشرين وخمس وعشرين .

وسواء أكان هذا أم ذاك ، لا نستطيع أن نفهم قول بعض [٥] الرواة : إن المتنبى حبس حبسا طويلا ؛ ولا قول البعض [٦] الآخر : إنه حبس

(١) أبو الطيب المتنبى وأخباره : ص : ٩
(٢) أبو الطيب المتنبى ، لكمال حلمى بك : ٣٦
(٣) الصبح المنبى : ١ : ٤٣
(٤) أبو الطيب المتنبى وأخباره : ١٢
(٥) البغدادى ، وابن خلكان .
(٦) الأنبارى .

دهراً طويلا ؛ لأن المدة التى حبسها على كلا الاحتمالين لا تزيد على عامين اثنين ، وقد نقل عنهما ـ ولا جرم ـ: أن حبس العامين لا يستقيم وصفه بالطول ولا يصح أن يقدر بدهر ، بله « دهرا طويلا » ، إلا إذا فرضنا أن الرواة كانوا يصدرون فى ذلك عن شعور السجين نفسه . ويصورون المدة التى حبسها كما تتمثل له ، لا كما تبدو فى عالم الحقيقة والواقع .

السماوة :

وأما السماوة فيقول عنها ياقوت : « . . . والسماوة ماءة بالبادية ، وكانت أم النعمان سميت بها ، فكان اسمها ماء ، فسمتها العرب ماء السماء ، وبادية السماوة التى هى بين الكوفة والشام . . . أظنها مسماة بهذا الماء » . ويقول العكبرى : والسماوة : فلاة بين الشام والعراق (١) . وقد أشار المتنبى إلى موقعها فى قوله :

تركنا من وراء العِيس نجداً وَنَــكَّبْنَـا السَّمَاوَةَ والعِراقا

فما زالت تَرَى والليلُ دَاجٍ لسيف الدولة الْمَلِكِ ائتلاقا

« ألم بكثير من بقاعها فى القصيدة التى أنشأها . وقد أوقع سيف الدولة ببنى كلاب ، وبنى عقيل ، وبنى العجلان ، وغيرهم . وبنو كلاب هم ممن نزل عليهم المتنبى ، وخرج فيهم . قال :

تثيرُ عَلَى سَلَمْيَةَ مُسْبَطِرًا تَنَاكَرُ تحته لولا الشِّعَارُ

وسلمية : بليدة فى ناحية البرية من أعمال حماة ، بينهما مسيرة يومين ، وكانت تعد من أعمال حمص (٢) . وقال :

غَطَا بالْـغَنْثَرِ البيداء حتى تَحُيَّرَتِ الْمَتَالِى والْعِشَارُ

والغنثر : واد بين حمص وسلمية بالشام (٢) . وقال :

---

(١) شرح التبيان : ١ : ٤٢٣ .

(٢) معجم البلدان لياقوت .

وَمَرُّوا بالجُبَاةِ يَضُمُّ فيها كلا الجيشين من نَقْعٍ إزارُ

والجباة : ماء بالشام بين حلب وتدمر (١) . وقال :

وليس بغير تَدْمُرَ مُسْتَغَاثٌ وتَدْمُرُ كاسمها لَهُمُ دَمَارُ

وتدمر : مدينة قديمة مشهورة ، فى برية الشام ، بينها وبين حلب خمسة أيام (١)

وأما القبائل التى خرج فيها المتنبي فهى ـ كما يفهم من كلام الرواة ـ بنو كلب ، وبنو كلاب ، وبنو عدى . وفى بنى كلب يقول صبح الأعشى : وبنو كلب حى من قضاعة . قال صاحب حماة : وكان بنو كلب فى الجاهلية ينزلون دومة الجندل ، وتَبُوك ، وأطراف الشام . قال ابن سعيد : ومنهم الآن خلق عظيم على خليج القسطنطينية مسلمون . قال فى مسالك الأبصار : وبشيزر ، وحلب ، وبلادها ، وتدمر ، والمناظر ، أقوام منهم (٢) .

ويقول فى بنى كلاب : ومن بنى عامر بن صعصعة بنو كلاب ، وهم بنو كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وكان لهم فى الإسلام دولة باليمامة ، ثم انتقلوا بعد ذلك الى الشام ، فكان لهم فى الجزيرة الفراتية صيت ، وملكوا حلب ، ونواحيها ، وكثيرا من مدن الشام ، ثم ضعفوا . (٣)

ويقول فى بنى عدى : وهم بنوى عدى بن كعب ، ومنهم أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ، رضى الله عنه ، وسعيد بن زيد ، أحد العشرة المقطوع لهم بالجنة . وذكر صاحب مسالك الأبصار : أن من العمريين ببلاد الشام فرقة بوادى بنى زيد ، وفرقة بعجلون (٤) .

وسنحدثك فى العدد القادم عن بقية البحث إن شاء الله تعالى ؟

على النجدى ناصف

---

(١) معجم البلدان لياقوت .

(٢) صبح الأعشى : ١ : ٣١٦ .

(٣) صبح الأعشى : ١ : ٣٤٠ .

(٤) صبح الأعشى : ١ : ٣٥٣ ، ٣٥٤ .

خواطـــر شعرية

بقلم عبد الباقي ابراهيم
المدرس بمدرسة عبد العزيز للمعلمين

مثلَ زهر الروض نغدو ثم يَعْرونا الذبولْ
وكهذا النجم حينا ثم يغشانا الأفول
كبساط، يملأ الرحـــب، ويطويه عجول
كسحاب جلّل الأفـــق ونضّته قَبول
كنبات راع واهتـز وسامته أكول
كغدير جفّ في الصيـــف وكاللون يَحُول
ما الذى يبقى من الحبّ سوى ذكرى تَجُول؟
كبقايا من فَتَاء تتراءى فى عليـــل
ما الذى يبقى من الحســـن سوى رسم ضئيل؟
أين ما يشرق أو يبـــهج فى الخد الأسيل؟
أين ما يفتن أو يسـ ـحر فى الطرف الكحيل
أيها المفتون بالنضـــرة والوجه الجميل
سوف تستبدل بالنضـــرة واللين الذبول
أى شىء فيك يبقى خالدا ليس يحول؟
كل حسن سوف يمضى كله سوف يزول

نادى دار العلوم بين عهدين

بقلم محمد هاشم عطية
المدرس بدار العلوم

فى طليعة هذا القرن نشطت الحياة العقلية فى البلاد ، وازدادت الرغبة فى الاستفادة من الثقافات الأجنبية . وكثر اختلاف طبقات المصريين إلى الأقطار النائية ، وظهرت آثار التحول فى مرافق الحياة الاجتماعية ، وتدفقت سيول الدخيل من الأوضاع الطارئة للمسميات الحديثة ، وأوشكت الرطانات الأعجمية أن تأخذ مكانها بين ألفاظ اللغة ، ومست حاجة النقلة والمترجمين إلى مدد زاخر من الكفايات اللفظية ، وكانت دار العلوم قد حملت منذ نشأتها أمانة العربية . فصحت عزيمة جماعة من أعلام أدبائها يومئذ على إنشاء نادلهم يؤلف بين صفوفهم ، ويضم جماعتهم ، ليبلغوا غايتهم فى التوفر على حماية الفصحى من وثبات اللغات الدخيلة التى كادت تنازعها الوجود ، وتنسخ — لا قدر الله — ظلها من الحياة ، وليتجردوا لرياضتها على الطاعة لألسنة العلماء وأقلام المؤلفين بالاجتهاد فى تزويد البيئات العلمية بحاجتها من الألفاظ والمصطلحات . مع استخدام الطرق المسلمة من الاشتقاق والمجاز والتعريب والنحت ، عملا بحكمة المسايرة لقوانين التجدد والارتقاء ، ونفيا لمكان الجمود عن لغة أمة صعدت بهم زمانا إلى الملك والدولة ، فكانت لغة الأدب والدين والجدل والخطابة والكتابة والشعر والقضاء والسياسة والصناعة والعلم والفن .
ولما فرغوا من جهادهم ، ووضع قانون ناديهم ولائحته الداخلية ، وانتخاب رئيسه وأعضائه وكاتب سره ، احتفل بافتتاحه فى نوفمبر سنة ١٩٠٧ فى

دار صغيرة، بالقرب من مدرسة عبد العزيز الحالية، برياسة المغفور له العلامة **مفتى ناصف بك**، وكان يومئذ قاضيا لمحكمة الأزبكية . وكانوا يستعيرون مدرج هذه المدرسة لعقد مناظراتهم وخطبهم وإقامة حفلاتهم .
وبالضرورة كان أول ما توجهت إليه عناية هذا المجمع العلمى الحديث هو الفصل فى مسألة التعريب، التى كانت تتجاذبها آراء الفحول من رجالات المدرسة وغيرهم من علماء ذلك الأوان؛ وليتبين القارئ مبلغ ما وصل إليه المتناظرون فى هذا الموضوع من الجهد القاطع والبحث المطيق نورد هنا عبارة الرئيس بنصها ، لنستمد من قبلها روحا تؤلف به بين أولنا وآخرنا، ونستحيي بذكره تلك الصلة الغالية بين قديمنا وحديثنا ، قال رحمه الله من كلمة له : « وتفاوضوا فى كيفية تحقيق الأمنية المرغوبة، فقر رأيهم على أن يبدءوا بتطهير اللغة من أدران العجمة الفاشية فيها قبل أن يستفحل الأمر ويستحكم الضرر، ويبحثوا عن كلمات تستعمل بدل الكلمات الأجنبية التى هاجمت العربية من كل ناحية ، وقبل أن يشرعوا فى العمل قال قائل منهم : ما المانع من إبقاء الأسماء الأعجمية واستعمالها فى الفصيحة ، فقد ورد مثل ذلك عن العرب وجاء به القرآن ، وهو أفصح الكلام؟ وقال آخرون : إن حق التعريب خاص بالعرب الموثوق بعربيتهم، وهم الآن قد انقرضوا . ثم قال : فوضعوا هذا الخلاف موضع البحث وطرحوه على بساط المناظرة، وأدلى كل فريق بحجته، وعرض كل حزب أساس شبهته، وأشركوا معهم فطاحل الأدباء ومصاقع الخطباء؛ فجاءوا بما لم يخطر فى البال، ولم يكن فى الحسبان، ولم يغادروا كتابا فى هذا المبحث إلا قرءوه، ولا فكرة تجول فى الخواطر إلا أبرزوها ، حتى لكأن حلقة النادى حومة جلاد لا جدال، وميدان قتال لا مقال .

وكان المرحوم شيخنا الخضرى بك ، طيب الله ثراه ، خطيب الرأى

الأول ، والداعى إلى تصرته وتأييده ، ويعارضه إلى جانب الرأى الثانى علامتنا الإمام الاسكندرى ، أبقاه الله ووقاه ، وقد بلغ فى ذلك من الأعاجيب إلى ما جعل مقالاته فى هذا الموضوع كإحدى المناقب الأدبية لنادى دار العلوم ، فى جمال العبارة ، وقوة الأسلوب ، والتشبه بالأوائل . وقد فلج بالحجة ، وظفر بالغلب على مناظريه ، وخاصة بأضاحيكه التى تلطف بسياقها فى أدلته التهكمية ، حتى جعل الناس لا يعرجون بعده على قول ، ولا يكادون يستمعون لخطيب ، ونسوق هنا بعض هذه النصوص على سبيل التفكهة للقراء :

قال حفظه الله : « فلو جرينا على شبهة القائلين باستعمال الألفاظ الأعجمية التى أحدثتها المدنية الأوربية من أسماء المصالح والإدارات والشركات والآلات واصطلاحات العلوم تطرّقنا فى العربية لأكثر من عشرين ألف كلمة ، وذلك خطب هائل يأتى بنيان اللغة من قواعده ، وتستأسر له تلك الفلول التى بقيت فى رؤوسنا منها . وما ظنك ببقاء ستة آلاف لفظ تستعمل الآن فى الجرائد والمجلات والرسائل أمام هذا السيل الجارف ؟ ويزيد الأمر ضغثا على إبالة اشتقاق الأفعال والمصادر من هذه الألفاظ الأعجمية على نحو ما فعلت العرب فى لجام وبريد . من قولهم : (ألجمت الفرس ، وأبردت السفير) فتقول : تَلْفَنَنا بَنْكُ أَنْجِلُو اجبْشِنْ ليمتد بأن أحد البناكير تَلغْرَفَهُ بعمل بِرُتِسْتُوا علينا) كما تقول : « أتْرَمْتُ إلى أُوتيل ميناهاوس حيث رأينا تيلو نوتوجوافين يُسَلْفِجِرانِ مَتْشَ الجمال ثم رجعت مُتَنْبِلاً إلى الكازينو لمشاهدة السينماتوجراف فَأَلْوَجْتُ ولم أُفْتِيَ » . قال : وهى درجة لا تصل إليها الأمة إلا بخذلان من الله تعالى . وحدث عن بعض ثقاته أنه لما عقد مؤتمر الجزائر قبل ذلك التاريخ بعامين ، سمع بعض متفرنجة الجزائر يقول (ربت أناوالمدموازيل إنْتَاعِى

فى الشماندفير ووصلنا عنّاية الساعة ثمانية سوار) ومن يقول : (أنا أُصَلِّى فى الشامبر سِيدِى مافى مُوسْكِى) ذلك وبعد الفراغ من إلقاء هذه الخطب صدر القرار الآتى بإجماع الآراء : فى الساعة العاشرة من مساء الخميس العشرين من فبراير سنة ١٩٠٨ بعد سماع ما قاله الخطباء فى موضوع تسمية المسميات الحديثة (قرر نادى دار العلوم أن يكون العمل على النحو الآتى : « يبحث فى اللغة ، العربية عن أسماء للمسميات الحديثة بأى طريقة من الطرق الجائزة فى اللغة ، فاذا تعذر ذلك بعد البحث الشديد يستعار اللفظ الأعجمى بعد صقله ووضعه على مناهج العربية ، ويستعمل فى اللغة الفصحى بعد أن يعتمده المجمع اللغوى الذى سيؤلف لهذا الغرض » .(١)

وبعد ذلك انصرف أعضاء اللجنة العلمية لوضع الأسماء والمصطلحات المطلوبة ، فأتموا من ذلك طائفة صالحة كانت تنشر تباعا فى صحيفة النادى ، وكانت وزارة المعارف توزعها فى نشرات مطبوعة على مدارسها الابتدائية ، وهى بلا ريب أول الخطوات المباركة من بوادر الاصلاح اللغوى الجليل الفائدة ، الذى قام به فى إخلاص وصمت أشياخ المدرسة القديمة ، وانتهى بإبراز أول كتاب جامع لشتات كثير من الدخيل والعامى والفصيح ، ووضع أسماء لمسميات حديثة فى العلم والصناعة والماعون والمرافق والآلات فى جزءين لواضعه الأستاذ محمد على الرسوفى أحد رجال دار العلوم . ويعتبر خير ما كتب فى هذا الموضوع إلى الآن . وبعد ذلك انتقل النادى إلى عمارة جنيد فى ميدان عابدين ، وكانت تعد من أجمل مبانى القاهرة إذ ذاك ، وجهزت غرفاته بالرياش الفاخر ، وأعدت مكتبته على أجمل طراز . ويومئذ انتقلت رياسة النادى إلى الخطيب الكبير المرحوم

(١) هذا القرار لا يختلف عما قرره فى سنة ١٩٣٤ مجمع اللغة العربية الملكى .

عاطف بركات باشا ، ومن بعده إلى المغفور له عبد الرحيم أحمد بك ، وكان ناظرا لدار العلوم بين سنتى ١١ و ١٢ ، وانتقلت محاضرات النادى إلى مدرج دار العلوم . وفى هـذه الأيام ألقى شيخ الحفاظ وحجة اللغة المرحوم شيخنا حمزة فتح الله عـدة محاضرات لطلبة السنة النهائية من المدرسة وغيرهم من أكابر ذلك العهد وعلمائه بجهارته المعروفة وضبطه المشهور ، فأعاد إلى الأذهان ذكرى أبى العباس المبرد ، وأبى القاسم اسماعيل ابن على القالى ، وأضرابهم إبان عصر الإملاء . ثم حدثت أمور وحالت أحداث ، ونشبت الحرب الكبرى فى أقطار الأرض ، فانفضت الجماعات وعطلت الأندية ، وتوارى فى خلال ذلك نادى دار العلوم ، وطويت صحيفته. وبقيت هذه الذكريات منهما فكرة عالقة بالقلوب ، وخاطرا جياشا بالنفوس، حتى أتاح الله لأبناء دار العلوم مرة ثانية أن يعيدوا الوحدة إلى صفوفهم ، ويراجعوا ذلك الماضى المجيد من صالح سلفهم ، فتألفت الجماعة الثانية لدار العلوم ، وهى تجمع فى هذه المرة إلى رجحان المشايخ حمية الفتيان ، وتحفز الشباب الناظر لما أثارته الحياة الطويلة تحت مضاضة الاهتضام والغبن من سورة النفوس ، واجتماع العزم الصادق على الجد فى طلب الوسيلة بأقصى ما تبلغه الطاقة لخلاص حراس العربية وكفاة حاجها من الظلم الذى تجاوز الغاية ، وأفنى ذخائر الاصطبار . وبعد المشاورة والبحث فى عدة اجتماعات استقر الرأى على انتخاب الأستاذ أبى الفتح الفقى المفتش بوزارة المعارف رئيساً لجماعة دار العلوم ، وبدأت الجماعة بإعداد اللجان المختلفة للتأليف والكتابة ، وإحياء الآداب والعلوم والكتب ، وأصدرت صحيفة دار العلوم التى تعد على حداثتها من الأعمال الباهرة المستحقة للإعجاب والفخر .

وفى ضحى يوم عيد الأضحى من هذا الشهر المبارك وجهت الدعوة لأعضاء الجماعة من المقيمين فى العاصمة ، ومن النازلين إليها من الأقاليم فى

هذه العطلة لأول اجتماع عام بناديهم الجديد، للاحتفال بتخليد ذلك اليوم التاريخى فى حياة شعب العربية الكريم.

وفى ذلك اليوم كنت ترى وفودهم المتدافعة تتلاقى على أبواب عمارة فى أجمل أحياء القاهرة، حيث يلتقى شارع المناخ بعماد الدين على جانبه الغربى قبالة دار المصرف العقارى؛ وهى بناية قديمة الطراز، سمحة الرونق، تتميز عما حولها من العمائر الحديثة بألوان طلائها الحائلة، وطنفها الرخامية، ونوافذها الواسعة. فى أعلى هذه البناية وفى طبقتها الثانية هنالك نادى دار العلوم، ندوة أبنائها، ومجمع كتابها وشعرائها، وسامر شبانها وشيبها، تغص غرفاته الواسعة وأفرشته الوثيرة كل عشية بكرام الزملاء، إخواناً متساوين على تفاوت أقدار وأعمار، يتبادلون فيما بينهم السمر الجنى، والمجاذبة الكريمة، ويختلف بعضهم إلى بعض فى المجالس والحجرات، كما يصنع الانسان فى داره وبين أهله والأقربين من عشيرته؛ وقد أعدت غرفة المكتبة ليستخدمها من يشاء من الأعضاء للعمل الهادىء من كتابة أو مطالعة أو تأليف. ولا نريد أن نزين موقعه وما لقيته الجماعة من التوفيق فى اختيار مكانه. وما تؤديه إليك مناظره الشارعة من مجالى المدينة، بأكثر من أن ندعو المحبين للأدب والراغبين فى تكرمة العلم إلى التفضل بزيارته ليتلقى النادى وأهله هذه الكرامة بما تستحقه من التقدير والتقبل إن شاء الله تعالى.

وقد انتخب أول رئيس له الأستاذ محمد نجيب منانة معاون المراقب للتعليم الأولى.

وسيمضى النادى بعون الله على الرسم فى تنبيه النابغات، وتنشيط البحث الصحيح، وحمل الآداب إلى الجادة، وتبصير الناشئين بما فى ثقافات أسلافهم من الفضيلة، والعمل على تنقية حواشى اللغة من أكاذيب المبتدعة، ونهى الملاحدة من أهل زماننا عن التناول لكرامة المدرسة القديمة. وإن

كتاب الله ليعدنا بالبقاء والحراسة على تصرف الغير ، وتظاهر الأحداث فى مد صوته إذ يقول الله تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) لما تقتضيه كفالة الله الواجبة لحفظ كتابة المنزل من الدلالة الصريحة على تناول هذه الولاية الصمدانية للغة ذلك الكتاب ، وللذائدين عن حماها من أهل طاعته .

وحسبنا أن يكون الله سبحانه وتعالى كفيلنا وولى نصرتنا وهو القائل : (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده) .

هدانا الله إلى سبيل الحكمة ، وجنبنا مذمة العجب بالقول والعمل إن شاء الله ؟

محمد هاشم عطية

الضلوع الساجـــدة

بقلم على شرف الدين

المدرس بالمدارس الأميرية

أفرخ الشوق على أضلعه   وجرى الخافق فى أدمعه
وإذا مال إلى مضجعه   أسلم الجنب لشوكٍ فنبا

* * *

الضنى والسهد من صبوته   أنبتا الوَرْس على وجنته
وإذا كفكف من عبرته   ودعا القلب لصبر وثبا

* * *

كبد في جنبه موجَعُها سجدت من حرّها أضلعها
وإذا ذكرى الهوى تصدعها ينثنى يمسكها منتحبا

✡ ✡ ✡

ونديم زاره فى الغسق هيأ السكر بضوء الفلق
كلما قدّم أخت الشفق شرب الدمع وعاف العنبا

✡ ✡ ✡

من لنضو من حبيب سلَّما لا يرى العاشق لحماً ودما
إن صبرنا فى الهوى مارحما أو شكونا ما نلاقى غَضِبا

✡ ✡ ✡

لاالدجى ضمدّ جرحاً ينزف لا ولا قاسى هوانا يعطف
نسهر الليل لمن لا ينصف نرقب الصبح ونرعى الشهبا

✡ ✡ ✡

أئذا طير شدا فى فنن أو نسيم مرّبى فى وهن
جددا الذكرى وهاجا شجنى فبعثنا الشوق نجداً وصبا

✡ ✡ ✡

قد صبونا والهوى سر الحياه هى زهر الروض والحب نداه
فاذا لم تَسْقهِ شكوى وآه صوّح الزهر وأمسى حطبا

بحوث فى اللغة

تتمة الكلام على تخفيف الهمزة (١)

بقلم مهدى احمد خليل

ومن العرب من يجعل تخفيف الهمزة قياسيا اذا كانت طرفا فى فعل ثلاثى مفتوح العين نحو: قرَأ وبَدأ ونَشأ ومَلأ وخبأ، فيقول قَرَيْت وبَدَيْتُ... الخ؛ ويقول فى المضارع يَقْرَا، وفى الأمر اقرَ، وهو قارٍ. قال الشاعر:

وكأنَّ البرق مُصحفُ قارٍ ... فانطباقا مرةً وانفتاحا

واسم المفعول مقرىّ. ويجوز أن يقال فى المضارع: يَقْرِى، وفى الأمر: اقْرِ على القياس؛ ويقال: تَنَا بالمكان يتنا فهو تانٍ، والجمع تُنَاةٌ، وأصله تَنَأَ يتنَأُ فهو تانىء. قال الشاعر:

شيخٌ يَظَلُّ الحِجَجَ الثمانيا ... ضَيفاً ولا يزالُ إلاَّ تانيا

ومن العرب من يجعل تخفيف الهمزة المتطرفة قياسيا فى الرباعى فقط، نحو: أرجأتُ الأمر وأرجيته، وأنسأتُ الشيء، أى أخرته، وأنسيت وأخطأت وأخطيت، وأشطأ الزرعُ (خَرَجَ شطؤه وهو ورقه أو سنبله أو طرفه أو فِراخه) وأشطى، وتوضَّأتُ وتوضَّيْت. ومن العرب من يقلب الهمزة المتطرفة حرفا مجانسا لحركتها فيقول فى: هذا رجل بَرَاءٌ من الشِّرْكِ: بَرَاوٌ، عند إرادة التخفيف (بقلب الهمزة واوا لضمها). ويقول فى

---

(١) انظر المقال الأول فى «صحيفه دار العلوم» العدد الثالث (ص ٣٤ — ٥٥)

حالة النصب : رأيت رجلا برَايا ، وفى حالة الجر : نظرت الى رجل برَاى . ويقول: هذا عَطَاوٌ وكساوٌ وخباو وفضاو ، فى عطاء وكساء وخباء وفضاء (بقلب الهمزة واوا لضمها) ويقول فى التثنية : عطاوان وكساوان وخباوان وفضاوان . قال أبو زيد : سمعت بعض بنى فزارة يقول : هما كسايان وخبايان (بقلب الواو ياء) والواو أكثر فى الكلام .

ومن أنواع الهمزة همزة الوقف فى آخر الفعل لغة لبعض العرب ، يقولون للمرأة : قولِىءْ فى قولى، وللرجلين: قولَاءْ فى قولا ، وللجميع قولُؤْ فى قولوا . وإذا وصلوا لم يهمزوا . وقد قلب بعض العرب كل ألف وقعت فى آخر الكلمة همزة فى الوقف . قال ابن جنى: حكى سيبويه فى الوقف: هذه حُبْلَأْ ، ورأيت رَجُلَأْ ، وهو يضربُهَأ ، ولَأْ . يريدون حُبلى ، ورجلا ، ويضربها ، ولا . وقد همز بعض العرب ماليس بمهموز قال الشاعر :

وكنت أُرَجِّى بِئرَ نَعْمَانَ حَائرا فَلَوَّأَ بالعَيْنَين والأنفِ حَائرُ

أراد : لَوَّأ فهمز . وقال الشاعر:

كَمُشْتَرِىءٍ بالحمد مالا يَضِيرُهُ

مهدى أحمد خليل

ملابسنا

فى كتب اللغة

بقلم مصطفى السقا
المحرر بمجمع اللغة العربية الملكية

من القواعد التى وضعها مجمع اللغة العربية الملكى للعمل بها عند وضع الألفاظ بازاء المعانى المستحدثة أن يبدأ بالبحث عن الألفاظ العربية الفصيحة ، التى استعملها القدماء فى أغراض تشبه أغراضنا فى العصر الحاضر .

وقد خطر لى أن أدرس باب الملابس فى المعاجم العربية وكتب فقه اللغة ، لعلى أجد فيها من فصيح الألفاظ ما يسد بعض حاجتنا فى هذا الباب ، فقد استأثرت اللغات الأجنبية بالتعبير عن كثير من شئون حياتنا ، وانقطعت الصلة أو كادت بين أسماء ملابسنا القديمة وملابسنا الحاضرة ، فإذا عرض لنا من أسماء الملابس القديمة شىء فيما نقرأ من كتب الأدب أو اللغة لم نفهمه ، وكأننا أمام رسم دارس من رسوم الأولين : نحاول حل رموزه ، والكشف عن ألغازه .

قد يكون من الحق أن ملابسنا الحاضرة تختلف كثيرا عن ملابس العرب فى الجاهلة والإسلام ، لأن كثيرا من أزيائنا مستعار من المدنية الغربية الحديثة ، فليس من العجب إذاً أن تكون الكثرة من أسماء الملابس أجنبية كمسمياتها .

غير أننا لا نزال نجد فى كتب العرب جملة من أسماء الملابس تشبه

مسمياتها بعض مانلبسه فى هذا العصر مسمى بغير اسمه العربى ، مع فروق يسيرة اقتضتها أحوال الزمان والمكان .

فإذا استطعنا أن نتجاوز عن الفروق التى لا تمس الجوهر استطعنا أن نحي ألفاظا عربية تغنى غناء بعض الألفاظ الأعجمية ، التى نستعملها فى غير ضرورة ماسة .

وإنى أعرض فى (صحيفة دار العلوم) ما وجدته من أسماء الملابس التى يمكن وضعها لبعض ما نلبس ، راجيا من محى البحث اللغوى أن يتبعوها بالنقد والتمحيص ، برا بالعربية ، وضنا بها أن ترمى بالعقم ، وفيها من غوالى الكلم ، ونفائس الدُّرر ما يزرى بالياقوت والجوهر .

ما يوضع على الرأس

القَلَنْسُوة : الطربوش .

الكُمَّة : طربوش العمة.

فى اللسان — القَلَنْسُوة والقَلَنْسِية ... من ملابس الرأس، معروف.

وفى اللسان أيضا — الكُمَّة : القلنسوة المدورة ، لأنها تغطى الرأس .

وفى الحديث : « كانت كِمام أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بُطْحا » (وفى رواية أكمة) . قال : هما جمع كثرة وقلة للكمة : القلنسوة . يعنى أنها كانت منبطحة غير منتصبة .

وفى الأساس — واعتم على الكُمَّة ، وهى هذه القلنسية اللاطئة بالرأس ، على مقداره . وتقول : لاتحسن العِمَّة ، إلا على الكُمة .

هذه النصوص أوضح ما فى المعاجم العربية فى تفسير القلنسوة والكُمة . وهى فى الحقيقة قاصرة لاتصور المعنى ، بالدقة التى يطلبها هذا العصر ، وقد نسى أصحاب المعاجم أن العُرف الذى يحيلون عليه فى تعريف

الأشياء الطبيعية حينما يقولون : (نبات معروف ، أو حيوان معروف) لا ينبغي الإحالة عليه في مثل الملابس، لأنها أمور صناعية تختلف باختلاف البيئات والعصور .

بعد هذا أقول : أنكتفي من المعاجم بأن القلنسوة والكُمَّة من ملابس الرأس ، مع ملاحظة ما بينهما من فرق . فنضع القلنسوة في استعمالنا اللغوي بدلا من (الطربوش) والكُمة بدلا من (طربوش العمة) . ونغض النظر عن المادة واللون والهيئة الخاصة ؛ أم نقول إن العرب وضعت كلا من القلنسوة والكمة اسما لمسمى خاص ، ولا يجوز أن يجعل اسم الشيء علما على آخر لما يتبع إخراج الألفاظ عن معانيها الأصلية من فساد في اللغة ، وخفاء في الاستعمال ؟

الذي أختاره التوسع . وحمل الأمر على المجاز ما وسعنا المجاز بعلاقاته وقرائنه ، وحسبنا هنا أن كلا من القلنسوة والكمة من ملابس الرأس ، وأن الأولى منتصبة (على هيئة الطربوش) والأخرى منبطحة لاطئة بالرأس . وفي هذا التشابه في الغرض والصنعة ما يحملنا على ألا نتردد في إيثار اللفظين العربيين على اللفظين الدخيلين .

على أن ما يمتاز به اللفظان العربيان من وجود صيغ أفعال من مادتهما ، ووجود مصادر ، وجموع للقلة وللكثرة أحيانا ، يجعلهما أصلح للبقاء ، وأحق بالإيثار ، وأحسن تصرفا في أساليب الكلام .

• ما يوضع على الجسم

نرى قبل تسمية أنواع الملابس التي تلبس على الجسم أن نتكلم على طبقاتها ، وقد قسمها القدماء إلى طبقتين ، شِعار ودِثار ، وقد يكتفي أصحاب المعاجم في شرح الكلمة بأن يقولوا : هي شعار ، أو دثار ، أو نحو ذلك .

الشعـــار

فالشِّعار : اسم لـكل ثوب يلي جسم الإنسان ، سواء أكان من القطن أم من الصوف أم من الحرير أم من غيرها ؛ وتختلف هيئة تفصيله كما تختلف مادته باختلاف أحوال الناس فى الغنى والفقر ، وباختلاف الأجواء وطبائع البلاد ، وباختلاف الأشخاص ذكرانا وإناثا . وقد يفهم كل هذا من إطلاق اللغويين لفظ الشعار من كل قيد سوى ملامسة جسم اللابس .

قال صاحب اللسان : الشعار : ماولى شعر جسد الإنسان دون ماسواه من الثياب ، والجمع أشعِرَة وشُعُر . وفى حديث الأنصار : « أنتم الشعار ، والناس الدِّثار » أى أنتم الخاصة والبطانة . اه

الدثار

والدِّثار : هو الطبقة الثانية تلى الشعار ؛ وقد يكون ثوبا واحدا أو أكثر . قال فى المصباح : الدثار ما يتدثر به الإنسان ، وهو ما يلقيه عليه من كساء أو من غيره ، وتَدَثَّر بالدثار : تلفف به . وفى القاموس : الدِّثار (بالكسر) ما فوق الشعار من الثياب .

الملاحف

واللغويون يسمون الملابس التى يَتَغَطَّى بها اللابس من نحو الرداء والجبة والملاءة بالملاحف ، كما يطلقونها على الأغطية التى يتدثر بها فى النوم.

قال صاحب اللسان : اللحاف والمِلْحف والمِلْحفة : اللباس فوق سائر اللباس من دثار البرد ونحوه ، وكل شىء تغطيت به فقد التحفت به . اه .

وجمع اللحاف : لُحُف . وجمع المِلْحف والمِلحفة : ملاحف .

المقطعات وغيرها

وجدير بي هنا أن أشير إلى أن الثياب التي تلبس نوعان ، فمنها : ما يُقَطَّع ويُفَصَّل على قدر الجسم ، ومنها ما لا يفصل . قال صاحب اللسان في مادة (قطع) :

المقطَّع من الثياب : كل ما يفصل ويخاط ، من قميص وجباب وسراويلات وغيرها . وما لا يقطع منها كالأردية والأُزُر والمطارف والرِّياط التي لم تقطع ، وإنما يتعطف بها مرة ، ويتلفع أخرى .

وهذا الفرق الذي ذكره صاحب اللسان وشارح القاموس ينفعنا كثيراً حين نقرأ الباب الذي عقده ابن سيده في الجزء الرابع من المخصص بعنوان (الملاحف) فإنه لم يذكر فيه من الملاحف إلا ما لم يُفَصَّل ولم يُخَطْ ، كالأردية والأُزُر والرياط والمعاطف .

وعلى ذكر المعاطف أحب أن أنبه على شيء التبس على بعض الناس فهمه ، فقد شاعت كلمة المعطف بيننا اسماً لذلك الملحف الذي يسميه الناس (البالطو) وسمته إحدى لجان المجمع (المِدْرع) فليس من شك أن (البالطو) مما يفصل ويخاط ، ولكن العِطاف أو المعطف الذي ذكره ابن سيده في المخصص : رداء ، أي ثوب غير مخيط ولا مُفَصَّل يُرْتَدَى على المنكبين والكتفين ومُجْتَمَع العنق ، ثم يعطف طرفه ، أي يثنى . قال الراغب في المفردات : المعطف يقال في الشيء إذا ثُنِيَ أحد طرفيه إلى الآخر ، كعطف الغصن والوسادة والحبل ، ومنه قيل للرداء المثنى عِطاف .

فما أحقنا أن نعدل عن كلمة معطف (للبالطو) لأنها وضعت في غير موضعها .

أنواع من الملابس

المجسد . الغِطاية . الغِلالة

فى تاج العروس — المجسد (كمنبر) : ثوب يلى الجسد ، أى جسد المرأة فتعرق فيه . وقال ابن الأعرابى : « ولا تخرجن إلى المساجد فى المجاسد » هو جمع مجسد ، وهو القميص الذى يلى البدن . اه

ومثل المجسد الغِطاية والغِلالة . قال ابن سيده فى المخصص : الغِطاية : ما تغطت به المرأة من حشو الثياب تحت ثيابها . والغلالة نحوها ، وهما أيضاً الشعار . اه

وفى الأساس — وبرزت فلانة فى غلالة ، وبرزن فى غلائل ، وهى شعار يلبس تحت الثوب للبدن خاصة . اه

هذه ألفاظ عربية فصيحة عذبة هجرناها وآثرنا عليها ألفاظاً دخيلة هى (الفانلة والكاشكورسيه) ونحوهما من الألفاظ التى يتحدث بها النساء حينما يردن أنواع الأشعرة التى تلى أجسامهن .

قد يقول قائل : إن لهذه الألفاظ الدخيلة دلالة خاصة ، كالدلالة على النسيج ذى الهدب ، أو الذى يمتد إذا مد ، وكالدلالة على هيئة التفصيل من حيث طول القميص أو قصره ، ووجود الأكمام أو عدمها ، ونحو ذلك مما لم يلاحظ فى ألفاظ المجسد والغطاية والغلالة .

وجوابنا عن هذا أن الصفة الأساسية للشعار أنه الثوب الذى يلى الجسد من أية مادة ، وعلى أية هيئة . وهذا المعنى ملحوظ فى الألفاظ العربية . فالمجسد الذى يلى الجسد ، والغطاية التى تغطيه ، والغلالة التى يُتَغَلَّل فيها ، أى يُدْخل . وهذه المعانى أثبت على الزمان ، وأبقى من هيئة التفصيل ، ونوع النسيج ، ورقته أو صفاقته ، مما يختلف باختلاف أحوال الناس وبيئاتهم .

وقد يفهم من نصوص المعاجم السابقة أن الألفاظ الثلاثة لشعار النساء خاصة، وهذا صحيح فى المجسد والغطاية، أما الغلالة فالذى يظهر أنه عام فى شعار الرجال والنساء. قال صاحب اللسان : الغلالة : شعار يلبس تحت الثوب، لأنه يتغلل فيها أى يُدْخل. وفى التهذيب : الغلالة : الثوب الذى يلبس تحت الثياب. اه

فصاحب اللسان وصاحب التهذيب يطلقان القول فى الغلالة ، ولا يخصانها بالنساء، ولكن ابن سيده ذكرها فى الجزء الرابع من المخصص فى الصفحة ٣٨ وعدها من ملابس النساء وثيابهن. وقد يستأنس لجعل الغلالة من ملابس الذكور بقول الشاعر :

لا تعجبوا من بِلَى غلالته قد زر أزراره على القمر

فإن ضمير صاحب الغلالة مذكر، هذا إذا لم يرد به الشاعر معنى الحبيب ونحوه.

بقى فى تفسير الغلالة قول الراغب الأصفهانى فى المفردات فى غريب القرآن وهو :

الغِلالة : ما يلبس بين الثوبين ، فالشعار لما يلبس تحت الثوب، والدثار لما يلبس فوقه ، والغلالة لما يلبس بينهما. وهذا أغرب ما رأيته فى تفسير الغلالة

القميص

جمعه أقمصة وقُمْصان وقُمُص. وهو مذكر إلا إذا قصد به الدرع الحديدية.

وكتب اللغة تتفاوت فى تحديد معنى القميص، وأكثرها يحيل على العُرف، فيقول صاحب اللسان : «القميص الذى يلبس معروف، مذكر».

ويزيد عليه صاحب القاموس فيقول : «القميص وقد يؤنث

ـ م ـ (معروف) ولا يكون إلا من قطن ، وأما من الصوف فلا ». اهـ
وزاد الشارح بعد (من قطن) أو كتان .

والمعروف أن القميص من الشعار ، ولم يصرح بذلك من أصحاب المعاجم القديمة غير شارح القاموس إذ يقول : « وذكر الشيخ ابن الجزرى وغيره أن القميص ثوب مخيط بكمين غير مُفرَّج، يلبس تحت الثياب..... قال شيخنا : وقال قوم : ولعله مأخوذ من الجلدة التى هى غلاف القلب ، وقيل مأخوذ من التقمص ، وهو التقلب » .

وقال ابن سيده : « قميص القلب : شحمه ، أراه على التشبيه » . اهـ .

وصاحب المنجد من المتأخرين يقول : « القميص ما يُلبس على الجلد » . اهـ

ولفظ القميص فى العربية هو عينه فى بعض اللغات الأوربية (Chemise) ويدل على نحو ما يدل عليه اللفظ العربى . ولذلك زعم بعض الباحثين فى الألفاظ أن اللفظ العربى معرب عن اللاتينية (انظر (كتاب تفسير الألفاظ الدخيلة . للقس طوبيا العنيسى الحلبى اللبنانى) .

ولكن المعجمات العربية لم تنص أن اللفظ مُعَرَّب ، ولعله مما تنُوسى تعريبه ، لقدمه فى اللغة .

هذا ، والقميص فى العربية من ملابس الرجال والنساء . وفى القرآن العزيز : (إن كانَ قَميصُهُ قُدّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ) . وقال الشاعر :

ابت الروادف والثُّدِىُّ لقُمْصها   مَسَّ البطون وأن تمس ظهورا

وخلاصة هذا البحث أن القميص هو الكلمة الرابعة التى تدل على الشعار فى العربية ، وإذا سلمنا أن الألفاظ الثلاثة السابقة خاصة بشعار النساء . فالقميص لشعار الرجال والنساء جميعا ، فلنستعمله بدلا من كلمة (فانلة) للرجال والنساء.

الإِتْب ـ المِئْتَبَة

ذكر صاحب اللسان وصاحب القاموس وشارحه فى تفسير الإِتب والمئتبة أقوالا كثيرة ، نختار منها التفسيرين الآتيين :

١ — « الإِتب ـ من الثياب ـ ما قَصُر فنصف الساق » .

٢ — « الإِتب : قميص بغير كمين » .

وإذا لم نشغل أنفسنا بالأقوال الأخرى التى نقلت فى تفسير الإِتب ، جاز لنا أن نجمع بين هذين القولين وأن نطلق الإِتب أو المئتبة على ذلك الثوب الذى ينصُفُ الساق ولا كم له ، وهو الذى يسميه سيدات العصر (قميص النهار) وهو ما يلبس تحت الدرع .

الدرع

فى المخصص — دِرْع المرأة : قميصها ، مذكر ، والجمع أدراع . اهـ .

وفى اللسان — درع المرأة : قميصها . وهو أيضا الثوب الصغير تلبسه الجارية الصغيرة فى بيتها ، وكلاهما مذكر ، وقد يؤنثان . وقال اللحيانى : دِرْع المرأة مذكر لاغير ، والجمع أدراع . وفى التهذيب — الدرع : ثوب تجوب المرأة وسطه ، وتجعل له يدين ، وتخيط فرجيه . ودُرِّعت الصبية ، إذا أُلبست الدرع . اهـ

وفى القاموس ـ الدِّرع من المرأة : قميصها ، مذكر ، والجمع أدراع . اهـ

هذه النصوص تكاد تتفق على أن درع المرأة قميص ، لولا ما نقله اللسان عن التهذيب من أن الدرع ثوب . . . الخ .

وأنا أميل إلى أن الدرع ليس قميصا ، بل هو الثوب الذى يلبس فوق القميص ، وهو الذى نسميه بلسان العامة (جلباب البيت) . ويساعدنا على هذا عبارة التهذيب السابقة ، وقول آخر نقله ابن سيده فى المخصص عن

ابن السكيت فى تفسير معنى السُّبجة إذ يقول : السُّبْـجة : دِرْع عرض بدنه إلى عظمة الساعد ، يخاط جانباه ، وله كُمَيم صغير طوله شبر ، يلبسه ربات البيوت ، فأما الجوارى فيلبسن القُـمُص .

فهذا القول صريح فى أن الدرع ليس من القمص ، وإنما هو شىء آخر تلبسه ربات البيوت ، وقد يفهم من قوله (يلبسه ربات البيوت) أنه موصوف بزيادة فى السعة والطول يمتاز بها عن القميص ، ليناسب ربات البيوت فى احتشامهن وأسنانهن .

وأَصْرَحُ من ذلك فى أن الدرع غير القميص قول أبى منصور الثعالبى فى الباب الثالث والعشرين من كتاب فقه اللغة :

الإِتْب والقرقر[١] والقرقل ، والصدار والمجْول ، والشَّوْزر : قمص متقاربة الكيفية فى القصر واللطافة وعدم الأكمام ، يلبسها النساء تحت دروعهن[٢] ، وربما اقتصر عليها فى أوقات الخلوة ، وعند التبذل . اهـ .

فهذا القول غاية فى الصراحة فى أن الدرع يلبس فوق القميص ، وليس هو القميص ، ونحن نستحسن جدا أن نطلق لفظ الدرع على (جلباب المنزل) أى ما يسمى : (Robe)

السُّبْجة ـ السَّبيجة

وأُحب ألا أترك هذه الفرصة تمر دون أن أحيى لفظا عربيا هو (السُّبجَة أو السَّبيجة) التى سبق شرحها فى الكلام على الدرع ، فقد

---

(١) نقلنا هذا النص من كتاب فقه اللغة بحروفه ، وصاحب تاج العروس يقول فى تفسير (القرقل) ما يأتى : « وهو الذى تسميه العامة (قرقر) . وفى التهذيب : ونساء أهل العراق يقولون (قرقر) وهو خطأ .

(٢) خالف أبو منصور جمهور اللغويين الذين جمعوا درع المرأة على (أدراع) ولم يجمعوه على دروع .

تجاهلنا هذا اللفظ ، وأحيينا بدلا منه لفظا دخيلا كثيرا ما يرد على ألسنة سيدات العصر ، وهو (Robe Japanese) .

المجــــول

المخصص — المجول : دِرع خفيف تجول فيه الجارية . اه

الأساس — وبرزت فى مِجولها ، وهو ثوب تلبسه الفتاة قبل التخدير ، تجول فيه . اه

اللسان — المجول ثَوْب صغير تجول فيه الجارية . غيره — والمجول: ثوب يثنى ويُخاط من أحد شقيه ، ويجعل له جيب ، تجول فيه المرأة ، وقيل : المجول للصبية ، والدِّرع للمرأة .

القاموس — المجول (كمنبر) : ثوب للنساء أو للصغيرة .

تقول هذه النصوص: إن (المجول) ثوب تلبسه الفتاة فى البيت وفى خارج البيت قبل أن تقصر فى الخدر . أو هو ثوب تجول فيه المرأة فى البيت . والمراد أنه درع تلبسه ربة البيت تجول فيه .

وأنا أستحسن قول من قال (المجول للصبية ، والدرع للمرأة) . فإذا ضممنا هذا القول إلى قول الزمخشرى السابق فى الأساس ، جاز أن نطلق كلمة المجْول على (الفستان) الذى تلبسه فتيات المدارس مثلا ومن فى أعمارهن.

المِعْرض

فى القاموس - المعرض (كمنبر) : ثوب تجلى فيه الجارية.

وفى المصباح - المعرض (وزان مقود) : ثوب تجلى فيه الجوارى ليلة العُرس . وهو أفخر الملابس عندهم ، أو من أفخرها .

وقد وضعت إحدى لجان المجمع كلمة المعرض (لفستان العروس)

ولكن قواعد المجاز لا تأبى إطلاق هذا اللفظ على كل ثوب فاخر تلبسه المرأة أو الفتاة فى المنزل عند الزيارات مثلا ، وفى المجتمعات الخاصة والعامة . وهو ما يطلقن عليه اسم (الفستان) .

الجلباب

كثيرا ما نسمع من الشبان والفتيات الأنيقات كلمة فرنسية هي (Robe be Chambre) يعنون بها ذلك الثوب الذى تجلل به الثياب فى المنزل ؛ وعندنا فى العربية مرادف عربى فصيح لهذا اللفظ الفرنسى ، وهو (الجلباب) فاسمع إلى ما يقوله اللغويون فى معناه :

المخصص — عن صاحب العين ـ الجلباب : ثوب أوسع من الخمار دون الرداء ، تغطى به المرأة ظهرها وصدرها . اهـ .

اللسان — وقيل هو ثوب واسع دون الملحفة (الملاءة) تلبسه المرأة ، وقيل هو الملحفة ، وقيل هو ما تغطى به المرأة الثياب من فوق كالملحفة . اهـ

القاموس — الجلباب (كسرداب وسنمار) : القميص ، أو ثوب واسع للمرأة دون الملحفة تغطى به ثيابها من فوق كالملحفة ، أو هو الخمار .

وتتلخص أقوال اللغويين فى تفسير الجلباب فى أنه يطلق على الخمار والقميص ، والملحفة ، وثوب واسع للمرأة دون الملحفة تغطى به ثيابها من فوق كالملحفة .

وهذا المعنى الأخير هو الذى يناسب ما نريده من هذا البحث ، فهو منطبق على معنى (Robe de Chambre) ، فهل يتاح لهذا اللفظ الواحد الخفيف أن يتداول على ألسنة الخاصة والمثقفين من شباننا وشوابنا ، ليدلوا على حب لغتهم وغناها ؟

بقى أن النصوص السابقة تفيد أن الجلباب من ملابس النساء ، فهل يجوز إطلاقه على ما يلبس الرجل من هذا النوع ؟

وجوابنا عن هذا أن علاقة الإطلاق والتقييد فى المجاز تساعد على تعميم اللفظ فيما يلبسه النساء والرجال ، ولا ضير ؟

« للبحث بقية » مصطفى السقا

صفحات مخطوطة

شذوز اللغة

فى هذا الباب الجديد الذى نفتتحه فى هذا العدد ، تنشر « صحيفة دار العلوم » بعض نفائس الأدب العربى ، وذخائر اللغة ، التى ظلت مطوية فى بطون الكتب ، من رسائل تاريخية لمشهورى الكتاب ، وقصائد فريدة لمنسيي الشعراء ، وبحوث أدبية لم يشأ لها النسيان أن تزور دور الطباعة ، وشذور فى اللغة جهلناها فضقنا باللغة ذرعا .

وسيقوم على تحرير هذا الباب صديقانا الأستاذان :

ابراهيم الأبيارى و عبد الحفيظ شلبى

المحرران بالقسم الأدبى بدار الكتب المصرية

« المحرر »

قال ابن قتيبة (١) فى كتابه « المنتخب فى اللغة وتواريخ العرب » :

باب معرفة ما يضعه الناس فى غير موضعه :

من ذلك : أشفار العين ، يذهب الناس إلى أنها الشعر النابت على حروف العين ، وذلك غلط . إنما الأشفار حروف العين التى ينبت عليها الشعر ، والشعر هو الهدب . وقال الفقهاء المتقدمون : فى كل شُفر من أشفار العين ربع الدية ، يعنون فى كل جفن . وشُفر كل شىء :حرفه

(١) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى ، وقيل المروزى . من أعيان القرن الثالث الهجرى . ومؤلفاته كثيرة حسبنا أن نذكر منها : عيون الأخبار ، والمعارف ، وأدب الكاتب ، وطبقات الشعراء ، وكتاب المنتخب هذا الذى هو مزيج من اللغة والأدب والتاريخ . يقع فى أربع وسبعين صفحة ، مخطوطة بخط قديم لا يكاد يبين ، ولا يكاد يسلم السطر الواحد من غلط . والكتاب على صغر حجمه جم الفائدة فقد أثبت عنه ابن منظور الكثير مما يتصل باللغة ومعانى الكلمات . ثم إن ابن قتيبة فوق ذلك طرق فيه نواحى من البحث طلية دعم رأيه فيها بالاستشهادات التى وقعت له.

وكذلك شَفيره، ومنه يقال شفير الوادى. فإن كان أحد من الشعراء سمى الشعر شُفرا فإنما سماه بمنبته، والعرب تسمى الشيء باسم الشيء.

ومن ذلك حُمَة العقرب والزُّنبُور. يذهب الناس إلى أنها شوكة العقرب وشوكة الزنبور التى يلسعان بها، وذلك غلط؛ إنما الحُمَة سُمها وضرّها، وكذلك هى من الحية. ومنه قول ابن سيرين: يُكره الدرياق إذا كان فيه الحمة. يعنى السم، وأراد لحوم الحيّات لأنها سم. وفى الحديث: لا رُقْية إلا من نَمْلَة أو حُمَة أو نَفْس. فالنَّملة: قروح تخرج فى الجَنْب. يقول المجوس: إنّ وَلَدَ الرجل إذا كان من أخته ثم خَطَّ على النملة شُفِى صاحبُها. قال الشاعر:

ولا عَيْبَ فينا غير عِرْق لمعشر كرامٍ وأنّا لا نَخُطُّ على النَّمل[1]

يريد أنا لسنا بمجوس تَنْكح الأخوات. والنَّفس: العين، يقال: أصابت فلانا نفس؛ والنافس: العاين. والحمة: لكل هامة ذات سم، فأما شوكة العقرب فهى الإبرة.

ومن ذلك الطَّرب، يذهب الناس إلى أنه فى الفرح دون الحزن، وليس كذلك، إنما الطرب خفة تصيب الرجل لشدة السرور أو لشدة الجزع. قال النابغة الجعدى:

(١) وقال ابن الأعرابى فى تفسير هذا البيت: «يريد وأنا كرام ولا نأتى بيوت النمل فى الجدب لنحفر على ما جمع لنأكله». وجدير بنا، قبل أن نترك الكلام على النملة، أن نورد شيئاً متصلا بذلك. قال أبو عبيد: فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم: أنه قال للشفاء: «علمى حفصة رقية النملة». قال ابن الأثير: شىء كانت تستعمله النساء يعلم كل من سمعه أنه كلام لا يضر ولا ينفع. ورقية النملة التى كانت تعرف بينهن أن يقال للعروس تحتفل وتختضب وتكتحل وكل شىء تفتعل غير أن لا تعصى الرجل. فأراد النبى صلى الله عليه وسلم بهذا المقال تأنيب حفصة لأنه ألقى اليها سرا فأفشته.

وأرانى طَرِبًا فى إثْرِهم طَربَ الواله أو كالمُخْتَبِل (١)

وقال آخر :

يَقلْن لقـد بكيت فقلت كلّا وهل يبكى من الطرب الجليدُ

وإنما هو ها هنا بمعنى الجزع .

ومن ذلك الحِشْمة . يضعها الناس موضع الاستحياء . قال الأصمعى : وليس كذلك . إنما هو بمعنى الغضب . وحُكى عن بعض فصحاء العرب أنه قال : إن ذلك لممّا يحشّم بنى فلان ، أى يغضبهم .

قال : ونحو من هذا قول الناس : زَكِنْتُ الأمر ، يذهبون فيه إلى معنى ظننت وتوهمت ، وليس كذلك . إنما هو بمعنى علمت . يقال زَكِنْت الأمرَ أزْكَنه . قال ابن أم صاحب (٢) :

ولن يُراجع قلبى وُدَّهم أبـدًا زَكِنْتُ منهم على مثل الذى زَكنوا

أى علمت منهم مثل الذى علموا منى .

ومن ذلك القافلة ، يذهب الناس إلى أنهـا الرفقة فى السفر ذاهبةً كانت أو راجعة ، وليس كذلك . إنما القافلة الراجعة من السفر ، يقال : قفلت فهى قافلة . وقفل الجنـد من بعثهم ، أى رجعوا . ولا يقال لمن خرج الى مكة من العراق قافلة حتى يصدروا .

ومن ذلك العِرْض ، يذهب الناس إلى أنه سلف الرجل من آبائه وأمهاته ، وأن القائل إذا قال : شتم فلان عرضى ، إنما يريد شتم آبائى وأمهاتى وأهل بيتى . وليس كذلك . إنما عرض الرجل نفسه ، ومن شتم عرض الرجل

(١) الواله : الثاكل . والمختبل : الذى اختبل عقله ، أى جن . وهذا البيت فى الهم وقبله :

سألتنى أمتى عن جارتى وإذا ماعى ذو اللب سأل

سألتنى عن أناس هلكوا شرب الدهر عليهم وأكل

(٢) هو قعنب بن أم صاحب .

فإنما ذكره فى نفسه (١) بسوء . ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم فى أهل الجنة : « لا يبولون ولا يتغوطون إنما هو عرق يجرى من أعراضهم مثل المسك » يريد يجرى من معاطف أبدانهم . ومنه قول أبى الدرداء : أقرض من عرضك ليوم فقرك . يريد من شتمك فلا تشتمه ، ومن ذكرك بسوء فلا تذكره ، ودع ذلك قرضاً لك عليه ليوم القصاص والجزاء . ولم يرد أقرض عرضك من أبيك وأمك وأسلافك ، لأن شتم هؤلاء ليس إليه التحليل . ومنه قول ابن عتيبة : لو أن رجلاً أصاب من عرض رجل شتائم ثم تورع فجاء إلى ورثته وإلى جميع أهل الأرض فاستحلهم ما كان فى حل ، ولو أصاب من ماله ثم دفعه إلى ورثته لكنا نرى ذلك كفارة . فعرض الرجل أشد من ماله . قال حسان بن ثابت الأنصارى :

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله فى ذاك الجزاء
فإن أبى ووالده وعرضى لعرض محمد منكم وقاء

أراد فإن أبى وجدى ونفسى وقاء لنفس محمد صلى الله عليه وسلم . ومما يزيد فى وضوح هذا حديث حدثنيه الزيادى عن حماد بن زيد عن هشام عن الحسن قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيعجز أحدكم أن يكون كأبى ضمضم ، كان إذا خرج من منزله قال : اللهم إنى قد تصدقت بعرضى على عبادك (٢) .

(١) هذا ماذهب اليه ابن قتيبة وحده ، ولا خلاف بين أهل اللغة فى أن ذكر عرض الرجل معناه أموره التى يرتفع أو يسقط بذكرها من جهتها بحمد أو بذم ، فيجوز أن تكون أمورا يوصف هو بها دون أسلافه ، ويجوز أن تذكر أسلافه لتلحقه النقيصة بعيبهم.

(٢) أى قد تصدقت على من ذكرنى بما يرجع إلى عيبه ، وقيل : أى بما يلحقنى من الأذى فى أسلافى . ولم يرد إذاً أنه تصدق بأسلافه وأحلهم له . لكنه إذا ذكر آباءه لحقته النقيصة فأحله مما أوصله اليه من الأذى . وعلى هذا التوجيه فالحديث على ابن قتيبة لا له .

ومن ذلك العِتْرَة ، يذهب الناس إلى أنها ذرية الرجل خاصة ، وأن من قال عِتْرَة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنما يذهب به إلى فاطمة رضى الله عنها . وعترة الرجل : ذريته وعشيرته الأدنون ، مَنْ مضى منهم ومَنْ غَبَرَ . ويدلك على ذلك قول أبى بكر رضى الله عنه : نحن عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى خرج منها ، وبيضته التى تفقأت عنه ، وإنما جِيبَتْ العرب عنا كما جِيبتْ الرحى عن قُطْبها [1] . ولم يكن أبو بكر رضى الله عنه ليدعى بحضرة القوم جميعاً ما لا يعرفون .

ومن ذلك الجاعرة ، يذهب الناس إلى أنها حلقة الدبر . وهى تحتمل أن تسمى جاعرة لأنها تَجْعَرُ ، أى تخرج الجَعْرَ . ولكن العرب تجعل الجاعرتين من الفرس والحمار موضع الرقمتين من مؤخر الحمار . قال كعب ابن زُهير يذكر الحمار والأتن :

إذا ما انتحاهنَّ شُؤْبُوبُهُ رأيتَ لجاعِرَتَيْهِ غُضُونا

شؤبوبه : شدة دفعه . يقول : إذا عدا واشتد عَدْوُه رأيت لجاعرتيه تكسراً لقبضه قوائمه وبسطه إياها .

ومن ذلك التلاد والتليد ، لا يفرق الناس بينهما . والتليد : ما ولد [2] عند غيرك ثم اشتريته صغيراً فنبت عندك . ومنه حديث شريح فى رجل اشترى جارية ، وشرطوا له أنها مولدة فوجدها تليدة فردّها . فالمولّدة بمنزلة التلاد ، وهما ما ولد عندك . والتليد فى حديث شريح : التى ولدت ببلاد العجم وحُملت صَغيرة فنبتت فى بلاد الإسلام .

---

(١) يريد : خرقت العرب عنا فكنا وسطا ، وكانت العرب حوالينا كالرحى وقطبها الذى تدور عليه . مأخوذ من الجوب ، وهو قطعك الشىء كما يجاب الجيب .

(٢) وخالف ابن شميل ابن قتيبة فى ذلك فجعل التليد هو الذى يولد عندك ، وهو عنده كالتلاد لا فرق بينهما

ومن ذلك اللَّبَّة ، يذهب الناس إلى أنها النقرة التى فى النحر ، وذلك غلط ، إنما اللَّبَّة : الْمَنْحَر ، فأما النقرة فهى الثغرة .

ومن ذلك الآرى ، يذهب الناس إلى أنه المَعْلَف ، وذلك غلط . إنما الآرِى : الأَخِيَّة التى تشد بها الدواب ، وهى من تَأَرَّيت بالمكان ، إذا أقمت به . قال أعشى باهلة :

لا يَتأرَّى لما فى القدر يَرْقبه ولا يَعَضُّ على شُرْسُوفِه الصَّفَرُ (١)

أى لا يتحبّس على إدراك القدر ليأكل منها ، وتقدير آرى من الفعل فاعول .

ومن ذلك المَلّة ، يذهب الناس إلى أنها الخبزة ، فيقولون : أطعمنا مَلَّة ، وذلك غلط . إنما الملة موضع الخبزة ، سمى بذلك لحرارته . ومنه قيل : فلان يتململ على فراشه ، والأصل يتملل ، فأبدل من إحدى اللامات ميم . يقال : مللت الخبزة فى النار أُملها ملاً . والصواب أن تقول : أطعمنا خبز مَلَّة (٢) .

ومن ذلك العَبِير ، يذهب الناس إلى أنه أخلاط من الطِّيب . وقال أبو عبيدة : العبير — عند العرب — الزعفران وحده . وأنشد للأعشى :

وتَبْرُد بَرْدَ رِداء العَرو س بالصيف رقْرَقْت فيه العَبيرا

ورقرقت ، بمعنى رققت ، فأبدلوا من القاف الوسطى راء ، أى صبغته بالزعفران . وكان الأصمعى يزعم أن العَبير أخلاط تجمع بالزعفران ،

(١) هذا البيت قاله الأعشى فى رثاء أخيه . والشرسوف : غضروف معلق بكل ضلع . وقيل : هى أطراف أضلاع الصدر التى تشرف على البطن . والصفر (فيما تزعم العرب) : حية فى البطن تعض الانسان إذا جاع . وقيل الصفر فى هذا البيت معناه الجوع .

(٢) ويسمى الخبز : مليلا ومملولا ، وكذلك اللحم . وأنشد أبو عبيد :

ترى التيمى يزحف كالقرنبى إلى تيمية كعصا المليل

ولاأرى القول إلا ماقال الأصمعى ، لقول رسول الله عليه وسلم للمرأة: « أتعجز إحدا كنّ أن تتخذ تومَتين ثم تلطخهما بعَبير أو زعفران » ففرّق النبى صلى الله عليه وسلم بين العبير والزعفوان . والتُّومَة : حبة تعمل من فضة كالدرة .

وكان بعض أصحاب اللغة يذهب فى قول الناس : خرجنا نتنزه ، إذا خرجوا إلى البساتين ، إلى الغلط ، وقال : إنما التنزه : التباعد عن الماء والريف . ومنه يقال : فلان يتنزّه عن الأقذار ، أى يباعد نفسه عنها ، وفلان نزيه كريم ، إذا كان بعيدا من اللؤم ، وليس هذا عندى خطأ ، لأن البساتين فى كل مصر وفى كل بلد إنما تكون خارج البلد أو المصر ، فإذا أراد الرجل أن يتنزّه ، أى يبعد عن المنازل والبيوت ، ثم كثر هذا واستعمل حتى صارت النزهة القعود فى الخضر والجنان .

ومن ذلك إشلاء الكلب ، هو عند الناس إغراؤه بالصيد وبغيره مما تريد أن يحمل عليه ، وذلك غلط ، إنما إشلاء الكلب أن تدعوه إليك وكذلك الناقة ، قال الراجز :

أشليت عنزى ومسحت قَعْبى

يريد أنه دعا عنزه ليحتلبها . فأما إغراء الكلب بالصيد فهو الإيساد ، يقول آسدته وأوسدته ، إذا أغريته [1] ٭ .

ومن ذلك حاشية الثوب ، يذهب الناس إلى أنها جانبه الذى لا هدب

---

(١) فى قولهم : « أشليت الكلاب على الصيد ونحوه » خلاف بين أهل اللغة . فذهب بعضهم إلى أنه خطأ ، لأن (أشلى) بمعنى (دعا) وعليه لا يصح ذكر (على) معها . وذهب آخرون إلى أنه صواب ، على تضمين (أشلى) معنى (أغرى) أو (ألقى) مما يعدى بعلى . أو على أن فى الكلام حذفا تقديره : دعاها فأرسلها على الصيد ، ومن هؤلاء أبو هلال العسكرى (راجع المعجم فى بقية الأشياء ص ١٠٢) .

٭ نرى أن كلمة أشلى والإشلاء تؤدى معنى «حنس» فى العامية و Tantalisation فى الانجليزية « صحيفة دار العلوم »

له ، وذلك غلط. وحواشي الثوب: جوانبه كلها ، فأما جانبه الذى لا هدب له فهو طُرَّته وكُفَّته .

* * *

باب ما يستعمل من الدعاء فى الكلام :

أرْغم الله أنفه ، أى ألزقه بالرَّغام ، وهو التراب ؛ ومن ثَمَّ يقال : على رَغْمك ، وعلى رغم أنفك ، وإن رَغِمَ أنفُك .

ويقولون: قَمْقَمَ اللهُ عَصَبَه ، أى جمعه وقبضه ؛ ومنه قيل للبحر قمقام ، لأنه مجتمع للماء .

ويقال :استأصل الله شأفته . والشأفة : قرحة تخرج بالقدم فتُكوَى فتذهب ، يقال شَئفَت رجلُه شأفاً ، يقول : أذهبك الله كما أذهب ذاك .

أسكتَ الله نَأْمَته (مهموزة مخففة الميم) وهى من النَّئيم ، وهو الصوت الضعيف . ويقال نامَّته (بالتشديد غير مهموز) أى ما ينمُّ عليه من حركة .

ويقال : سَخَّم الله وجهه ، أى سوده . من السُّخام وهو سواد القدر .

أباد الله خضراءهم ، أى سوادَهم ومعظمهم . ومن ذلك قيل للكتيبة خضراء . قال الأصمعىّ : لا يقال أباد الله خضراءهم ، ولكن يقال أباد الله غضراءهم ، أى خيرهم وغضارتهم . والغضراء طينة خضراء عَلِكة ؛ يقال : أنبط بئره فى غضراء[1] .

بالرِّفاء والبنين ، يُدْعى بذلك للمتزوِّج . والرِّفاء :الالتحام والاتفاق ، ومنه أخذ رَفْء الثوب ، ويقال بالرِّفاء ، من رَفَوْتُ الرجل ، إذا سكَّنته . قال الهذلىّ[2] :

---

(١) أى استنبط الماء من طين حر . يقال نبط البئر نبطا وأنبطها واستنبطها ونبطها (بالتضعيف) : أماهها . (٢) هو أبو خراش .

رَفَوْنى وقالوا ياخُوَيْلد لا تُرَعْ فقلتُ وأنكرت الوجوهَ هُمُ هُمُ

ويقال : من آغتاب خَرَق ، ومن آستغفر الله رَفَأَ (١) .

وقولهم مرحبا، أى أتيت رُحْبا ، أى سَعة. وأهلا ، أى أتيت أهلا لا غرباء، فأنس ولا تستوحش . وسهلا ، أى أتيت سهلا لا حَزْنا (٢) . وهو فى مذهب الدعاء كما يقول : لقيت خيرا .

***

باب تأويل المستعمل من مزدوج الكلام :

له الطّم والرِّم . الطم : البحر : والرم . الثرى . (٣) .

له الضِّح والريح . الضِّح : الشمس ، أى له ما طلعت عليه الشمس وما جرت عليه الريح .

له الوَيْل والأَلِيل . فالأليل : الأنين . قال ابن مَيَّادة :

وقُولاَ لها ما تأمرين بوامق له بعد نومات العيون أَلِيلُ

أكذب من دَب ودَرَج ، أى أكذَب الأحياء والأموات . يقال للقوم إذا انقرضوا : درجوا .

لا يقبل منه صَرْف ولا عَدْل . الصرف : التوبة . والعدل : الفِدْية . قال الله عز وجل : (وإنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَيُؤْخَذْ مِنْهَا) أى وإن تَفْدِ كلَّ فِداء . وقال يونس: الصرف: الحيلة ، ومنه قيل : انه ليتصرَّف فى كذا وكذا . قال الله تعالى : « . . . فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفاً » .

---

(١) يريد : خرق دينه بالاغتياب ، ورفأه بالاستغفار .

(٢) الحزن : ما غلظ من الأرض .

(٣) يريد أن له المال الكثير .

ويقولون : ما يعرف هرًّا من برّ . قال ابن الأعرابى : الهِرّ : دعاء الغنم . والبر : سَوْقها . وقال غيره : من هَرَرْته ، أى كرهته . يقال : هرّ فلان الكأسَ : كَرِهها ، يريد ما يعرف من يكرهه ممن يَبَرّه (١) .

القوم فى هِياط ومِياط . الهِياط : الصياح والجلبة. والمياط : الدفع ، ومنه إماطة الأذى عن الطريق (٢) .

وقولهم : كيف السَّامة والعامة ، السامة : الخاصة .

ويقولون : حيّاك الله وبيّاك . حياك الله : ملّكك . والتحية : المُلْك ، ومنه التحيّات (٣) لله ، يراد به الملك لله . قال عمرو بن مَعدى كَرِب :

أَسير (٤) بها إلى النعمان حتّى ... أُنيخ على تحيَّته بجُنْدِى

يعنى على ملكه . ويقال : بيّاك الله ، أى اعتمدك بالملك والخير . قال الشاعر (٥) :

باتَتْ تَبَيَّا حوضَها عُكوفا ... مِثْلَ الصُّفوف لاقت الصُّفوفا

أى تعتمد حوضَها . وقال ابن الأعرابى : بيّاك : جاء بك . ورُوى فى

(١) وقيل : أراد بالهر والبر هاهنا السنور والفأر . وقيل غير ذلك مما لا يكاد يخرج فى معناه عما ساقه ابن قتيبة .

(٢) وقال الفراء : الهياط : أشد السوق فى الورد . والمياط : أشد السوق فى الصدر . يعنى بذلك المجىء والذهاب . وقيل : الهياط : اجتماع الناس للصلح . والمياط : التفرق عن ذلك .

(٣) وقال خالد بن يزيد : لو كانت التحية : الملك ، لما قيل التحيات لله ، والمعنى السلامات من الآفات كلها ، وجمعها لأنه أراد السلامة من كل آفة .

(٤) ويروى : « أؤم بها . . . كما يروى : « أسير به » . وقيل هذا البيت :

وكل مفاضة بيضاء زغف ... وكل معاود الغارات جلد

(٥) هو أبو محمد الفقعسى .

بياك : أضحكك . وجاء هذا فى حديث يروى فى قصة آدم عليه السلام [١] .

وأنشد ابن الأعرابى

وعَسْعَسٌ نِعْمَ الفتى تَبَيَّاهُ [٢]

أى تعتمده .

هو له حِلٌّ [٣] وبِلٌّ . قال الأصمعى : بِلٌّ : مُباح ، بلغة حمير . قال : وأخبرنى به المعتمر بن سليمان .

ما به حَبَض ولا نَبَض [٤] . النبض : التحرك ، ولم يعرف الأصمعى الحَبَض [٥] :

ما عندك خَيْرٌ [٦] ولا مَيْر . والمَيْر : مصدر مارهم يميرهم مَيْرا من المِيرة .

ما يعرف قَبيلاً من دَبير . القَبيل : ما أقبلت به المرأة من غزلها حين تفتله ، والدبير : ما أدبرت به . قال الأصمعى : أصله من الإقبالة

(١) وذلك أن آدم استحرم بعد قتل ابنه مائة سنة فلم يضحك حتى جاءه جبريل عليه السلام فقال : حياك الله وبياك . فقال : وما بياك ؟ قيل : أضحكك .

(٢) هذا صدر بيت وعجزه : « منا يزيد وأبو محياه »

وأبو محياة : كنية رجل ، واسمه يحيى بن يعلى .

(٣) وحل وبل ، أى طلق . تقول : هو حل وبل ، وكذلك للأنثى . وروى عن ابن عباس : هى حل وبل ، يعنى زمزم .

(٤) لا تستعمل « النبض » متحركة إلا فى الجحد .

(٥) هذا ما ثبت عن ابن قتيبة . والذى فى المعاجم : أن الحبض هو التحرك . ومنه حبض القلب يحبض ، إذا ضرب ضربانا شديدا ، وكذلك العرق يحبض ثم يسكن ، وهو أشد من النبض . ومابه حبض ولا نبض ، أى مابه حراك . وكتب شبة بن عقال إلى الفرزدق : إن كان بك حبض أو نبض من شعر فان بنى جعفر قد مزقوا أباك .

(٦) يريد أى ليس عنده لا عاجل ولا آجل .

والإدبارة، وهو شق فى الأذن ثم يُـفتل ذلك، فإذا أقبل به فهو الإقبالة، وإذا أدبر به فهو الإدبارة . والجلدة المعلقة فى الأذن أيضا هى الإقبالة والإدبارة .

هو جائع نائع . قال بعضهم : نائع إتباع . وقال بعضهم : عطشان، وأنشد :

لَـعَمْرُ بَنى شِهابٍ ما أقامُوا صُدورَ الخيلِ والأسَلَ النِّياعا[1]

يعنى الرماح العِطاش .

ما ذقت عنده عَبَـكَـةَ ولا لَبَـكَـةَ . العَبَـكة : الحبة من السويق[2] . واللَّـبكة : القطعة من الثريد .

ماله ثَاغية ولا رَاغية . الثَّاغية : الشاة . والرَّاغية : الناقة[3] .

لا يُدالس ولا يُوالس : من الدَّلَس، وهو الظلمة، أى لا يخادعك ولا يخفى عنك الشىء فكأنه يأتيك به فى الظلام، ويُوَالس : من الألْس، وهو الخيـانة .

(١) هذا البيت للقطامى . وقيل لدريد بن الصمة .

(٢) وقيل العبكة : الكف من السويق أو القطعة من الشىء .

(٣) ومنه يقال : ما بالدار ثاغ ولا راغ، أى أحد .

فـــوائد لغوية

تعقيب على مقال

بقلم سيد ابراهيم محجوب
المدرس بمدرسة بنباقادن الابتدائية

نشرت الصحيفة بعددها الثالث كلمة عنوانها « فوائد لغوية » لحضرة الأستاذ « شفيق أفندى معروف » المدرس جاء فيها ما يأتى :

« قد تُلحق العرب كلمةً لا معنى لها بكلمة أخرى على مثالها ووزنها ، وكأنهم أرادوا بزيادة الكلمة الملاحقة توكيد الكلمة السابقة بإكثار اللفظ وملء السمع ، ومن أمثلة ذلك قولهم : هو عِفريتٌ نِفريت ، وشيطان لَيْطان ، وحَسَنْ بَسَنْ (كذا) . فإن الكلمات نفريت ، وليطان ، وبسن لا معنى لها ولا تستعمل إلا مع سابقاتها كما رأيت ويسمى هذا النوع من الكلمات اتباعا ، انتهى .

والذى ألاحظه على حضرة الزميل :

(١) قوله إن كلمات : نفريت ، وليطان ، وبسن لا معنى لها .
(٢) قوله بَسنْ بتسكين النون .
(٣) قصره الاتباع على هذا النوع .

ولقد جاء فى الجزء الثانى من كتاب الأمالى للقالى (ص ٢٠٨ الطبعة الثانية » لدار الكتب المصرية سنة ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦ م) ما يأتى :

قال أبو على : « الإتباع على ضربين . ضرب يكون فيه الثانى بمعنى الأول فيؤتى به تأكيدا لأن لفظه مخالف للفظ الأول ؛ وضرب فيه معنى الثانى غير معنى الأول » .

والذى يفهم من هذا التعريف هو أن كلمات الاتباع لها معنى وهذا المعنى ينحصر فى موافقته لمعنى اللفظ الأول أو مخالفته لمعنى اللفظ الأول، لا كما يقول حضرة الزميل بأن تلك الكلمات لا معنى لها ولقد أورد أبو على فى كتابه الكلمات التى قال عنها حضرة الأستاذ إنها لا معنى لها وشرح معناها شرحا مسهبا حيث قال « ويقولون : شيطان لَيْطان ، فلَيْطان مأخوذ من قولهم : لاطَ حبُّه بقلبى يَلوط ، و يَليطُ أى لَصق . ويقال : للولدفى القلب لَوْطَة ، أى حُبٌّ لازق. ويقولون: هو أَلْوَط بقلبى منك وأليط، أى ألزق. ويقال: ما يليط هذا بقلبى وما يلتاط ، أى ما يلصق، ويقال : ألاط القاضى فلانا بفلان ،أى ألحقه به ، فمعنى قولهم: شيْطان ليطان : شيطان لَصُوق .

وقال : يقولون : حَسَنٌ بَسَنٌ « كذا » لا بتسكين النون : قال أبو على : يجوز أن تكون النون فى بَسَن زائدة ، كما زادوها فى قولهم : امرأة خَلْبَنٌ ، وهى الخلاَّبَة ، وناقة عَلْجَن ، من التَّعلج ، وهو الغِلَظ . وامرأةٌ سِمعْنَّة نِظرْنَّة ، وسُمْعُنَّة نُظْرُنَّة ، إذا كانت كثيرة النظر والاستماع ، فكان الأصل فى بَسَن بسًّا ، وبَسٌّ مصدر بَسَسْتُ السَّوِيق أُبسُّه بَسًّا فهو مَبْسُوسٌ ، إذا لتته بسمن أو زيت ليكمل طيبه . فوضع البَسُّ موضع المبسوس ، وهو المصدر ، كما قلت: هذا ضرب الأمير، تريد مضروبه ، ثم حذفت احدى السِّينين وَزِيد فيه النون وبُنى على مثال حَسَن ، فمعناه حَسنٌ كامل الحسن . وقال أيضا : وأحسن من هذا المذهب الذى ذكرناه أن تكون النون بدلا من حروف التضعيف ، لأن حروف التضعيف تبدل منها الياء مثل تَظَنَّيْتُ وتَقَضَّيْتُ وأشباههما ، فلما كانت النون من حروف الزيادة ، كما أن الياء من حروف الزيادة ، وكانت من

حروف البدل كما أنها من حروف البدل ، أبدلت من السين ، إذ مذهبهم فى الاتباع أن تكون أواخر الكلم على لفظ واحد مثل القوافى والسجع ، ولتكون مثل حسن وقال : ويقال : عفريت نِفْرِيتٌ ، وعِفْرِيَة نِفْرِيَة ، فعفريت فِعْلِيتٌ ، من العَفَر ، يريدون به شِدة العَفَارَة ، ويمكن أن يكون عفريتٌ فِعْليتاً من العَفَر وهو التراب ، كأنه شديد التعفير لغيره ، أى التمريغ له ؛ ونِفْرِيتٌ فِعْليتٌ من النفور ، يمكن أرادوا شديد النفور ويمكن أرادوا شديد التنفير لغيره .

من هذا كله يتضح ما يأتى :

(١) أن كلمات « ليطان — وبَسنٌ — ونفريتٌ » لها معنى .

(٢) أن التسكين فى «حسنْ بسنْ» ليس بلازم فقد ورد فيهما التحريك . (راجع القاموس فى مادة بسن) وقد جاء التسكين فى مادة « تبع » .

(٣) أن الاتباع أوسع مما يظن الأستاذ .

والله أسأل أن يلهمنا سبيل الصواب .

سيد ابراهيم محجوب

الى الكتاب والقراء

ازدحمت مواد هذا العدد ازدحاما اضطرنا إلى تأجيل كثير من الموضوعات إلى العدد المقبل . وموعدنا به أول يونيه .

فـــوائد لغوية

بقلم محمد شفيق معروف

المدرس بمدرسة المنيرة الابتدائية للبنين

٢

(١) كتبت فى العدد الثالث من صحيفة دار العلوم تحت العنوان المتقدم كلمة وجيزة فى الاتباع هذا نصها :

« قد تُلحق العرب كلمة لا معنى لها بكلمة أُخرى على مثالها ووزنها، وكأنهم أرادوا بزيادة الكلمة اللاحقة توكيد الكلمة السابقة باكثار اللفظ ومَلْءِ السَّمع ، ومن أمثلة ذلك قولهم : هو عِفْريتٌ نِفْريتٌ ، وشَيْطَانٌ لَيْطَانٌ . وحَسَنٌ بَسَنٌ ، فانَّ الكلمات نِفْريتٌ ، ولَيْطَانٌ وبَسَنٌ لا معنى لها ، ولا تُسْتَعمَلُ إلا مع سابقاتها كما رأيتَ . ويُسَمَّى هذا النوع من الكلمات إتباعا » اه

وأزيد اليوم على ما سَبَقَ أنَّ لعلماء اللغة العربية فى الاتباع أقوالاً كثيرة مختلفة ، أُلخصها لحضرات القراء فيما يأتى :

الآمدى — التابع لا يُفِيد معنًى أصلاً ، ولهذا قال ابن دريد : سألتُ أبا حاتم عن معنى قولهم بَسَن ، فقال لا أدرى ما هو .

ابن دريد فى الجمهرة : ــ سألتُ أبا حاتم عن بَسَن من قولهم حَسَنٌ بَسَنٌ ، فقال لا أدرِى ما هو :

(١) انظر « صحيفة دار العلوم » العدد الثالث ص ٨٧ – ٩٠

ثم قال : وأمّا قولهم : حِلٌّ وبِلٌّ ، فقال قوم من أهل اللغة : بِلٌّ إتباع ، وقال قوم : بل ، البِلُّ : المباح لغة يمانية ، وقال ابن خالويه : البِلُّ الشفاء .

الجوهرى فى الصحاح — فلان فى صنعته حاذِقٌ باذِقٌ ، وهو إتباع

الفيروزابادى فى القاموس — بَسَنٌ محركة إتباع لحسَن .

وقال فى مادة نفر : وعِفْرِيةٌ نِفْرِيةٌ ، وعِفْرِيتٌ نِفْرِيتٌ . . . . إتباعٌ ، ولم يَذْكُرْ لنِفْرِيَة ونِفْرِيت معنًى .

وقال فى مادة لاط : ... واللهُ تعالى فلاناً لَيْطاً : لعَنَه ، ومنه شَيْطان لَيْطَانٌ ، أو هو إتباعٌ .

ثعلب فى أماليه — قال ابن الأعرابى : سألتُ العرب أىّ شىء معنى شَيْطان لَيْطَان ؟ فقالوا شىء نَتِدُ[1] به كلامنا .

السيوطى فى المزهر — سُئِلَ بعضُ العرب عن الإتباع فقال : هو شىء نَتِدُ به كلامنا ، أى نَشُدُّه ونُثَبِّتُه .

ابن فارس فى خطبة كتابه الإتباع والمزاوجة — ثم يكون (أى الإتباع) بعد ذلك على وجهين : أحدهما أن تكون الكلمة الثانية ذات معنى ، والثانى أن تكون الثانية غير واضحة المعنى ، ولا بَيِّنَة الاشتقاق ، إلا أنها كالإتباع لما قبلها .

الكسائى فى تفسير قولهم حارٌّ يارٌّ — حارٌّ من الحرارة ، ويارٌّ إتباعٌ ، كقولهم عَطْشَانُ نَطْشانُ ، وجائعٌ نائعٌ ، وحَسَنٌ بَسَنٌ ، ومثله كثير فى الكلام ، وإنما سُمِّيَ إتباعاً لأنّ الكلمة الثانية إنما

---

(١) نتد : نشد ونقوى . فى القاموس : وتد الوتد يتده وتداً وتدة : ثبته .

هى تابعة للأولى على وجه التوكيد لها . وليس يُتَكَلَّمُ بالثانية منفردةً ، فلهذا قيل إتباع .

التاج السبكى فى شرح منهاج البيضاوى - ظَنَّ بعضُ الناس أنَّ التابع من قبيل المترادف لشبهه به ، والحقُّ الفرق بينهما ، فإنَّ المترادفين يُفيدان فائدة واحدة من غير تفاوت ، والتابع لا يفيد وحده شيئاً ، بل شرط كونه مفيداً تَقَدُّم الأول عليه . كذا قال الامام فخر الدين الرازى .

ابن فارس فى فقه اللغة للعرب — الإتباع أن تُتْبِعَ الكلمةَ الكلمةَ على وزنها أو رَوِيِّها إشباعاً وتأكيداً . وقد شاركت العجم العرب فى هذا الباب .

السبكى — التحقيق أنَّ التابع يُفيد التقوية ، فإنَّ العرب لا تضعه سُدًى . والفرق بينه وبين التأكيد ، أن التأكيد يفيد مع التقوية نفيَ احتمال المجاز ، وأيضاً فالتابع من شرطه أن يكون على زنة المتبوع ، والتأكيد لا يكون كذلك .

أبو على القالى فى أماليه — الإتباع على ضَربين : ضَرب يكون فيه الثانى بمعنى الأول فيُؤْتَى به توكيداً لأن لفظه مخالف للأول ، وضَرب فيه معنى الثانى غير معنى الأول ، فمن الأول قولهم : رجل قَسِيم وَسِيم ، وكلاهما بمعنى الجميل ، وضَئِيلٌ بَئِيلٌ ، فالبَئِيل بمعنى القليل ، وجديد قَشِيبٌ ، والقَشِيبُ هو الجديد ، ومُضِيعٌ مُسِيعٌ ، والإساعة هى الإضاعة . وشَيْطانٌ لَيْطانٌ أى لَصُوقٌ لازمٌ للشَّرِّ من قولهم لاطَ حُبُّه بقلبى ، أى لَصِقَ ، وعَطْشان نَطْشان ، أى قَلِق ، وأَسْوَان أَتْوَان ، أى حزين متردد يذهب ويجىء من شدّة الحزن ، ويقولون حَسَن بَسَن .

يجوز أن تكون النون في بَسَن زائدة . فكأنَّ الأصل بسْ من قولهم بَسَسْتُ السَّوِيقَ أَبُسُّهُ بَسًّا . إذا لتَتَّتَهُ بسمن أو زيت ليكمل طيبه ، ثم وُضع البَسْ في موضع المبسُوس . كقولهم دِرْهَمٌ ضَرْبُ الأمير أى مَضْروبه ، ثم حُذِفَتْ إحدَى السِّينين تخفيفاً ، وزيدتْ فيه النون ، وبُنِيَ على مثال حَسَن ، فمعناه حَسَن كامل الحُسْن . ثم قال وأحْسنُ من هذا أن تكون النون بدلاً من حرف التضعيف ، كما يبْدَل حرفُ التضعيف في بعض الكلمات ياء ، وآثروا هنا النون على الياء لأجل الإتباع إذ مذهبهم فيه أن تكون أواخر الكلم على لفظ واحد مثل القوافي والسجع .

ويقال عِفْرِيت نِفْرِيت ، فَعِفْرِيت فِعْلِيت من العَفَر يُريدون به شِدَّةَ العَفَارة(١) ، ويمكن أن يكون عِفْرِيت فِعْلِيتًا من العَفَر وهو التُّراب ، كأنه شديد التعفير لغيره . أى التمريغ له ، ونِفْرِيت فِعْلِيت من النُّفُور ، ويمكن أن يكونوا أرادوا شديد التَّنْفير لغيره .

محمد شفيق معروف

(١) المعنى خبيث منكر .

صحيفة دار العلوم

السنة الأولى

لدى الإدارة عدد محدود من مجموعة السنة الأولى من الصحيفة وترسل المجموعة لمن يطلبها نظير عشرين قرشا في القطر المصرى أو خمسة شلنات إنجليزية خارج القطر

فى عالم التربية

بعض عوامل الضعف فى تكوين الفرد وطرق علاجها فى الأسرة والمدرسة (١)

بقلم حضرة صاحب المعالى الدكتور محمد بهى الدين بركات بك

وزير المعارف الأسبق

سادتى :

بينما كنت أطالع منذ أيام إحدى المجلات الزراعية استرعى نظرى ما قرأت لخبير زراعة القصب من قوله : إن الفلاح المصرى وصل فى بعض الشئون الزراعية بفضل مثابرته وارتقابه لزراعته درجة من الاتقان لم يصل إليها العلم الحديث ، فالتجربة علمته من طرق الزراعة ما يأتى بأحسن الثمرات .

قد يدهش المرء لتلك العبارة، ولكنه إذا فكر أن الحاجة تفتق الحيلة، وأن الضرورة أم الاختراع ، عرف كيف تستطيع الجهود المتجمعة أن تصل إلى مالا يستطيع العلماء أنفسهم .

هذه شهادة العلماء عن نتيجة ما وصلنا إليه بفضل عنايتنا بنباتنا وزراعتنا، فهل نحن وصلنا إلى بعض تلك النتيجة فيما يتعلق بتربية أبنائنا وبناتنا ؟

بالأسف كلا !

اغش أى مجلس من مجالس الفلاحين تجدهم يبحثون فى أوان الزراعة

---

(١) هذه هى المحاضرة التى ألقيت فى معسكر الرواد بأرض المدرسة السعيدية فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٣٥

فى العلائم لنجاحها، وفى طرق ريها، وكيفية معالجتها، وأحسن الوسائل لإكثار الانتاج، وطرق مكافحة الآفات الزراعية وغير ذلك. واغش بعد ذلك مجالس القاهرة تجدهم يتناقشون فى السياسة، وفى الدرجات، وفى أسباب تفضيل زيد على بكر، وغير ذلك من المسائل التى تشغل الرأى العام. ولكنك يندر أن تجد مجلساً يتناقش فى طريقة معاملة الأطفال، وفى أحسن السبل لتربيتهم وتقويم المعوج فيهم؛ وكثيراً ما تسمع الناس ينسبون العيب إلى المدرسة، والتقصير إلى الحكومة، ويندر أن تجد من يذكر أن الأسرة هى المدرسة الأولى للطفل، وأن للطفل ذاكرة كالمرآة ينعكس فيها كل مايراه، وينطبع أثره فى نفسه، وينتج نتيجة فى أخلاقه وتكوينه إذا مابلغ شابا ثم رجلا.

فهل فكرنا نحن، فى تربية أولادنا، فى أن نحجم عن ارتكاب النقائص أمامهم، وأن يكون الأبوان نموذجا حسنا لهم؟ أظن لا!

ولعل جمهرة الآباء والأمهات عندنا لا يشعرون بأن عليهم واجبا لأولادهم، ولا بأن الأمثلة السيئة التى يراها الطفل ستلازمه حتما مدى الحياة.

ألسنا نرى كثيراً من الآباء والأمهات يلقنون أولادهم الكذب، ويطبعون فيهم روح الغيرة والحسد بما يقصون أمامهم من الأحاديث، ويلقنونهم من الأوامر؟

فكم من الآباء والأمهات يتنبهون إلى أن كثيرا من القصص العائلية والمشاحنات الفردية لا يصح ذكرها أمام أبنائهم وبناتهم حتى لا يفقدوا روح العطف نحو أهلهم، وحتى ينشأوا طاهرين مما يثقل ماضى أهلهم، فيبدلوا حياة أسعد من حياتهم، ويعملوا بروح من المحبة بعيدة عن البغضاء والشحناء، وعن الاثرة والانانية.

هل فكر أحد منا فى ذلك، وعمل عليه فى تربية أبنائه؟ أو لسنا فى

كثير من الأحيان نستحث أولادنا وبناتنا إلى العمل من طريق بث روح الغيرة والحسد نحو الآخرين؟ بل من طريق بذر بذور عدم الثقة والكراهة بين الاخوة. فكم من والد يقول لولده (أنا أحبك أكثر من أخيك – أخوك بطال – كل هذه القطعة ولا تخبر أخاك عنها، أو أخفها منه) وغير ذلك مما يعود الطفل منذ نعومة أظفاره الأثرة والأنانية ويغرس فى نفسه الغيرة والحسد حتى من اخوته.

* * *

كذلك كان من نتائج عدم تفكيرنا فى طرق معالجة أطفالنا، أنه بينما يفكر كل منا فى رفاهية أولاده العادية إذا به يهمل الجهة المعنوية اهمالا تاما. فلقد كنا فى ماض ليس بعيداً نسمع أن الولد لا يصح له أن يجالس أباه، وأن الزوجة لا تأكل مع زوجها، وأن الطاعة واجب كل منهما لرب البيت وما درى هؤلاء أنهم كانوا بذلك يغرسون روح الذل والاستبداد فى أبنائهم وبناتهم، ويعطلون فيهم جميع الصفات الضرورية لجعلهم أفرادا أحراراً فى مجتمع يحميهم ويعملون هم على رقيه.

حقا لقد تغيرت تلك الحالة الآن، ولكن تغيرها كان فى الشكل. أما فى الجوهر فلا يزال كثير من الآباء والأمهات يتصورون أن الطفل يجب أن يربى على الأدب والطاعة.

فالأدب فى عرفهم: أن يجلس الطفل جلسة مخصوصة، وألا يتحرك فى مجلسه، وإذا ضرب لا يبكى.

وأما الطاعة فهى أن يتلقى الأوامر فيخضع لها مهما كانت. وما دروا أن الطفل يحتاج دائما إلى الحركة، وأن السكون فى الطفولة الأولى علامة المرض والخمول، وأن من يضرب ولا يبكى فإنما ينشأ ذليلا حقيرا، وأن من يحرم حق التفكير لا يمكن أن يكون حراً، وأن النظام والطاعة

غير الخضوع والخشوع؟ وأن الوالد لو فكر فى حق ابنه عليه ما جعل لتفوقه العادى على ذلك الطفل، ولا للنعرة الوقتية التى تأخذه بالإثم إذا ما اعترض الولد عل أمر من أوامره أى أثر فى تربية ولده . ولكن للأسف تجد الحالة الفكرية فى أذهان الناس على الضد من ذلك، فهم يطلبون من الولد أن يكون أداة طبيعية لهم من غير أن يفكروا لتلك الآثار العميقة فى تكوين الطفل وما لها من نتائج بعيدة المدى.

إذ أن من يربى على الخضوع لا يكون عاجزا فقط بل ينقلب طاغية مستبدا إذا ما ولى الأمر بدوره . وإنى لا أزال أذكر أنى فى المراكز التى شغلتها، كنت أحتاج إلى كثير من التشجيع حتى يستطيع غالب الموظفين الذين كانوا تحت رياستى أن يبدوا رأيهم بحرية . لأنه انطبع فى أذهان كثير من رؤسائهم أن الاحترام معناه أن يفتن المرءوس فى الرئيس، وأن الشخص الذى يعارض رأيك لا يمكن أن يكون محلا لرضاك، وأن طاعة الرئيس معناها شل كل رأى يخالف رأيه، فلعمرى كيف يمكن التعاون والحالة النفسية على ما قدمنا، بل كيف يرقى مجتمع تلك حالة أفراده!

ولا أزال أذكر كذلك أنى عندما كنت وزيرا للمعارف لاحظت عدم وجود أداة اتصال بين رجال التعليم ليبحثوا فى نظم التربية والتعليم، ويعملوا على ترقيتها وإصلاح ما فيها من العيوب، ففكرت فى إنشاء مجلة لتكون أداة لتلك الأبحاث؛ وفعلا دعوت بعض رجال المعارف لمباحثتهم فى الأمر، فسألنى أحدهم: وهل يكون لتلك المجلة حق نقد النظم الحاضرة؟ فقلت له: نعم، لأن سبيل التقدم والرقى هو معرفة عيوب الحاضر، ولا يمكن أن نصل لذلك بغير النقد، وما دامت الأبحاث محصورة فى الحدود العلمية والفنية من غير أن تتعدى إلى الأشخاص أو السياسة أو الدين فمجالها حر للباحثين، فأجابنى، وقد شعر بغرابة وقع سؤاله من نفسى، بأنه إنما

أراد الاستفسار، لأن الفكرة عرضت فى عهد أحد الوزراء الذين تولوا أمر الوزارة قبلى ببضع سنين، فاعترض عليها ذلك الوزير وقال: كيف أسمح لرجال التعليم، ومهمتهم الدفاع عن الوزارة ونظمها بنقد نظم التعليم!

أيها السادة:

أرجو أن لا يدهشكم هذا القول، فلقد كان الوزير الذى أشير إليه معروفا بين الناس بالحكمة وحسن التدبير، وهو ممن تركوا فى نفوس الكثيرين أثراً طيباً، ولكن الأمور اشتبهت علينا، وتربية الأسرة فينا أضلتنا السبيل حتى صرنا لا نحس بآثار تلك التربية وما تركته فينا من الخشوع، والرضى بالاستبداد، فالتبس علينا الأمر وصرنا نرى حسناً ماليس بالحسن.

* * *

وثمة نتيجة أخرى من نتائج تلك الحالة فى الأسرة، وهى أننا بما يسمعه أطفالنا من أحاديث آبائهم وأهليهم، ومن عرض الخلافات الصغيرة والحقيرة أمامهم ساعدنا على أن نغرس فى نفوسهم روح الغيرة الخبيثة والحقد، مما يضعف فيهم روح التعاون والعمل المشترك. ذلك أنه انطبع فى الأذهان من أثر الحياة المنزلية، وما نراه فيها من شحناء وبغضاء، التعلق بكثير من سفاسف الأمور، والميل إلى المناظر الوضيعة، واثارة الحقد الدفين فى النفوس، مما جعل الناس ينتقد بعضهم بعضا بسبب ومن غير سبب، ومما جعل الكثيرين يظنون أنهم لا يستطيعون أن يجعلوا لأنفسهم مكانة أو احتراما إلا إذا أضعفوا من قيمة غيرهم وشوهوا أعمالهم. فكم سمعنا عن المديرين فى الأقاليم، والرؤساء فى المصالح، والوزراء فى الدواوين: أنهم يجعلون همهم تشويه ماعمله أسلافهم حتى يكون لهم وحدهم الفخر؛ وكم سمعنا عن فشل دب بين جماعات.

أنشئت لتعمل متحدة ، ذلك لأن الأشخاص ربوا على القطيعة والحقد فلا يفهمون روح التعاون . ولست أود ان أذكر أمثلة ما نراه فى مصر ، فليس من موضوعى الليلة أن أتعرض للحياة العامة ، ولكنى أذكر انى كنت فى تركيا عام ١٩٢٩ ، وذهبت لمشاهدة مباراة كرة القدم بين الفريق التركى والفريق المصرى . ولقد كان أفراد الفريق المصرى متفوقين على زملائهم الأتراك . ولكن للأسف كان الكثيرون منهم اذا أمسك بالكرة حاول أن يصل بها الى الهدف لينال هو فخر الانتصار وحده ، أما الفريق التركى فكان الواحد منهم يأخذ الكرة فاذا أحس أن هجوما يدبر ضده مررها الى زميل له ، وهكذا حتى انتهى الأمر بانتصار الفريق التركى على المصرى ، ونالت تركيا فخر الانتصار ، مع أن أفرادها كانوا أقل كفاءة من أفراد الفريق المصرى ، ولكنهم عرفوا سرًّا للنجاح فى الحياة خفى علينا ، ألا وهو أن التعاون يزيد القوى قوة ، ويخلق سببا جديدا للنصر.

نعم فائدته الأفراد ؛ فالطفل عندنا متروك لمحض المصادفة ، فهو أشبه بنبات الغابة وأحراشها تنمو فوضى لا نظام لها ، ويقتل قويها ضعيفها ، ويتغلب خبيثها على طيبها ، ولو شئنا له نجاحا وللإنسانية فلاحا لتعهدناه كما نتعهد النبات أو الأشجار العثرة التى نحرث لها الأرض . ونتعهدها بالسقيا ، ونطهرها من الحشرات والنباتات الخبيثة ، ونعمل على تلقيحها بأحسن الثمار وأجود الأصناف ، ولا شك أن هذا عمل شاق يحتاج إلى النشر والدعاية والمثل الصالح . وبالجملة إن رمنا فلاحا وجب أن نعنى بحالة أولادنا الفكرية والمعنوية ، كما نعنى بحالتهم العادية والصحية .

ولقد شعر كثير من الناس بنتائج تلك الحالة السيئة فأرادوا معالجتها من طريق معاملة أولادهم معاملة طيبة ، وغرس روح الاستقلال فيهم ،

ولكن تغلبت فيهم روح الزهو فنظروا لأولادهم، لا نظرة الأمين على فلذة كبده، بل نظرة الفاخر بجمال ولده. ولذلك أسرفوا فى طريقة لباسهم. فكم من الأطفال عندنا يلبسون الحرير والملابس الثمينة، بينما ثروة الوالدين لا تسمح بشىء من ذلك، وكم من الأمهات يباهين بأن ابنهن يلبس أحسن من لبس ابن فلان الثرى، وكم منهن بلغ بهن الزهو أن لا يشترين ملابس الأولاد إلا من أوربا، غير عابئات بالأثر السيء الذى ينطبع فى ذهن الطفل فيركّز اهتمامه فى تلك الناحية. حتى اذا ما شب وجد والديه غير قادرين على أن يحفظا له من النعيم ما عوداه أياه فى نشاته الأولى، فيقع الخلاف فى الأسرة ويغلو الولد فى طلباته. وهكذا تكون الأسرة ضحية صراع داخلى، وفريسة تبذير ينتهى بخرابها.

ومن الأسف ان هذا الضعف قد ينشأ بطرق شتى خصوصا فى تربية البنت، فإن كثيرا من السيدات يضعن مسئلة الزى فى المرتبة الأولى من تفكيرهن، ولا يحسبن لثروتهن أو ثروة أزواجهن أى حساب، فتنشأ البنت فى هذا الوسط ضعيفة مبذرة، لا تستطيع أن تقوم بواجبها نحو منزلها ولا نحو أولادها، وترى الثروة التى لديها قليلة حتى ولو كانت واسعة، لأنها لا تستطيع لنفسها تدبيرا. وبذلك ينتقل الآباء من خطإ الى خطإ آخر. ذلك أن معالجة أمور الطفل من أدق المسائل وأعقدها، وهى أجدرها بالعناية والاهتمام، ولا يصح للإنسان أن يأخذ برأى من غير أن يقلب الامور على جميع وجوهها، وأن يبحث عن ذوى الرأى والتجربة للاسترشاد بهم فى معالجتها، مع ذلك فلا يظنن انسان ان التربية والبيئة هما كل شىء، فان للطبيعة نفسها ولميراث الطفل من الأجيال العدة التى تركزت فيه أثرا فعالا فى تكوينه، فنحن بصناعتنا انما نساعد الطبيعة أو نعد لها، ولكننا لا نستطيع أن نخلقها خلقا جديدا، وما الأسرة إلا صورة مصغرة

للمجتمع الذى نعيش فيه ، فاذا رمنا لهـذا المجتمع صلاحا وجب أن نبدأ بالأسرة أولا ، فإذا صلحت الأسرة عملت على اصلاح المجتمع .

والآن وقد عرضت لأحد عوامل الضعف فى تكوين الأسرة للفرد أنتقل الى عامل من عوامل الضعف فى تكوين الفرد فى المدرسة .

كانا نسمع الشكوى المرة من حالة التعليم ، ونسمع الصرخة العالية ضد نشر التعليم فى الأرياف ، لأنه يحول بين المتعلمين والغيط ، فالولد الذى يدخل المكتب أو الكتاب يرفض بعد ذلك أن يتولى عملا من أعمال الزراعة ، وكثيرا ما نقرأ فى الجرائد عن العاطلين من حملة الشهادات وما يجب لهم من التشجيع ، ونقرأ الاقتراح تلو الاقتراح عن وسائل تفرج تلك الأزمة وما يجب على الحكومة إزاءها ، وبعد أن كان الناس يقدسون العلم ويرونه خطوة نحو الكمال فى الإنسانية أصبحوا الآن يشكُّون فى فائدته . ويرونه خطرا على المجتمع الإنسانى ، وشيئا يجب أن نحتاط من تناوله إلا بالقدر الضرورى ، وبعد أن كان الشك فى فائدة العلم مقصورا على طبقة الجهلة من الناس أصبح حديث الجميع ، ففى أرقى المجالس العلمية تسمع كثيرا من الناس يقولون بوجوب حصر التعليم حتى لا تزداد طبقة المتعلمين الذين لا يجدون وظائف فى المجتمع فينقلبون خطرا عليه ، ويكونون أداة اضطراب فى البلاد .

وإذا ناقشت هؤلاء القائلين أجابوك على الفور : ألا ترى كيف ان حملة الشهادات أصبحوا عالة على الأمة ؟ ألا تراهم فى كل يوم يأتون إليك طالبين وظائف حكومية ؟ وكيف يكون الحال إذا نحن ظللنا مستمرين فى تلك السياسة ؟ أليس الأجدر بنا أن نعترف بالامر الواقع ، ونواجه الحقائق كما هى ، ونترك الأفكار النظرية لنكون عمليين ، وندرأ خطر الفوضى عن البلاد قبل استفحال الخطب ؟

فهل حقيقة ان الأمور انقلبت راسا على عقب الى هذا الحد ؟ وهل أصبح العلم الذى كنا نفاخر به، وكنا نباهى بالحكمة الجارية : «اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد » و « اطلبوا العلم ولو فى الصين » أصبحت خرافة من الخرافات !

لا ياسادة ! لم تنقلب الحقائق ، ولكننا رأينا حالة شاذة، ورأينا اضطرابا فى المجتمع كان مظهره حملة الشهادات ومتخرجو المدارس ودور العلم ، فربطنا ظاهرتين إحداهما بالأخرى ، وضل بنا المنطق ، فاعتقدنا بأن الخطر ناشىء من العلم، وناديناً بوجوب الحد منه بتقليل عدد طلابه ، ولكنا لحسن الحظ نؤمن بذلك المذهب كل الإيمان ، فليس منا من يرضى بأن يعمل بتلك النظرية بالنسبة لأولاده ، واذا طبقت على أحدهم كان أول ساع الى المطالبة بالاستثناء الملح فى الدفاع عن وجوب فتح أبواب التعليم لجميع الناس والا اضطروا أن يرسلوا أولادهم لأوربا فالحمد لله الذى جعل غريزة الدفاع عن النفس أقوى الغرائز . فهى تتغلب على جميع النظريات ، وكثيرا ما تصل من طريقها الى الحل الصحيح غير عابئة بما ينسجه المتفلسفون من النظريات ، وما ينادى به السفسطائيون من المبادىء .

فالحق أيها السادة أن العلم لا يزال هو هو ، له من القداسة ما كان له فى الماضى ، ولكن نظم التعليم والمدرسة عندنا فيها من العيوب ما جعلنا نشعر بتلك الأزمة الشديدة التى نشكوا منها اليوم ، فضلّ كثير من الباحثين ونسبوا إلى العلم ماهو راجع إلى نظم التعليم والمدرسة ، فليس يحتاج إلى دليل أو برهان أن العلم زيادة فى المعرفة . وإذا زادت معرفة الانسان كان أقدر على مكافحة الحياة ، وأكفأ على استثمارها واستدرار خيراتها ، فاذا ظهر لنا خطر من حالة من نسميهم متعلمين فانما يكون ذلك لعيب فى تعليمهم ، وضلال فى طريقة نشأتهم . فالتعليم الأولى والابتدائى

بل والثانوى لا يمنع الولد من ممارسة أى عمل من الأعمال البدنية فى أوربا ، بل يزيده استعدادا للعمل ويفتح له مجالا من التقدم فيه أكثر من غيره . أما نحن فبمجرد أن يصل الولد إلى الشهادة يعتبر نفسه كفئا لتولى وظيفة حكومية ، ولا يرضى بمزاولة عمل أبيه من تجارة أو برادة أو طهى أو غير ذلك . فما السر فى هذا ؟ لقد استعرضت أمامى عوامل عدة لتلك الحالة ، منها أن المتعلمين عندنا لا يزالون قليلى العدد ، فمن تعلم منا يعتبر نفسه انتقل إلى طبقة ارستقراطية تعطيه حقوقا أكبر من حقوق زميله الأوربى . تفسير له وجاهته ، ولكن كيف لم تستطع الأزمة الشديدة التى مررنا بها أن تخفف من غلواء هؤلاء الناس ؟ بل كيف لا يغير تلك الحالة مانرى عليه حملة الشهادات من الفقر والعوز ! الجواب على ذلك أن هذا كان من شأنه أن يغير تلك الحالة تماما ، لولا أن لدينا فى تعليمنا عنصرا يبدو ظاهره بسيطا ، ولكنه فى الواقع عميق الأثر فى نفسيتنا وطريقة تفكيرنا . ذلك العنصر هو اللباس الذى يرتديه الصبية فى المدارس . فلقد قضى النظام المتبع عندنا فى المدارس الابتدائية أن يلبس الولد الملابس الافرنجية ، فهو منذ صغره يلبس لباساً مخالفا تمام المخالفة للباس والديه . فيثبت فى ذهن الولد ، بل وفى ذهن والديه ، أنه صار من طبقة غير طبقتهم ، فهو من الحكام ، وأهله من المحكومين ، فلا يصح له منذ تلك الساعة أن يعمل عملهم . ولا ان يساعدهم فى مهنتهم. فهو لن يكون نجارا ولا برادا ولا طاهيا ، بل ولا يصح له ان يكون ناظر زراعة ولا بائعا ولا تاجرا . يجب ان يكون « افندى » فى الديوان ! هذا هو السر فى تلك الأزمة المروعة، وفى أن المتعلمين من الأوربيين يقبلون تلك المهن ويباشرونها بأنفسهم، وقد يتدرجون فيها إلى أن يكونوا أصحاب ثروة وجاه عريض . اما نحن فلا نتولاها ولا نصل فيها إلى درجة ما ، ذلك أنهم لا يأنفون العمل مهما

كان نوعه ، بل يحبونه ويحترمونه ويباهون به ، اما نحن فنراه مرتبة . أقل من مرتبة المتعلم .

ولقد شعر بعض رجال التعليم بهذا الضرر فى المدارس الابتدائية وتلافوا جزءا منه فى الكتاتيب ، ولكن تصرفهم ظل ناقصا فلم يقض على الشعور فى نفس الطفل . فظل ولد الكتاب مخالفا لأبيه . وأنف من المزرعة التى يعمل فيها والده عارى القدمين ، معرضا للطين والتراب يلوث ملابسه وجسده .

اما علاج تلك الحالة فهو ان يكون المكتب صورة لحياة الولد المنزلية بحيث لا تخرجه عن حالة البيئة التى يؤهل للعمل فيها ، وبهذا العلاج تمنع الفوضى الفكرية التى تلازم الآن كل من دخل المكتب . اما فى المدرسة فيجب ان يلبس الصبية لباسا بسيطا متينا . ومن الغريب ان مدارس البنات حتى ارقاها من المدارس المصرية والاوربية هنا تنحو هذا النحو ، فتلبس البنات جميعهن سراويل من نوع واحد مصنوعة من نسج قليل الثمن . اما الأولاد فيلبسون أربطة الرقبة الحريرية ، والأقمشة الغالية الدقيقة الصنع . والأحذية الرشيقة القد . فماهذا أيها السادة ! وكيف ننتظر لهذا الولد أن ينشأ رجلا قويا يشتغل بساعديه ولا يبالى بمجهود الرجال الجثمانى .

نشئوا الأولاد تلك النشأة . وسترون منهم رجالا يحبون العمل وينهضون به ويفاخرون بنجاحهم فيه ، فيكونون ملوك الصناعة والزراعة والتجارة ، كما هو الحال فى اوربا وامريكا . اما تلك العيشة الناعمة فليست من شأن الرجال الناهضين .

جربوا هذا وقدروا تأثيره الأدبى والنفسى فى الأطفال وذويهم ، ثم قدروا ما يدره من الخير على تلك الطبقة المتوسطة من الأمة التى رزقت من الصفات الخلقية ، ومن حب العمل والاجتهاد والمثابرة ما نغتبط له

أشد الاغتباط ، بما يقلل من تكاليف أولادهم . وما يجعلهم يستطيعون الاقتصاد فى معيشتهم ، لأن تربية أولادهم تصبح فى متناول أيديهم ، فينشئونهم نشأة صالحة تزول معها أسباب كثيرة من الخلاف الذى يترتب على كون الآباء غير قادرين على إجابة أطماع أولادهم فى الملبس والمعيشة ، لأن المناظرة فيها ستزول لارتداء الأولاد جميعا رداء واحدا . هذه ناحية من نواحى الضعف فى المدرسة .

وهناك ناحية أخرى ترتبط بها ، إذ أننا كما نسمع الشكوى عالية من أصحاب الشهادات ، كذلك نسمع الشكوى عالية من جانب الجامعة ورجال التعليم العالى من أن مستوى الثقافة فى الشهادة الثانوية أقل مما يؤهل للدراسات العالية ، ولذلك طالب الكثيرون بقصر من يدخلون المدارس العالية على عدد محدد ، أو نسبة مخصوصة من النجاح فى الشهادة الثانوية .

ونحن من جهة أخرى نسمع صيحة داوية لآباء الشبان الحائزين للشهادة الثانوية الذين لم يقبلوا فى المدارس العالية قائلين لنا : ما ذا نعمل بأبنائنا وقد وصلوا الى درجة من العلم هى بإقراركم كافية لتدرجهم فى التعليم العالى؟ وبين هذين الرأيين نرى وزارة المعارف تتذبذب فى تطبيق المبادىء ، فهى طورا مع الفريق الأول ، وطورا مع الفريق الثانى ، فاذا ما اتبعت الرأى الأول كثر عدد العاطلين ، وإذا ما اتبعت الرأى الثانى انحط مستوى التعليم ، ونال الشهادات العالية من ليسوا أهلا لتولى الأعمال التى يجب أن يؤهل لها ذلك النوع من التعليم ، فاذا لم يجدوا عملا صرخوا هم بدورهم صرخة طلاب « البكالوريا » الذين لم يجدوا محلا فى المدرسة . وبذلك تكون الأزمة انتقلت من حائزى الشهادة الثانوية إلى طلاب الشهادات العالية أو حائزيها .

ولو أنا واجهنا الأمور على حقيقتها لكان علاجها يسيرا ، ذلك أننا نرى

أن المدارس العالية تشترط نسبة للنجاح هى ٦٠ فى المابة ، بينما يمر الطالب فى الشهادة الثانوية إذا جاز الامتحان بنسبة ٤٠ فى المابة ، والبون شاسع بين الدرجتين فى التحصيل . ومن الواجب أن يكون الطالب فى الشهادة الثانوية مؤهلا حقيقة للدراسة العالية . وأن تكون مقدرته على التحصيل قريبة من الدرجة المطلوبة للدراسة العالية ، وبذلك يزول الإبهام الموجود فى النظام الحاضر ، ويرى الآباء والأبناء ميزانا صحيحا يمكن أن يقيسوا به استعداد الأبناء ، ويكون الحاصلون على الشهادة الثانوية قادرين على الاستمرار فى الدراسة العالية . ويحق لهم حينذاك أن يطالبوا وزارة المعارف بأن تعمل على إيجاد الأمكنة الكافية لجميع المتعلمين الذين وصلوا إلى درجة معينة لمتابعة دراستهم العالية . وسينتهى الخطر الحاضر ، لان العدد سيقتصر بمجرد تطبيق هذا النظام على من يكونون صالحين حقا لتلقى التعليم العالى ، والذين تؤهلهم كفاءاتهم للاعمال المنتجة بعد ذلك . وهذا الذى أريده فى الدراسة العالية هو نفسه الذى يرشدنى الى الحل الصحيح فى بعض مشكلة الدراسة الثانوية . فشهادة الكفاءة ، أو شهادة الدراسة الثانوية قسم أول . يجب أن تكون على درجتين ، إحداهما تعد للدراسة الثانوية فالعالية ، وبالتالى تعد لمستوى الثقافة والتعليم النظرى والعملى العالى ، والأخرى تعد للمدارس الصناعية والزراعية والتجارية المتوسطة .

أما الشهادة الابتدائية ، فلعمرى لست أدرى ماهو المبرر لبقائها ، سوى تحميل الوزارة والمدرسين والممتحنين عبئها ، وتضييعهم الوقت على غير جدوى لإجراء امتحاناتها .

وهذا فضلا عما هو ثابت فى أذهان الناس جميعا من أن الشهادة تؤهل صاحبها لعمل ، وتعطيه حقا على الدولة والمجتمع ، فمن حاز شهادة

رأى لنفسه هذا الحق . وتركز فى ذهنه المطالبة بمستوى معين من الوظائف والأعمال ، فما الداعى لإبقاء تلك الحالة سوى مساعدة العوامل التى تتعاون على اشتداد الأزمة وخلق طبقة غير القانعين فى البلاد ؟

لذلك نرى علاجا لتلك الحالة أن تكون المرحلة الأولى هى شهادة الكفاءة ، على أن يجعل الناجحون فيها فريقين ، الفريق الممتاز الذى يكون قد برهن على استعداد لمتابعة الدراسة الثانوية فالعالية ، والفريق الأقل استعدادا الذى يصلح لمتابعة دراسته فى المدارس الصناعية والزراعية وغيرها . واذا نحن جعلنا الوسط المعاشى فى المدارس الابتدائية الى الكفاءة على ما قدمنا ، فان الأولاد لا ينفرون عند ذلك من مزاولة مهنة آبائهم وأهليهم ، وبذلك نساعد على إيجاد طبقة نالت حظا من التعليم تعمل بنشاط على رقى البلاد الصناعى والزراعى ، ونتلافى أزمة من أشد الأزمات التى تهددنا فى مستقبلنا ، ونغرس فى نفوس الأمة وشبيبتها : ان العمل وحده عصب الحياة ومفخرتها .

العيد الذهبى لدار العلوم

سنة ١٩٢٧

سننشر ابتداء من العدد الأول للسنة الثانية ، وصف الاحتفال الباهر الذى احتفلته دار العلوم لعيدها الذهبى فى يوليه سنة ١٩٢٧ وكذلك نصوص الخطب والقصائد التى ألقيت فى ذلك المهرجان العظيم .

وبعد استيفاء نشرها جميعها سيجمع كل ذلك فى الكتاب الذهبى .

طريقـــة دكرولى (١)

بقلم عبد الحميد حسن
المفتش بوزارة المعارف

٣

النظام المدرسى

قدعلمت مما تقدم أن دكرولى يرى أن المدرسة هى حياة تعد للحياة ، وأنها ليست إلا مجتمعا صغيرا يمثل الحياة الاجتماعية الخارجية فى صورة مصغرة قريبة من أذهان الأطفال . فينبغى أن تتجلى فيها مظاهر الحياة الصحيحة ، وأن يكون النظام المدرسى عونا على ذلك .

فليس الغرض من المدرسة حشو الأذهان وملأها بالحقائق تصب فى العقول صبا ، بل الغرض هو جعل الأطفال يحيون الحياة الاجتماعية المملوءة بالعمل الشائق الموافق لميولهم ، فالطفل كائن حى له مطالب وسيحيا حيـاة مدرسية ومنزلية واجتماعية ، فينبغى اعداده لهذه الحياة ولفهمها ، وتعريفه بما فى الكون من موارد إنتاجية ، وبما فى الطبيعة مما سيكون له عونا فى حياته حتى يعرف طرق الإنتاج ووسائل الانتفاع بالمنتجات . ولا تحقق المدرسة كل هذا إلا إذا كان النظام فيها مرتكزا على الأسس الصحيحة .

(١) انظر المقال الأول فى « صحيفة دار العلوم » العدد الثانى ص ٦٩ - ٨٨ ، والمقال الثانى فى العدد الثالث ص ٩١ - ١٠٩

ولقد رأيت فيما مر بك من شرح القواعد الأساسية لطريقة دكرولى ما يبين الروح العامة للنظام المدرسى ، وإنا نجمل ذلك فيما يلى :

(١) عمل التلميذ بنفسه تبعا لنشاطه الذاتى : فأساس النظام باطنى، ودعامته هى التلميذ نفسه ، فهو القوة العاملة المنتجة الباحثة المنقبة . وليس هو بالصفحة الصماء التى يسطر عليها ما يلقى المعلمون من ألفاظ .

(٢) الحرية : وذلك بألا نقاوم نشاط الأطفال. والانملى عليهم مانرغب فيه نحن مما لا يوافق ميولهم . فان النشاط العامل لا يثمر الثمار العقلية والخلقية إلا فى جو الحرية .

(٣) وينتج عن العاملين السابقين تكوين الشخصية التى ينبغى أن تكون محل عناية القائمين بالتربية والتعليم .

(٤) الاعتماد على الدوافع الباطنية دون حاجة إلى البواعث الخارجية، كالثواب أو الجوائز أو نحو ذلك مما تلجأ إليه بعض المدارس .

(٥) التعاون وتنمية روح الجماعة ، ويتجلى ذلك فى المشروعات التى يقوم بها التلاميذ، وفى الاشتراك فى جمع المواد المتصلة بالدراسة وغير ذلك مما رأيت نماذج منه فى دروس الملاحظة والربط والتعبير .

(٦) التبعة (أو المسئولية)، فالتلاميذ أنفسهم هم المسئولون عن النظام وهم الذين يسيرون دفته، فتراهم يبدءون اليوم المدرسى بانفسهم، ويشرعون فى العمل من غير حاجة إلى رقابة أو تنبيه إلى أداء الواجب ، ويستمرون فى هدوء . ينقادون إليه بأنفسهم لأن لهم من عملهم الشائق ما يصرفهم عن العبث أو الاخلال بالنظام . وإذا بدا من أحدهم ما يقلق الراحة لفت زملاؤه نظره إلى ضرورة السكون والهدوء .

وأعمال المدرسة موزعة على التلاميذ للقيام بها والاشراف عليها . فبعضهم مسئول عن النظافة ، وبعضهم عن السبورة أو عن تجديد الهواء ، أو عن المناضد الخاصة بالمواد التى تجمع، أو عن اطعام الدواجن وسقى النبات،

أو عن مراقبة الوقت ، أو عن التقويم وتعهده إلى غير ذلك .

ولا يخفى أن كل هذا ميدان فسيح تظهر فيه شخصيات التلاميذ ونزعاتهم، وفى هذا ما يمكن من الاصلاح .

(٧) أما التربية الخلقية فانها تجىء عرضا بطريقة عملية ، فان كل أعمال المدرسة إنما هى بناء للخلق الصحيح وترويض للصفات الصالحه ، وتنمية للبذور التى لاشك فى أنها مستقرة فى نفس كل طفل ترقب من يتعهدها .

ومن الوسائل التى تتبعها المدرسة لتنمية وجدان الخير فى الأطفال، وإيقاظ ضميرهم الحساس ، أن تلفت نظرهم إلى أعمالهم اليومية لكى يميزوا الطيب منها والمخالف ، مع الاستعانة على إيضاح ذلك بالحكايات الشائقة . ومن المعتاد فى مدارس دكرولى أن يختتم اليوم المدرسى بقراءة حكاية نافعة توقظ الوجدان وتبعث الإعجاب بالفضيلة والنفور من الرذيلة .

هذا وهناك شيئان يمتاز بهما النظام فى مدارس دكرولى :

الأول — عدم استخدام المنافسة أو الموازنة بين أعمال التلاميذ، وإنما توازن أعمال التلميذ بعضها ببعض بلفت نظره إلى الكتاب الذى يدون فيه أعماله ، وملاحظة تدرجها وما بينها من فروق . وهذه الفكرة تذكرنا برأى روسو فى هذا الصدد .

الثانى — عدم استخدام النظام المعروف فى إعطاء الدرجات على الاعمال المدرسية . فالتلميذ يعرف خطأه ويعمل على تجنبه واصلاحه .

والتقارير المدرسية المعروفه التى تتضمن الدرجات التى حصل عليها التلميذ لا تستخدم فى مدارس دكرولى . وانما يستخدم بدلها تقرير تحليلى لجميع أعمال الطفل ، ووجوه نشاطه ونزعاته النفسية ، ويرسل هذا التقرير لأولياء أمور الاطفال لابداء رأيهم والاطلاع على حالة أبنائهم.

ولا شك ان لهذا النوع من التقارير فائدة فى أحكام الصلة بين المنزل

والمدرسة . وتضامنهما على التربية والاصلاح .

وهاك ترجمة لا حد هذه التقارير عن إحدى التلميذات :

(١) الحالة الصحيه : تبدو جيدة .

(٢) الرياضة البدنية : رديئة . ويصعب على التلميذة تنفيذ الارشادات التى تلقى عليها .

(٣) الالعاب : تبدى التلميذة فيها خوفا وترددا .

(٤) النمو العقلى : استعدادها العقلى جيد . والتوافق فى أعصاب الحركة ضعيف . وقواها الادراكية ممتازة . وملاحظتها جيدة دقيقة . وخيالها قوى قوة واضحة ، وهى تشعر بذاتيتها شعورا بارزا ، وتعرف مطالبها معرفة تامة .

(٥) الملاحظة : عملها فى دروس الملاحظة جيد . وهى تبدى ابتكارا فى ملاحظاتها وفى تعبيرها . كثيرة الاهتمام بما يجرى فى حجرة الدراسة .

(٦) القياس : عملها فيه جيد جدا .

(٧) عمليات الحساب : جيدة .

(٨) المسائل : جيدة .

(٩) التعبير الشفهى : تعبر عن أفكارها من غير عناء وبأسلوب مبتكر .

(١٠) الاجتماعات المدرسية : عملها فيها جيد جداً ، وهى تستطيع أن تتكلم بسهولة فى أى موضوع يقترح عليها . وتعبر عن آرائها بهدوء ورزانة بلا حيرة أو ارتباك . وتبدى سرورا عظيما بهذه الاجتماعات .

(١١) التهجى : جيد جدا .

(١٢) القراءة : جيدة جدا . ولهذه التلميذة ذاكرة نظرية ممتازة . وهى تقرأ بسرعة ، وتبدى السرور من تعلم القراءة ، وتهتم بالقراءة من الكتب .

(١٣) التعبير : صادفت التلميذة فى أول الأمر صعوبة غير عادية فى

التعبير الكتابى ولكنها تغلبت على ذلك سريعا .

(١٤) الخط : تتقدم فيه تقدما يلفت النظر .

(١٥) عمل النماذج : يدل عملها على ابتكار له طابعه الخاص .

(١٦) قطع الورق : ردىء جدا . وهى فى حاجة الى التمرين فى ذلك .

(١٧) الرسم : تميل اليه وعملها مبتكر .

(١٨) السلوك فى الفصل : هذه التلميذة اليفة طيعة طيبة القلب مملوءة ابتهاجا . ونجاحها فى عملها يزيدها شغفا وتحمسا . وهى تهتم بارضاء معلماتها .

(١٩) سلوكها وقت اللعب : هادئة وتميل الى اختيار أجود الاطفال لمشاركتها فى اللعب .

(٢٠) اختلاطها بزميلاتها : قليلة الاختلاط معتكفة ، ولا تعمل على الاستكثار من الصديقات . وتميل الى الحياة المحدودة الدائرة .

(٢١) ملاحظات أولياء الأمور . . . .

ولعلك ترى فى مثل هذا التقرير صورة صادقة للطفل ، وإيضاحا لوجوه الكمال أو النقص فى نواحيه المتشعبة ، وميزاناً لحياته العقلية والخلقية والاجتماعية والعلمية .

وهذا أجدى مما يتبع فى مدارسنا من تقدير الاطفال على أساس لفظى ينتهى بتدوين درجات يومية لا تدل على استعدادهم ، ولا توضح مواطن الضعف أو الكمال فى نفوسهم .

تنظيم التلاميذ فى فصولهم

يراعى فى تنظيم التلاميذ فى الفصول فى مدارس دكرولى ما يأتى :

(١) أن يكون تلاميذ كل فصل متجانسين فى عقولهم ونموهم .

(٢) وإذا وجد بالمدرسة عدد من التلاميذ الشواذ فى مقدرتهم العقلية أو الجسمية أو غير ذلك كون منهم فصل ، يعهد فى الاشراف عليه إلى

مدرس ماهر خبير بطرق تعليم الاطفال الشواذ .

(٣) ألا يزيد عدد تلاميذ الفصل على عشرين أو خمسة وعشرين ، حتى يتسنى للمعلم أو المعلمة الاشراف عليهم إشرافاً دقيقاً شاملا ، وأن يخبر ميولهم ومواهبهم ونزعاتهم النفسية واستعدادهم فى جميع النواحى .

(٤) يحسن إن أمكن أن يكون بالمدرسة تلاميذ من جميع الأعمار ، بين الرابعة والخامسة عشرة لـكى تمثل المدرسة مجتمعاً صحيحاً .

(٥) أما نظام الجلوس فى حجرات الدراسة فإن التلاميذ لا يجلسون صفوفاً بعضها خلف بعض بل على شكل إهليلجى (بيضاوى) فهذا أدعى، إلى حرية التلاميذ فى الحركة ، ويمكن المعلم من إرشاد الجميع بسهولة ، هذا إلى أنه أنقى هواء وأبعد عن وسائل العدوى .

مؤتمر الابناء ومجتمع الآباء

ونقصد بالأول الاجتماعات المدرسية التى يقوم بها التلاميذ ، وبالثانى الاجتماعات التى تضم أولياء أمور التلاميذ ومعلميهم ، وسنذكر كلمة عن كل منهما .

مؤتمر التلاميذ

يقوم التلاميذ فى فترات مختلفة باجتماعات مدرسية للمناقشة ، وهى من المظاهر الاجتماعية ذات الأثر العلمى واللغوى ، ويلقى التلاميذ فيها موضوعات يختارونها بأنفسهم ، ولـكنهم يراعون صلتها بمركز الميول الذى تدور حوله الدراسة على قدر الامكان .

وإنك لترى تلاميذ الفرق الراقية يبدون الاهتمام والعناية بهذه الاجتماعات . ويرحبون بالاشتراك فى الموضوعات . ويصرفون فى إعدادها أوقات فراغهم بشغف وسرور باحثين فى المراجع المختلفة .

وهذه المباحث تدور حول موضوعات شائقة متصلة بدروس الملاحظة وأحياناً تقوم مقامها .

ولأن التلاميذ قد اعتادوا من أول حياتهم فى مدارس دكرولى أن يوضحوا الحقائق بالوسائل المختلفة تراهم يسيرون فى إعداد موضوعاتهم الخطابيه على هذا النمط ، وتجد بحثهم يمثل الطرق التى مرنوا عليها فى دروس الملاحظه وغيرها . وموضوعات البحث تلخص فى مذكرات خاصة للتلاميذ مشفوعة بالرسوم الايضاحية وغيرها . وأحيانا تدون فى الكتاب الخاص بدروس الملاحظة إذا كان الموضوع متصلا مباشرة بمركز الميول .

ويتبع إلقاء الموضوع بمناقشه ترمى إلى الاستفادة وتوجه فيها الأسئلة لمن ألقى الموضوع للاستفسار والتمحيص والاستزادة من المعلومات .

ولهذا النوع من البحث أثر محمود فى تنمية المحصول اللغوى للتلاميذ وفى إقدارهم على التعبير الصحيح .

اجتماعات الاباء والمعلمين

تتجلى الصلة بين المنزل والمدرسة فى اجتماعات تعقد يحضرها أولياء أمور التلاميذ والمعلمون ، ومن ترى المدرسة دعوتهم للاستعانة برأيهم فيما يستدعى تبادل الآراء من أحوال المدرسة وشئون تلاميذها . ولهذه الاجتماعات أثر عظيم فى المدرسة ونظامها ، وحياتها الاجتماعيه والعلمية:

(١) فانها تزيد الصلة بين الآباء والمعلمين، أو بين المنزل والمدرسة : وهما عاملان يكمل أحدهما الآخر . ولا غنى عن تضافرهما وتعاونهما على إعداد الناشئين للحياة .

(٢) وبها يتمكن المعلمون من معرفة ما تتجه اليه رغبة الآباء فى تربية

أبنائهم، وما يسلكون من سبل فى معاملتهم .

(٣) ويعرف الآباء كذلك وجهة نظر المدرسة ، ويطلعون على أساليبها فى التربيه والتعليم ؛ وبذلك تزداد ثقتهم بها ويلبون مطالبها تلبية مقرونة بالاقتناع بصواب ما تسير عليه من نظم وقواعد .

(٤) أما من جانب التلاميذ فان هذه الصلة ترفع من شأن المدرسة ومعلميها فى نظرهم وتزيدهم حبا فيها واذعانا لمطالبها .

(٥) هذا إلى أن هذه الاجتماعات تلقى فيها بعض المباحث التعليمية التى يعدها أحد آباء التلاميذ ، أو بعض رجال التربية أو غيرهم ، ممن تدعوهم إدارة المدرسة لهذا الغرض .

وبعد سماع المحاضرة يتسامر الحاضرون ويتحدثون فى شؤون أبنائهم وفى أحوال المدرسة .

وقد أسفرت هذه الاجتماعات فى بعض مدارس أمريكا عن مشروعات ذات شأن فى التعليم ونظام المدارس .

الرحلات المدرسية

وهى من العوامل ذات الشأن فى التعليم ، ولسنا فى حاجة الى سرد مالها من فوائد فى المدارس وحياتها العلمية والاجتماعية ، وفى الصلة بين التلاميذ ومعلميهم .

وقد أحلت مدارس دكرولى الرحلات المدرسية محل العناية ، فهى تخصص بعض الأيام بزيارة المصانع والمتاحف والآثار والمزارع وغير ذلك مما يكون له شأن فى البيئة التى بها المدرسة . والأطفال يجمعون فى بعض هذه الرحلات نماذج من النبات والحشرات والصخور ونحو ذلك ، ولهذا أثره من الجهة العلمية ومن الجهة العقلية .

المعلم

ليس هناك ماهو غريب، فيما يجب أن يمتاز به المعلم، على طريقة دكرولى من الصفات، فليس فى ذلك إلا ما يحتمه المنطق السليم والحقائق الثابتة. فإن المعلم سيتصدى لإرشاد الأطفال وقيادتهم وتوجيههم إلى خير السبل لتنشيط مواهبهم، وإقدارهم على فهم ما يحيط بهم والانتفاع به، والعمل بأنفسهم.

فجدير به أن يكون ملما إلماما تاما بعلم النفس وبطبائع الأطفال وميولهم، مشغوفا بالبحث فى أعمالهم، واتجاه نفوسهم، وما تنطوى عليه حركاتهم، وتنم عنه تصرفاتهم، قوى الملاحظة، صادق النظر، مهتما بتعرف الكائنات النامية: النباتية والحيوانية، ومظاهر الحياة الإنسانية، فانه سيتخذ من كل ذلك ميدانا للإرشاد والإفادة والتقويم.

أما صفاته الذاتية: فالنشاط والذكاء، والقدرة على الابتكار، واللباقة فى الإيضاح، هذا إلى براعة فى قيادة النفوس، ومهارة فى ضبط النظام.

نموذج للمنهج بمدارس دكرولى

قد علمنا أن مدارس دكرولى تسير فى السنتين الأولى والثانية على نظام تركيز المناهج حول مراكز مختلفة للميول، وفى السنة الثالثة ومابعدها على نظام الميول ذات المركز الواحد.

وسنرى فيما يلى نموذجا للحالتين:

١ — الجوع والعطش

(أ) السنة الأولى

فواكه فصل الربيع — الحيوانات التى نستخدمها فى غذائنا ـ وجبات الطعام ـ الخضر ـ الخبز ـ اللبن ـ البيض واللحم ـ الملح ـ المشروبات.

(ب) السنة الثانية

الأجهزة الجسمية التى تعمل فى الأكل والشرب – أدوات المطبخ – ترتيب مائدة الطعام – التفاح والكمثرى – العنب والبندق – الجوز – السفرجل – البرتقال والليمون – اللحوم – الأرانب والدجاج – البط والإوز – السمك – البطاطس – الجزر – الطماطم – السكر والكاكاو.

٢ – البرد

(أ) السنة الأولى

الثلج والصقيع – الرياح والمطر – الأشجار فى الشتاء – الملابس (بصفة عامة) – وقاية القدم – غطاء الرأس – أنواع المساكن: مساكننا – مساكن الحيوان – مساكن المتوحشين – أدوات البناء.

(ب) السنة الثانية

الأجهزة الجسمية المتصلة بالإحساس بالبرد – ماذا يحدث حينما نشعر بالبرد، أو حينما يتعرض النبات والحيوان للبرد – المعاطف والسراويل – القمصان – الجوارب والقفازات – الجلد والفرو – المطاط – المظلات – الصوف والقطن – الحرير والتيل – أدوات البناء – الأحجار والرمال – القوالب والملاط – القراميد – الخشب والحديد – حجرة النوم – المطبخ – الوسائل المختلفة لإيجاد الحرارة – الفحم والخشب.

٣ – الخوف والدفاع عن النفس

(أ) السنة الأولى

الحوادث والمخاطر فى المنزل – أنياب الحيوان ومخالبه وفكاه –

الحيوانات التى تساعد الإنسان فى الدفاع عن نفسه - طرق حماية النفس والنجاة من الخطر .

(ب) السنة الثانية

ما يحدث حينما نشعر بالخوف - الحوادث والمخاطر فى الطريق وفى السكك الحديدية وفى البحار وفى الجهات الريفية - وسائل الدفاع والوقاية فى المنزل وفى الطريق وفى البحر وفى السكك الحديدية - الحيوانات والنباتات الضارة - الحواس باعتبارها وسائل للوقاية - الوقاية من الأمراض - الوقاية من الحريق والنيران - ما ينبغى تجنبه من الأخطاء للوقاية - رجال الشرطة - رجال المطافىء .

٤ — العمل

(أ) السنة الاولى

استخدام اليد - قوة الإنسان وقوة الحيوان - الأدوات والآلات - الغاز وزيت الإضاءة - أنواع العمل فى الحياة - الطرق ووسائل الانتقال.

(ب) السنة الثانية

كيف يعمل الإنسان - الآلات التى يستخدمها فى العمل - أنواع العمل الجمعى - الكهرباء - الراحة بعد العمل - النوم - الرياضة والألعاب - المواسم فى العام - العربات وعربات اليد - الأنهار والقنوات - البحار - القارب والطيارة - القطار والسيارة - الدراجة والمركب - الحصان والحمار

الشمس — موضوع تلخيص للمراجعة للسنة الثانية :

هى منبع الضوء والحرارة ، هى السبب فى الرياح والأمطار - هى السبب فى نمو النبات ، وبذلك يحصل الإنسان والحيوان على الغذاء والمواد اللازمة للمساكن والملابس والوقود

* * *

وتعالج هذه الموضوعات وما يشبهها على النظام الذى يتصل بمطالب الطفل، مع مراعاة فصول العام ومافيهامن موارد، والاعتداد بالبيئة ومافيها مما يساعد على البحث والدرس بطريقة سهلة. ويراعى كذلك تدرج التلاميذ فى لغتهم وتعبيرهم.

ولنذكر نموذجا لمعالجة بعض الموضوعات على طريقة دكرولى:

(الفواكه) للسنة الاولى

الملاحظة — الفواكه المعروفة ـ الفواكه البرية والتى يزرعها الانسان ـ الفواكه الطازجة والمجففة والمحفوظة فى علب أو نحوها.

القياس — موازنات قياسية فى العدد والشكل واللون والحجم والسمك والوزن والطعم والملمس — موازنة بين الفواكه التى من نوع واحد والتى من أنواع مختلفة — كيف تباع الفواكه — أثمانها المختلفة ـ الكميات المختلفة ذات الوزن الواحد ـ تكويم الفواكه أكواما مختلفة: اثنين اثنين وأربعة أربعة وستة ستة . . . الخ.

تمرينات حسابية عددية ـ الذهاب إلى السوق مع التلاميذ لشراء الفواكه والتمرين على ذلك ـ التمرين على البيع والشراء فى حجرة الدراسة.

الربط — الفواكه فى الغذاء ـ طرق إعداد الفواكه للأكل ـ طرق حفظها ـ موازنات وتقسيم وجمع ـ كيف تجمع الفواكه وكيف تشحن وكيف تباع ـ طريقة أكلها.

الربط المكانى — من أين تجىء الفواكه ـ مخازنها ـ أسواقها ـ حدائقها ـ الممالك الأجنبية التى توردها ـ إصدارها.

الربط الزمانى — الوقت الذى تستمر فيه الفواكه غضة إذا حفظت ـ عمل أصناف الحلوى من الفواكه، وتقدير الزمن اللازم لذلك.

التعبير اللغوى — جمل تتضمن ملخص دروس الملاحظة ـ وضع

بطاقات بأسماء ما يصنع التلاميذ من الصلصال .

القراءة والكتابة - ألعاب مختلفة على مثال ما شرح فيما مضى ، ونقل الجمل كتابة مع الايضاح بالرسم .

التعبير الحسى — عمل الفواكه من الصلصال، ورسمها وهى فى حجرة الدراسة، أو فى حانوت البائع، ورسم التلاميذ وهم يعملون أصناف الحلوى من الفواكه - عمل حديقة من الصلصال أو الرمال أو نحو ذلك .

الجانب الصحى والخلقى — ضرر أكل الفواكه الفجة - ضرر الإفراط فى أكل الفواكه .

(الماء) للسنة الثانية

الملاحظة — من أين يجىء الماء — موازنته بالسوائل الأخرى كاللبن والزيت وغيرهما فى طريقة الحصول عليها ، وفى اللون والرائحة - تسخين الماء - إغلاؤه - تبخره - كثافته - أثره فى المواد الأخرى من حيث الإذابة ، والنفاذ فى المسام ، وتغيير اللون ونحو ذلك .

القياس — موازنات فى الوزن والحجم والسطح - مقدار ما يشربه الانسان فى اليوم وفى الأسبوع .. الخ - الزمن اللازم لشرب كوب من الماء ، ولملء دلو ، ولتفريغه ، ولذوبان قطعة من الثلج - كم كوبا فى جرة ماء أو إبريق ماء - سكب كوب من الماء على المنضدة ، ثم سكب كوب من الرمل أو التراب عليها ، وموازنة هذه الأحوال بعضها ببعض - الموازنة بين وزن الماء ووزن الرمل ووزن الثلج ووزن المواد الأخرى .

الربط — فوائد المـاء - مضاره وكيف تعالج - الحيوانات المائية - الحرف والصناعات المتصلة بالماء - الماء باعتباره شراباً للانسان وللحيوان وللنبات - الماء فى جسم الانسان - الدموع والبول والعرق - كيف يصل

الماء الى المنازل ـ المضخات ـ الصنابير ـ الآبار ـ الصهاريج ـ أنابيب الماء ـ شركات توزيع المياه ـ كيف يخزن الماء .

الربط المكانى والزمانى – الينابيع وأين توجد ـ مصير المياه التى فى الينابيع ـ أين تصب ومن أين تنبع ـ متى تسقط الأمطار .

التعبير اللغوى والحسى – يعالج ذلك على نحو ما شرح فيما تقدم .

الجانب الصحى والخلقى – فائدة الاستحمام وطريقته ـ نظافة الاسنان ـ جفاف الأقدام وضرر تركها مبللة ـ ضرر الشرب حينما يكون الجسم حارا ـ الغرق .

نموذج للمنهج الدائر حول مركز واحد للميول

يجدر بنا هنا أن نلاحظ ان التلاميذ يشتركون اشتراكا فعلياً فى تكوين عناصر المنهج تحت إشراف المعلم وإرشاده .

الحاجة الى العمل

تمهيد : الحاجة إلى الطعام والشراب والنظافة والملابس والمساكن والدفء ـ الحاجة إلى فلاحة الأرض ـ صناعة الملابس وأدوات الزينة ـ بناء المساكن ـ قطع الأحجار ـ صنع الأثاث ـ الحاجة إلى مواد الوقود وإلى الأسلحة ووسائل الدفاع والوقاية من الأمراض ـ عمل الآلات ـ الحاجة إلى وسائل النقل .

كل هذه المطالب تستدعى العمل والحركة ، وتربية الحيوانات للانتفاع بها وبمنتجاتها ، والزراعة وشق الطرق ، وحفر الترع ، وإنشاء الموانى وغير ذلك .

القسم الأول

(١) حركات الإنسان

الملاحظة :

(ا) الحركات المختلفة لليد والرسغ والذراع والساعد والجذع والرجلين والقدمين والرقبة والوجه والعينين واللسان .. الخ - الحركات التى تشمل العظام والتى لا تشملها - العظام والمفاصل فى الجسم - العضلات التى تستخدم فى تحريك العظام - أنواع الروافع فى جسم الإنسان - تطبيق عملى - قوة العضلات - تطبيق عملى على ذلك فى حمل حقائب مملوءة رملا أو نحوه ، أو رفع الأثقال بوساطة بكرة وحبل - سرعة الحركة - تطبيق عملى على ذلك - الحركات التوافقية - تطبيق عملى على الحركات وفق نغمات مسموعة أو حركات منظورة - الدقة فى الحركات - تطبيق عملى بالقاء كرة فى فتحة خاصة ، أو تصويب طوق نحو هدف معلوم - التوازن - تطبيق عملى عليه - المهارة فى التوازن - تطبيق عملى بحمل عصا على الإصبع حملا رأسيا مع مد الذراع ، أو بإدارة عصا من الوسط حول الاصبع - فوائد التمرين على الدقة والسرعة فى الحركات مع التطبيق العملى على ذلك — التعب العضلى — تطبيق عملى فى العدو والقفز على القدمين أو على قدم واحدة — ثنى الذراعين ومدهما فى حالة حمل الأثقال بهما — رفع حقائب ثقيلة الوزن مرات عدة — فك الأربطة وربطها بسرعة - ترتيب البطاقات وغيرها على حسب نوعها أو أرقامها أو نحو ذلك - حمل الأوانى المملوءة ماء دون إراقته - حمل الأثقال على الرأس والكتف ... الخ .

(ب) حركات اليد فى أثناء العمل :

مكانة اليد فى العمل وأنها آلة دقيقة - عظام اليد وعضلاتها مع

الايضاح بالرسم ـ الدرجات المختلفة لثنى اليد ومدها مع التمرين على ذلك ـ حركات الأصابع ـ حركات اليد وحدها وبمساعدة الساعد والعضد والكتف كالخمش والقرص والقبض والخطف والحفر والعصر والضغط والدفع والصقل والمحو والثنى والكسر والمط والرفع والخفض والسحب والدحرجة والادارة والحمل وغير ذلك ـ حركات اليد بمساعدة الجذع أو الرجلين ـ الأعمال التى تستخدم فيها اليدان معا .

(ح) الحركات المختلفة التى يعملها الإنسان فى خلال الحياة اليومية كاللبس والاستحمام والتجفيف والمشى وغير ذلك .

(د) حركات اليد وباقى أجزاء الجسم فى الصناعات والحرف المتنوعة ـ يلاحظ كل هذا فى المنزل وفى الرحلات وغيرها ويحاكى عمليا ـ تقسيم الأعمال والحرف على حسب ما تتطلب من الحركات الجسمية ومن القوة العضلية .

(ه) الحركات المختلفة فى الألعاب المتنوعة : الألعاب التى يصحبها التمرين والتى تعمل بلا خبرة أو تمرين ـ الألعاب الفردية والجمعية ـ الألعاب الرياضية .

الربط المكانى والزمانى ـ الحرف والصناعات فى الممالك الأخرى (ويلاحظ هنا أن مدارس دكرولى تهتم بضرب المثل ببلاد الكنغو البلجيكية) ـ الحرف والصناعات فى العصور الماضية .

(٢) حركات الحيوان

الملاحظة ـ ملاحظة الحيوانات فى حجرة الدراسة وفى الحقول ونحوها ، كالحشرات والطيور والضفادع والكلاب والقطط والخيل والبقر وغير ذلك ـ موازنة حركاتها بحركات الإنسان ـ ملاحظة الحركات فى أثناء القبض بالفم والمنقار والمخالب والضرب بالأجنحة ـ

ملاحظة الحركات فى الإطعام — الفرق بين القط والكلب ، وبين الفأر والأرنب ، وبين السمكة والضفدعة ، وبين الطيور والسمك والحشرات إلى غير ذلك — حركات الحيوان حين يحمى نفسه من البرد ، وفى الهجوم والدفاع ، وحين العناية بصغاره ، وفى خدمة جماعته ، وفى لعبه .

الربط — يشار فى أثناء البحث فى النقط السابقة إلى الحيوانات فى الممالك الأخرى (وبلاد الكنغو هنا تخص بالذكر أيضا) .

(٣) مايقوم به الحيوان من الأعمال لفائدة الانسان :

الحيوانات التى تساعد الانسان — غذاؤها ومساكنها ووسائل وقايتها - المساعدة فى الزراعة وأعمالها المختلفة - المساعدة فى الحراسة وفى النقل وفى الألعاب والرياضة والملاهى - المنتجات الحيوانية كالشحوم والعظام والقرون والجلود والشعر والحوافر والاظلاف — انتفاع الانسان بكل هذا فى مطالبه المختلفة .

الربط المكانى — موازنة ذلك بما فى الممالك الأخرى — حيوانات الأرياف وخدمتها للمدن وبالعكس — الحيوانات التى تساعد الانسان فى البلاد الباردة وفى البلاد الجبلية .

الربط الزمانى - استخدام الحيوان فى العصور الماضية كان أكثر منه الآن — السبب فى ذلك — الحيوانات عند الأمم القديمة .

(٤) أعمال الانسان لفائدة الحيوان :

الملاحظة — ما يشاهد فى بلادنا من ذلك - تربية الحيوان كالخيل والبقر وغير ذلك — المبانى التى تقام لحماية الحيوان كالاصطبلات والزرائب والحظائر — تنظيم الطرق ورصفها — الطب البيطرى ومدارسه — مستشفيات الحيوان — مدارس الزراعة — تربية الدواجن والنحل وغير ذلك — الأعمال المتصلة بتربية الحيوان والعناية به كعمل الراعى وخادم الخيل وهواة الكلاب وغيرهم .

الربط المكانى والزمانى — تربية الحيوان فى الممالك الحارة والباردة — تربية الفيلة والنعام والجمال وترويضها وتدريبها — تربية الحيوان فى العصور الماضية .

(٥) حركة النبات :

الملاحظة — حركة النبات فى جملتها بطيئة — النباتات الثابتة والمتنقلة — حركات اجزاء النبات كالبراعم والاوراق والازهار والجذور وغير ذلك — اثر الضوء والحرارة والرطوبة — يلاحظ هذا وتجرى عليه التجارب .

(٦) النباتات التى تساعد الانسان فى عمله .

(٧) عمل الانسان لفائدة النبات .

(يعالج هذان الموضوعان كما عولج موضوع الحيوان) .

(٨) حركة المواد المعدنية :

حركة الهواء كالعواصف والزوابع والنسيم وغير ذلك — سرعة الهواء — اثر الرياح فى درجة الحرارة وفى سقوط الامطار — اثرها فى الصحة حركة الماء — سقوط الامطار — الثلاجات — حركة الانهار والبحار — التبخر والسحب والامطار — توزيع المياه فى المدن والمنازل — حركة الصخور بفعل الرياح والمياه والزلازل والبراكين — التبلور والانحلال والذوبان — تغير الشواطىء والجسور .

(٩) استعانة الانسان بالمعادن فى عمله :

طواحين الهواء — اثر الهواء فى الصحة — فائدته فى وسائل النقل — استخدام الماء فى ادارة الآلات — قطع الاحجار بقوة الماء — أثر الجليد — فائدة الماء فى وسائل النقل — الفحم وزيت الاضاءة — الآلات البخارية .

القسم الثانى

(١) الطفل والاسرة :

أسرة الطفل وعملها له — عمل الأم — عمل الاب فى المنزل وفى خارجه — الاشخاص الذين يعاونون الاب والام — الاخوة والاخوات — موازنة حال الاسر المختلفة بعضها ببعض — الصعاب التى تقوم امام الوالدين والتغلب عليها — عمل الطفل لاسرته ولوالديه ولاخوته ولاخواته ولغيرهم فى المنزل — كيف يساعد الطفل كل هؤلاء — الطفل الفقير يساعد أسرته أكثر من الطفل الغنى — إيضاح ذلك — زيارة الاحياء الفقيرة فى المدينة — تقارير من الاطفال تتضمن الطريقة التى يساعدون بها اسرتهم فى المنزل.

الربط المكانى والزمانى — الاسرة فى الممالك الاخرى وفى العصور الماضية.

(٢) الفرد والمجتمع :

تقسيم العمل — التعاون — الأعمال الجمعية والفردية — صناعة الأطعمة — الزراعة — تربية الحيوان — صناعة الملابس وبناء المساكن — الصناعات والحرف التى تقى صحة الانسان وتحميه من الخطر ومن الأعداء — الصناعات والحرف التى تقوم بها الجماعات والشركات والحكومات — الحرف والصناعات المتصلة بالتجارة وبوسائل النقل — البريد والبرق والمسرة — رسم بيانى للصناعات المختلفة يبين ارتباطها والصلة المتبادلة بينها — انتاج المواد الأولية واصدارها — الحرف والصناعات المتصلة بهذا — صناعات الانتاج والتحويل كمنتجات الألبان — الصناعات التى تعالج الخشب والحديد والنحاس والرصاص

ومواد الصباغة وغير ذلك — صنع الآلات — توزيع المنتجات الصناعية — تجارة الجملة والتجزئة — سماسرة التجارة والطوافون بالأصناف لترويجها — أصحاب السفن — شركات الملاحة — المتاجر — العرض التجارى للبضائع فى المحال التجارية.

هذه نماذج للمناهج ونلمح فيها ظواهر أهمها:

(١) أنها نابعة من البيئة متمشية مع مطالب الأطفال.

(٢) مرنة لا تغل الفكر ولا تشل المواهب.

(٣) متماسكة متجانسة الأطراف، دائرة حول محور واضح.

(٤) متصلة بالحياة فى جمع مظاهرها.

(٥) بعيدة عما فى مناهجنا من تعدد المواد وكثرة أسمائها، فهى فى ظاهرها مبحث واحد، وفى حقيقتها معلومات شتى متناسقة تشمل ما نعتبره فى مدارسنا علوما منفصلة.

(٦) وفوق هذا فإن اشتراك التلاميذ فيها وفى تحديد عناصرها واسع المدى.

أما طريقة معالجتها فقد أوضحناها، ومنها تعلم أن هذه المناهج خاضعة للطفل ومطالبه، تنمى مواهبه العقلية تنمية صالحة، وتعده لفهم البيئة وخدمة الجماعة.

وبعد فهل نرى فى طريقة دكرولى جديداً نافعاً يمكن اقتباسه واحتذاؤه؟ اعتقد أن فيها من أصول التعليم الصحيح وطرقه الناجعة المبنية على التجارب قسطاً وفيراً لمن ينشد الاصلاح والتجديد.

عبد الحميد حسن

الرجل والمرأة

٣

نتائج الاختبارات العقلية (١)

بقلم حامد عبد القادر
استاذ علم النفس بكلية أصول الدين

(١٢)

قد بينا فى مقال سابق وسيلتين من الوسائل التى اتخذها علماء النفس لمعرفة ما بين البنين والبنات من فروق فى المقدرة العقلية . والآن أشرح للقراء وسيلة أخرى قلت إنها ربما تعد أدق من الوسيلتين السابقتين، وأعنى بهذه الوسيلة — الثالثة : الاختبارات العقلية .

لست أريد أن أطيل فى الكلام على الاختبارات العقلية ، ولا أن أبين للقراء تاريخها الطويل المسهب . وإنما يكفى أن أذكر هنا أن العلماء منذ أوائل القرن التاسع عشر أخذوا يبتكرون شتى الطرق والوسائل لاختبار العقلية الانسانية وسبر غورها ، ومعرفة الأسباب التى تدعو إلى ما يعتريها من تطور أو تقلب . ولقد كان علماء النفس متأثرين فى أبحاثهم هذه بتلك الثورة الاجتماعية العنيفة ، وذلك الانقلاب العلمى الخطير الذى اهتزت له أركان العالم وتأثرت به جميع العلوم طبيعية كانت أو اجتماعية

(١) راجع المقال الأول فى « صحيفة دار العلوم » العدد الأول ص (٨١ — ٨٦) والمقال الثانى فى العدد الثانى (ص ٨٩ — ٩٨) .

أو إنسانية . فلم يكن حظ علم النفس من ذلك الانقلاب وتلك الثورة بأقل من حظ غيره .

ولا ريب أن أبرز مظهر من مظاهر ذلك الانقلاب الذى حدث فى المباحث النفسية وضع طريقة متبكرة لتعرف العمليات العقلية المختلفة ، وتبين علاقة بعضها ببعض ، ومعرفة ما يحيط بها من ظروف وما يعتورها من تغير أو ضعف أو قوة ؛ تلك الطريقة هى التجربة المبنية على أساس علمى ثابت ؛ فبعد أن كان العالم النفسى يتبع فى مباحثه طريقة فلسفية محضة مقصورة على مشاهداته وملاحظاته الفردية الخاصة ، إذ كان يخلو ونفسه فى حجرته ويجلس على كرسيه ويحاول أن يراقب نفسه بنفسه ويتأمل ثم يتأمل حركات عقله وسكناته ثم يستنبط من تلك المراقبة قواعد نفسية ، ويصل من ذلك التأمل إلى قوانين عقلية — أقول بعد أن كان العالم النفسى يكتفى بتلك الطريقة الفردية الفلسفية أصبح — بعد التأثر بتيار العلم الحديث ، وبعد معرفه الطرق التى يتبعها العلماء الآخرون فى مباحثهم — مضطراً إلى أن يسلك طريق العالم الطبيعى فيترك مخدعه ، ويهجر كرسيه ويذهب إلى المعمل السيكولوجى ليقوم به بالتجارب والملاحظات النفسية بيد أن الباحث النفسى فى ذلك العصر — حتى بعد ابتكار طريقة التجربة — لم يكن موفقا تمام التوفيق فى أعماله ؛ إذ أنه لم يدرك أن العقول البشرية تتفاوت ، ولم يعرف بادىء بدء أن العقل الواحد يتطور وينتقل من مرحلة فى النمو إلى مرحلة أرقى منها . وكانت تجاربه فى أول الأمر مقصورة على الأفراد العاديين من بنى الإنسان فلم تتناول مباحثه عقلية غير العاديين التى هى دون المتوسط أو فوقه ؛ لأنها كانت تعد عقلية شاذة خارجة عن حدود المباحث النفسية ، وليست خاضعة للقوانين النفسية المعروفة . وكذلك لم يكن البحث فى عقلية الحيوان من المباحث النفسية ؛

لأن علماء ذلك العصر والعصور السابقة له لم يتجهوا بتفكيرهم الجدى نحو هذه الناحية ، لاعتقادهم أن البحث فى عقلية الحيوان لا يجدى .

ولكن مالبثت هذه العقائد أن تغيرت ، وما زالت تتغير حتى اتسع نطاق المباحث العقلية ، وتشعبت فروعها ، وكثرت أبوابها ، فاضطر علماء النفس إلى تقسيم مادتهم إلى طوائف كل طائفة مرتبطة بموضوع خاص . وعن هذا التقسيم نشأت فروع علم النفس المتعددة ؛ فمن علم النفس العام إلى علم النفس الاجتماعى ، إلى علم النفس الأخلاقى ، إلى علم النفس المقارن ، إلى علم النفس الطبى ، إلى علم النفس الصناعى وهلم جرا . ولم تبق المباحث النفسية مقصورة على عقلية العاديين من بنى الإنسان بل تعدتها إلى عقلية الشواذ وعقلية الحيوان . ولقد أصبح من المتبع الآن تخصيص بحث خاص لكل عصر من عصور حياة الفرد لاسيما الطفولة والمراهقة والبلوغ .

وباتساع نطاق المباحث النفسية وباختلاف الأغراض التى يرمى إليها الباحثون اختلفت طرق البحث وتعددت ، وكان من هذه الطرق طريقة الاختبارات العقلية التى نحن بصدد بحثها الآن .

(١٣)

والاختبارات العقلية كما هى الآن متعددة متشعبة النواحى مختلفة باختلاف الغرض ؛ فهناك مثلا :

(١) اختبارات لمعرفة قوة الحواس الدنيا والعليا ، وتبين علاقتها بالمقدرة العقلية العامة ، كالاختبارات التى وضعها العلامة « فرانسس جولتون » وقفى على آثاره فيها « جلبرت وسبيرمان » وكانت نتيجة هذه الاختبارات العلم بأن هناك علاقة وثيقة بين قوة الحواس وبين المقدرة العقلية العامة .

(٢) اختبارات لمعرفة ما إذا كانت تقوية وظيفة من الوظائف العقلية بالتدريب والمرانة تؤدى إلى تقوية بعض الوظائف الأخرى، كالاختبارات التى وضعها «ثورنديك» و«وودورث» و«وصلر» فى أواخر القرن التاسع عشر. وقد وصل بهم البحث إلى أن تقوية وظيفة ما من وظائف العقل بالتمرين لا تؤثر فى تقوية غيرها من الوظائف مهما اشتدت الرابطة بين هذه وتلك.

(٣) اختبارات يراد منها قياس الوظائف العقلية العليا كالموازنة والاستنباط وادراك الكلى والتفكير الراقى المتطفر، كالاختبارات التى وضعها «بينيه» و«بالارد»، ومن هذه الاختبارات جمل ناقصة يراد تكميلها مثل:

نسبة الأبيض إلى الأسود كنسبة الحسن إلى . . . . . ؛ ونسبة القدم إلى الجسم كنسبة العجلة إلى . . . . . ؛ ومنها أقيسة يراد معرفة نتائجها مثل :

علىّ أطول من حسن ، ومحمد أطول من علىّ ، فأيهم أطول الجميع ؟

ومثل :

قال إسماعيل إذا تأخر القطار فلن أستطيع المحافظة على الميعاد ، وإذا لم يتأخر القطار عن ميعاد وصوله فلن استطيع ركوبه ، ونحن لا نعرف أتأخر القطار أم وصل فى موعده ، فهل تعرف أحافظ إسماعيل على الميعاد أم لم يحافظ ؟

ومنها جمل يراد معرفة ما فيها من الخطأ المعنوى مثل :

(ا) لى ثلاثة أخوة : ابراهيم ومحمود وأنا .

(ب) ذات يوم وجدت جثة بنت فقيرة فى غابة من الغابات، وكانت الجثة مقطعة ثمانى عشرة قطعة ، ويشاع أنها هى التى قتلت نفسها .

(٤) اختبارات وضعت لقياس الشخصية الخلقية وعناصرها كالأمزجة والانفعالات وما إليها ، كالاختبارات التى وضعتها الدكتورة «نورزويرثى»

والآنسة «داونى» ومن تبعهما من الأمريكيين، وكالاختبارات التى وضعها الدكتور «يونج» الطبيب السويسرى وأتباعه.

(٥) اختبارات وضعت لتبين مقدار الاستعداد لحرفة أو صناعة من الصناعات، وقد شاع استخدام هذه الاختبارات إبان الحرب العظمى الماضية فى أمريكا وانجلترا، لأن الضرورة قد دعت أولى الأمر فى ذلك الوقت الى اختيار الجنود الأقوياء القادرين على مقاومة أخطار الحرب وأهوالها؛ إذ لو أرسلوا إلى ساحات القتال جنودا غير صالحين لكانت الطامة الكبرى على المتحاربين، وقد فازت الولايات المتحدة بقصب السبق فى ابتكار اختبارات من هذا النوع لاختيار الجنود الأكفاء، وكان الفضل فى ذلك للعلامة «ثورنديك» العالم النفسى الأشهر.

وضعت الحرب أوزارها فلم يضعف تيار العمل، بل مازالت الأبحاث قائمة على ساق وقدم، وما زالت النتائج تلو النتائج تمحص وتفحص حتى ذاع أمر الاختبارات العقلية وشاع خبرها فملأ أوربة، وصار العالم المتمدين يؤمن بما لها من فوائد فى اختيار العمال للأعمال المختلفة. وإنك لتجد الآن معاهد مؤسسة لهذا الغرض فى فرنسا وبلجيكا وهولندا وسويسرا واسبانيا وألمانيا وغيرها.

ويدير كل من هذه المعاهد علماء لهم دراية واسعة بعلم النفس وخبرة تامة بعمل التجارب النفسية. ولم يعد أمر الاختبارات العقلية سرا من الأسرار، بل إن هناك صلة وثيقة بين هؤلاء العلماء وبين المعامل النفسية المنشأة فى البلاد الأخرى من جهة، وبينهم وبين المحال التجارية والمدرسين وغيرهم من المربين مل جهة أخرى.

(١٤)

كان من نتائج ذيوع الاختبارات العقلية وتعددها وتعدد الأغراض التى وضعت من أجلها أن فكر بعض الباحثين فى استخدامها لمعرفة متوسط الذكاء بين البنين ومضاهاته بمتوسط الذكاء عند البنات . ومن فحول هذا الميدان العلامة « ثيرمان » الأمريكى الذى اختبر ما يقرب من ألف طفل (٤٥٧ ولد و ٤٤٨ بنت) تتراوح أسنانهم بين الخامسة والثالثةعشرة ، معتمداً فى ذلك على الاختبارات التى وضعها «بينيه» و«سيمون» ثم عدلها « استانفورد » وقد وجد هذا العالم بعد أخذ المتوسطات أن البنات فقن أمثالهن من البنين بقليل ، فى كل سن من الأسنان السابقة ماعدا من فى سن العاشرة ، فان البنين فاقوا أمثالهم من البنات بقليل أيضاً .

ولما كانت الفروق التى بين الجنسين من هذه الناحية قليلة جداً لا تكاد تذكر قرر « ثيرمان » أننا إذا اعتمدنا على هذه الاختبارات العقلية وعلى النتائج التى وصلنا إليها أمكننا أن نقول : « إن متوسط الذكاء عند البنات والنساء يبلغ متوسط الذكاء عند البنين والرجال . ولقد قام العلامة الانجليزى «سيرى بيرت» بأبحاث مثل أبحاث «ثيرمان» ، والظاهر أن أبحاثه قد وصلت به إلى نتيجة تشبه النتيجة التى وصل إليها «ثيرمان» ؛ فانه بعد اختبار نحو ثلاثة آلاف طفل تتراوح أسنانهم بين الثالثة والرابعة عشرة على طريقة «بينيه» و«سيمون» وصل إلى النتائج المدونة فى الجدول الآتى :

السن الحقيقية للطفل	متوسط السن العقلية	
	بنون	بنـات
٣	٢ر٣	٨ر٣
٤	٥ر٤	٧ر٤
٥	٣ر٥	٧ر٥
٦	٢ر٦	٨ر٦
٧	٣ر٧	٨ر٧
٨	٤ر٨	٧ر٨
٩	٢ر٩	٦ر٩
١٠	٧ر١٠	٤ر١٠
١١	٤ر١١	٥ر١١
١٢	١٢	٤ر١٢
١٣	٩ر١٢	٣ر١٣
١٤	٥ر١٣	٢ر١٤

ومن هذا الجدول ترى أن البنات يفقن البنين فى الأسنان العقلية ، ماعدا السنة العاشرة التى يفوق فيها البنون البنات ، وهذه هى النتيجة التى وصل إليها « ثيرمان » .

(١٥)

لعلك أيها القارىء الكريم تعجب لهذه النتائج التى وصل إليها العالمان المذكوران ، ولعل عجبك يشتد إذا علمت أن هذين العالمين من النزاهة والدقة بحيث يوثق بهما فى المباحث النفسية . ولكن هذا العجب لا يلبث أن يزول إذا علمت السر فى فوز البنات على البنين فى ميدان الاختبارات العقلية . ولبيان ذلك أقول :

أولا : إن هذا الحكم صادر على المجموع لا على الأفراد ؛ أى أن هذه النتيجة لا تقول لنا إن ذكاء البنت على العموم مساو لذكاء الولد أو أعلى منه ، ولكنها تقول إن متوسط الذكاء عند البنات مساو لمتوسط الذكاء عند البنين أو أعلى منه بقليل ؛ فالحكم إذاً على المتوسط . ومعنى ذلك أنه قد يوجد من بين البنين من ذكاؤهم دون المتوسط بكثير جدا ، ومن ذكاؤهم أعلى من هذا المتوسط بكثير جدا أيضاً ، وباضافة هذا إلى ذلك وقسمة الناتج على عدد الأفراد ينشأ المتوسط . أما الحالة عند البنات فليست كذلك .

ثانياً : إن هذه الاختبارات كثيرة متنوعة وليست كلها مقاييس لقوة الإدراك والذكاء بمعنى الكلمة ، بل إن منها اختبارات خاصة بالكلمات ومعانيها ، وأخرى خاصة بالأمور الذوقية وبضروب المجاملة والتلطف فى الحديث ، ولا شك أن البنات يفقن البنين فى مثل هذه الأشياء .

ثالثاً : إن النجاح فى مثل هذه الاختبارات يتوقف إلى حد بعيد جداً على سرعة فهمها وسرعة الإجابة عنها ، وهذه مسائل لغوية كثيرا ما تتغلب البنات فيها على إخوتهن البنين .

فالحكم على متوسط ذكاء البنات على العموم بأنه مساو لذكاء البنين أو أعلى منه بقليل بعد القيام بالاختبارات العقلية السابقة ، ليس معناه — كما قد يتوهم القارىء لأول وهلة — أنه ليس من بين البنين من هم أعلى ذكاء من أرقى البنات ذكاء .

والواقع أن «ثيرمان» و«بيرت» لاحظا فروقاً هامة بين إجابات البنين وإجابات البنات ، فوجدا مثلا أن إجابات البنين قد فاقت بكثير إجابات البنات فى التعريفات وبيان أوجه التشابه والتضاد بين بعض الأشياء

وبعض ، وكذلك فى الاختبارات التى تتطلب تدبرا وتفكيرا أو عمليات حسابية .

وقد وجدا بجانب ذلك أن إجابات البنات خير من إجابات البنين فى المسائل اللغوية وفى الأمور التى للذوق فيها مجال .

هذا إلى أن تجارب الدكتورة «مكفارلين» تؤيد القول بأن التمكن من اللغة والسرعة فى الفهم والإجابة مما يسهل الأمر على البنات ويساعدهن فى التغلب على البنين فى هذه الاختبارات . قامت هذه المربية بتجارب فى مدارس لندن لقياس مقدرة البنين والبنات على تكوين الأشياء وتركيبها ، ولمعرفة ما بين الجنسين من فروق فى هذه الناحية من نواحى النشاط العقلى والمادى ، وقد اقتنعت بعد القيام بتجارب مختلفة متعددة فى ظروف خاصة متحدة أن البنين يفوقون البنات بكثير فى هذه الناحية . ومن الغريب أن البنين سبقوا البنات فى التأليف بين أجزاء لعبة من اللعب التى يولع بها البنات . تلك هى مهد صغير لدمية من الدمى . ولا شك أن التجارب التى من هذا القبيل عادية ، لا تمنح أحد الجنسين دون الآخر ميزة خاصة . ويؤيد النتيجة التى وصلت إليها السيدة «مكفارلين» النتائج التى وصلت إليها اللجنة الصناعية التى شكلت فى انجلترا لقياس التعب .

(١٦)

إن هذه النتائج التى وضعناها بين يدى القارىء إن دلت على شىء فإنما تدل على :

(١) أن متوسط المقدرة العقلية عند البنات يكاد يساوى متوسط هذه المقدرة عن البنين .

(٢) أن من بين البنين من ذكاؤهم فوق هذا المتوسط أو دونه بكثير ،

أما ذكاء البنات فإن لم يكن فى دائرة المتوسط فلا يقل عنه أو يزيد عليه إلا بقليل .

(٣) أن البنين يفوقون البنات فى تكوين الأشياء وتركيبها

(٤) أن البنات يفقن البنين فى الاختبارات الفنية والتى تتوقف سرعة الإجابة فيها على فهم الألفاظ والجمل .

(٥) أن البنين يفوقون فى الاختبارات التى تحتاج إلى تروّ ورياضة عقلية وعمليات حسابية .

أما النتيجة الأولى فليست بذات اهمية عظيمة ، لأن متوسط الذكاء ليس له وجود فى الخارج وإنماله اعتبار ذهنى . أما الذكاء الفردى فله وجود خارجى ، والذكى يستخدم ذكاءه فى النهوض بنفسه ، وكثيراً ما يكون سببا فى سعادة غيره ، ولا يستطيع أن يهب غيره جزءا من ذكائه ، كما لا يستطيع الغبى أن يستمد من ذكاء غيره ولا أن يقتطع منه قطعة يضيفها إلى ذكائه ، والجماعات لا ترقى بمتوسط ذكاء أفرادها . ولم يصل المجتمع الإنسانى بعد إلى حالة يقوم فيها جهاد الجماعات مقام جهاد الأفراد ، ويندمج فيها ضعف الضعيف فى قوة القوى ، وخلاصة القول أن الذكاء الفردى له آثار تذكر فى المجتمع وأن الذكاء الجمعى أو متوسط ذكاء المجتمع لا وجود له فى الخارج ولا فائدة له تذكر .

والنتيجة الثانية تبين لنا السبب فى أن معظم العباقرة والقادة والمبرزين ، فى كل ميدان من ميادين الحياة ، من الرجال ، وتبين لنا فى الوقت نفسه السبب فى أن معظم المجانين والمعتوهين وضعاف العقول من الرجال أيضا .

ومن النتيجة الثالثة نعرف السبب فى أن معظم المبدعين والمخترعين والمنشئين من الرجال أيضاً .

أما النتيجتان الرابعة والخامسة فتؤيدان ما ذكرناه فى المقال السابق

من نتائج المباحث التى قام بها العلماء متبعين الطريقتين السابقتين .

(١٧)

وبعد فنستطيع أن نقول على وجه العموم إننا مهما فكرنا ومهما اختبرنا وجدنا أن هناك فروقا جنسية بين البنين والبنات ، وأن هذه الفروق لا يستهان بها ولا يمكن إنكارها ولا التغاضى عنها .

ولا يجولن بخاطر القارئ الكريم أننا نقصد من وراء هذه التفرقة استصغار شأن المرأة أو الحط من كرامتها ؛ إذ أن التفرقة لا تستدعى الحط من كرامة أحد الجنسين ، وصفات المرأة الخاصة لم تنشأ عن تأخرها فى سلم الرقى ، ولكنها نتائج طبيعية للاتجاه العام المستمر نحو التخصص وتوزيع الأعمال .

يقول « فوييه » : « إن المرأة لم تتأخر عن الرجل ، بل إنها سارت معه جنبا إلى جنب ، ولكن تقدمها كان دائما نحو الغاية التى ترغمها طبيعتها على السير نحوها » .

ويقول « جيمز ولتون » : « إن قياس قوة المرأة الفكرية بقوة الرجل قياس باطل ، وإن استنباط أن الرجل أعلى منزلة من المرأة من عجزها عن التفكير الفلسفى استنباط كاذب ، نعم إن تقدير الرجل للقوانين والأحكام العامة شىء ، وإن تقدير المرأة للأمثلة والنماذج الحسية المادية شىء آخر ، ولكننا لا نستطيع أن نقول إن هذا أقل منزلة من ذلك ؛ فكل منهما ضرورى فى الحياة ، والمرأة باتجاهها إلى ناحيتها الخاصة تكمل الرجل فى اتجاهه إلى ناحيته ، كما أنه باتجاهه الخاص يكمل المرأة فى اتجاهها فكل منهما مكمل للآخر » .

« فليست المسألة مسألة تفضيل للرجل على المرأة ، ولكنها مسألة بيان اختلاف كل عن الآخر فى الصفات الجسمية والعقلية ، ولذا نعد عبثا كل

محاولة عملية يقوم بها المجتمع وكل منهج تسير عليه الأمة يكون الغرض منه جعل المرأة مثل الرجل فى قواه العقلية ؛ لأنها تكون حينئذ محاولة ضالة ومنهجا مبنيا على أساس سيكولوجى واهٍ لايلبث أن ينهار » .

(١٨)

ويهمنا كثيرا أن نلفت نظر القراء إلى أن هذا البحث يفضى بنا إلى نتيجة عملية لا نزاع فى صحتها هى : أنه ليس من الحزم فى شىء أن نرغم البنت على أن تسير مع الولد جنبا إلى جنب فى معاهد التعليم ، أو أن نجعل المناهج التى نسير عليها فى تعليم البنين مساوية أو مشابهة لتلك التى نسير عليها فى تعليم البنات ، فلكل ميول واستعدادات ، ولكل وظيفة فى الحياة تنتظره . فلنعد كلا لوظيفته خير إعداد ، متبعين فى ذلك ما تمليه علينا الطبيعة البشرية ، وما يرشدنا إليه القانون الإلهى الأعلى الذى يأبى إلا أن يكون الرجل رجلا والمرأة امرأة .

إننا إن خالفنا تلك الطبيعة البشرية ، وخرجنا على ذلك الناموس الإلهى فإننا نعرض أبناءنا وبناتنا لأخطار اجتماعية ربما لايستطيعون مقاومتها ، ونقع فى أخطاء تعليمية قد لا نستطيع إصلاحها ، ونزيد فى مشكلة المتعلمين التى استعصى على المصلحين علاجها .

يقول العلامة « هورن » المربى الأمريكى الشهير :

« إننى مع عدم تعرضى لبحث هذه المشكلة التى قتلها الناس بحثا فى كل زمان ومكان ، ألا وهى مشكلة منزلة المرأة فى المجتمع ، لا أرى مانعا من الإدلاء برأيى فيها بكل بساطة فأقول : إن المرأة يجب أن تربى تربية تكفل سعادتها وتضمن سعادة زوجها وأولادها فى آن واحد ، فيجب أن تعد نفسها للقيام بمهمة خاصة لا للقيام بمهام عامة ؛ فتعد نفسها للبيت والمدرسة

لا لمنبر الوعظ ولا لمنصة القضاء ، ومن الواجب أن تكون تربيتها على نسق تربية أخيها لكن فى النظام والطرق العامة. لافى المناهج والطرق الخاصة : لأنه من الواجب مراعاة طبيعة المرأة الخاصة ووظيفتها المقصورة عليها فى الحياة »

« ومن أهم مايجب عليها معرفته أمران ، هما التدبير المنزلى ، وواجبات الأمومة ، وهذا ما أظنه جاريا على فطرة المرأة ، وهذه هى المبادئ التى سيكون لها الفوز والنصر المؤزر عاجلا أو آجلا ، وحينما يعلن انتصارها النهائى باحتلال النساء مراكزهن الجديرة بهن فى المجتمع وفى المدرسة وفى البيت تصبح المرأة الركن الركين والعماد الوحيد الذى يعتمد عليه فى تحسين أحوال النوع إلى أقصى حد ممكن » .

« وستعلم المرأة حينئذ أن هذه هى وظيفتها الحيوية فى المجتمع ، وأنها هى الوظيفة التى تتوقف عليها سعادتها الكاملة مهما تظاهرت بأنها ترى سعادتها فى غيرها من الوظائف ، ومهما ادعت أنها قانعة بحياتها حينما تقوم بأعمال هى إلى أعمال الرجل أقرب وبه أليق » .

حامد عبد القادر

التعليم فى الهواء الطلق

بقلم محمد عطية الابراشى

مفتش بوزارة المعارف

ليست فكرة التعليم فى الهواء الطلق بالجديدة : فقد عمل بها (أفلاطون) ذلك الفيلسوف الأثينى الكبير من قبل ، لأنه شعر بفائدة الهواء وأثره فى الصحة ، فأنشأ جامعته أو معهده العلمى فى بساتينه فى أثينا ، وكان يعلم الطلبة بين الأشجار وجداول المياه ، ليتمتعوا بما فى الطبيعة من جمال ، ويستفيدوا من شمسها وهوائها . فالمربون فى المانيا وأمريكا وانجلترا لم يأتوا بجديد من جهة التعليم فى الهواء الطلق .

مدرسة الهواء الطلق والغرض الأصلى منها :

هى نوع خاص من المدارس التى انتشرت فى أوربة وأمريكا فى القرن العشرين لتعليم ضعفاء الأجسام من الأطفال . والغرض منها تحسين صحتهم أولا ، وتعليمهم ثانياً . وللوصول إلى هذين الغرضين تنشأ فصول أو مدارس أو مصحات فى الهواء الطلق ، ويعنى فيها بغذاء هؤلاء الأطفال ، وملابسهم لوقايتهم من البرد ، والتقليل من أعمالهم المدرسية . وتنويعها بحيث تناسب حالهم الصحية ، فالفكرة الأساسية فى فى هذا النوع من المدارس هى تقوية أجسام التلاميذ الضعفاء ، مع تعليمهم فى الوقت نفسه . وكثيرا ما نجد بين جدران المدارس أطفالا ضعفاء الجسم ، أقوياء العقل . فإذا حكمنا على هؤلاء بالتعلم فى المدارس العادية ، والمكث فيها من الساعة الثامنة صباحا إلى الرابعة مساء قضينا عليهم بالموت ، وليس من الحكمة طبعاً حرمانهم التعليم ، والقضاء عليهم بالجهل . فمدرسة الهواء الطلق هى الوسيلة الوحيدة للتغلب على هذه الصعوبة ؛ ففيها يجد

الضعاف جواً صحيحاً يتفق مع حالتهم الجسمية ، ويضاف إلى ذلك التربية والتعلم بطريقة خاصة تناسبهم . فيتعلمون فى أثناء علاجهم ، ويعالجون فى أثناء تعليمهم ، فيجمعون بين المزيتين : الصحة والتعلم .

الحاجة إلى الحياة فى الهواء الطلق

إن النشاط العقلى والجسمى للإنسان فى الحياة الخارجية فى الهواء الطلق أكثر منه داخل الفصول بين جدران أربعة ، فقد ألف الإنسان جو الطبيعة منذ ظهوره فى هذا العالم . وجسمه لا يتحمل البقاء محبوساً فى الداخل ، وهذا حق ، وبخاصة فى الطفولة فى الأدوار الأولى للتكون والنمو : فالطفل الصغير يجب أن يقضى كثيراً من الوقت فى الهواء ، فى الحدائق وغيرها . وليس معنى ذلك أن نحرمه التعلم ، بل نعلمه فى بيئة صحية ، فنفيده صحة ، وقوة ، وملاحظة ، وعقلا . والأطفال جبلوا بطبيعتهم على حب الطبيعة والمعيشة فى الهواء والخلاء وإن حبهم للمكث فى الخارج حب غرزى ، الغرض منه المحافظة على النفس والنوع .

هذا وإن النشاط الكبير الذى يظهره الأطفال وهم فى عالم الطبيعة — كالحدائق مثلا — سبب واضح يدعو إلى القيام بالدراسة خارج الفصول بقدر الاستطاعة . ويستفيد التلاميذ من التعلم فى الهواء أكثر من استفادتهم فى الفصول المدرسية . وبخاصة حينما يألفون هذا النوع من الدراسة . ولقد برهنت القواعد الصحية الحديثة على أن المكث طويلا بين أربعة جدران غير صحى ؛ فالأوبئة والأمراض المنتشرة نتيجة طول المكث داخل المنازل أو الحجرات . وعلى المدرس أن يذكر أن أكثر الأمراض انتشاراً فى المدارس الانجليزية والأمريكية مرض الوزن الناشئ عن كثرة المكث فى الداخل ، فى حجر فاسدة الهواء .

فاذا كان للتربية فى دور الطفولة تأثير قوى فى الأطفال طول حياتهم فمن الواجب أن نشجع فيهم ذلك الحب الطبعى للمكث فى الهواء ، ونجتهد

فى تجديد ذلك الشغف بالمكث فى الخلاء ، ونفعل كل ما فى استطاعتنا من قوة لترغيبهم فى المعيشة الصحية ، والعمل على أن يجدوا مسراتهم فى الطبيعة ، وأن يكسبوا العلم والصحة فى وقت واحد .

ولقد برهنت مئات من التجارب فى مدارس الهواء الطلق على أن ضعفاء الأجسام من الأطفال يتعلمون بسرعة عظيمة ، وتزيد قوتهم حينما يسمح لهم بالتعلم فى الهواء الطلق .

يقول أحد الأساتذة فى إحدى الجامعات الأوربية : إنه لم يستطع المحافظة على صحة ابنه إلا بوسيلة واحدة هى : الإصرار دائماً على أن يلعب فى الخارج طول النهار فى يوم السبت والأحد من كل أسبوع [1] ؛ فإن هذا الطفل كان يأتى إلى المنزل يوم الجمعة بعد انقضاء الأسبوع الدراسى وهو متعب ، منهوك القوى . وباللعب والراحة يومى السبت والأحد فى الهواء كانت قواه تتجدد فى أيام الاثنين ، ويكثر نشاطه ، وتزيد حيويته . وفى أيام العطلة والإجازة كانت صحته تتحسن كثيراً من الرياضة فى الحدائق وتغيير الهواء فى المصايف . فمثل هذا الطفل سعيد الحظ بأبيه . أما غيره من الأطفال فقد لا يجدون هذه العناية والملاحظة ، والعمل على تحسين صحتهم ، وتجديد قواهم . فالطفل العادى قد يكون تأخره فى الأعمال المدرسية ناشئاً عن الإجهاد المستمر مع إهمال الرياضة واللعب وتقوية الصحة والاستفادة من الهواء والشمس . وبالاختبار قد شوهد أنه يمكن تحسين كثيرين من الأطفال صحيا لو لعبوا ومكثوا وقتاً طويلا كافياً فى الهواء الطلق .

والتعليم فى الهواء الطلق خطوة كبيرة نحو الطريق المؤدى إلى تقوية أجسام الأطفال عموماً ، والضعفاء منهم خصوصاً . وإذا كان الهواء خير علاج لكثير من أمراض الأطفال وغيرهم فلماذا لا يكون خير واق منها ؟

(١) هذان اليومان عطلة أسبوعية فى مدارس أوربة وامريكا .

ولماذا لا يكون الهواء أحسن مقو لمن يحتاج إلى القوة والنمو ؟

يجب تنظيم التعليم فى الهواء وتحديده :

قد يجد المدرسون بعض الصعوبة فى حفظ النظام خارج الفصول ؛ لأن التلاميذ كثيرا ما يظنون أنهم عند خروجهم من حجر الدراسة تزول القيود التى يقيدون بها عادة فى الفصول . فهم قد عودوا أن يستذكروا دروسهم ما داموا فى حجر الدراسة ، فإذا ما غادروها تركوا الدروس وراءهم ظهريا ، وهذا مما يؤخذ على المدرسة ، ونريد أن نعمل على تجنبه . وبالمرانة والتعود يمكن تعويد التلاميذ المحافظة على النظام ، سواء أكانوا فى الفصول أم خارجها . ويجب :

(١) أن يستعد الأطفال لتلقى الدروس واستذكارها فى الحجر الدراسية وخارجها ؛ حتى يخطوا خطوة نحو المبدأ القائل بأن « التربية هى الحياة . » وبتعويدهم حب النظام فى الحجر وخارجها يقوم المدرس بجزء كبير نحو تعويدهم النظام فى حياتهم العملية على العموم .

(٢) وأن يعد المدرس مادة شائقة تكفى المدة التى يمكثها مع التلاميذ فى الهواء الطلق ، بحيث يشغلهم بها طول المدة .

وفى الوقت الذى يخرجهم لرحلة يمكنه أن يفهم كل تلميذ ما عليه من الواجبات قبل مغادرة الحجرة ، ويحثهم جميعا على مراعاة النظام ؛ حتى لا يظن المارة أن المدرسة مهملة فى عملها . ويخبرهم بأن من لا يريد الانتباه التام فى أثناء المكث فى الخارج يمكنه البقاء فى الفصل والاستذكار بالطريقة المألوفة .

والرحلات لدراسة التاريخ والطبيعة — فى بيئة الطبيعة الأولى — تحتاج إلى إعداد تام ، وإلمام بالتفصيلات عن كل شىء أكثر مما لو كان التدريس فى حجر الدراسة .

وعلى المدرس أن يبث فى نفوس الأطفال حب جمال الطبيعة ويعمل

على تقوية ملاحظتهم، ويرغبهم فى الحيـاة فى عالم الطبيعة؛ حتى يعرفوا الصلة بينها وبين الإنسـان، ويشجعهم على كتابة ما يلاحظونه وهم فى الحقول والمتنزهات، وعلى استعمال أعينهم حتى يروا ما فى الأشجار من حياة، وما فى الطبيعة من جمال. ويحسن أن يسألهم من حين لآخر عما يشاهدونه من مناظر الطبيعة، ويذكر لهم كلمة عما يلاحظه هو — من أسبوع لآخر — من التغيرات الطبعية، وعما يحـدث فى عالمها؛ حتى يقلده التلاميـذ فى الملاحظة. وينبغى أن يشجعهم المدرس على القيام بإعداد حديقة المدرسة، وزرعها وتعهدها بأنفسهم.

مدارس الهواء الطلق بالمـانيا:

لقد سبقت (المانيا) غيرهما من الأمم فى هذا المشروع. ولا عجب؛ فالعناية بالصحة وبالفحص عن الأطفال طبيا عند التحاقهم. بالمدارس كبيرة جدا فى المانيا. وقد علم بالبحث أن هناك (٤ ٪) من الصغار يستطيعون الذهاب إلى المدرسة العادية، ولـكنهم لا يمكنهم الانتفاع التام بالتعليم فيها، لا لنقص فى قواهم العقلية، بل لفقر دم، أو ضعف جسم، وهذا ناشىء عن رداءة الغذاء، أو المسكن، أو البيئة... الخ.

ونظرا لأن التعليم عام إجبارى فى المانيا، والحكم على أمثال هؤلاء الضعفاء بالبقاء فى المدارس العادية فيه قضاء على حياتهم، فالنتيجة الطبعية كانت إنشاء مدارس لهم فى الهواء الطلق بضواحى المدن الكبيرة. ولقد فتحت أول مدرسة من هذا النوع سنة ١٩٠٤ فى (خارلوتنبرج) إحدى ضواحى «برلين»

والمبادىء المتبعة فى هـذه المدارس هى:

(١) الحياة والتعلم فى الهواء الطلق.

(٢) إعطاء الطفل كمية كبيرة من الغذاء الجيد بنظام خاص.

(٣) مراعاة النظافة التامة، وكثرة الراحة، واللعب.

(٤) اختيار المدرسين الماهرين لإدارة هذه المدارس والتعليم فيها.

(٥) جعل الفصول صغيرة، وتنويع الدروس حتى تكون شائقة، والتقليل من المقدار الذى يعطى للتلاميذ مراعاة لحالتهم الصحية، وتوزيع أوقاتهم بين العمل، واللعب، والقراءة، والغناء، والراحة، والغذاء.

(٦) العلاج بالتمرينات فى الهواء الطلق، وبأشعة الشمس، والحمامات.

(٧) الوقاية من البرد والملابس الصوفية وغيرها، وتجنب التيارات الهوائية.

(٨) العناية بصحة الأطفال وأسنانهم.

وبعد التجربة الأولى لهذا النظام أظهر الأطفال نجاحاً فى عملهم، وقويت أجسامهم، وحسنت صحتهم، وزاد وزنهم، وشفى كثير منهم من مرضه، ولم يتأخروا فى دروسهم، مع أنهم كانوا يشتغلون أقل من نصف الوقت الذى كان يشتغله قرناؤهم فى المدارس العادية، ثم كان فى استطاعتهم بعد العلاج أن يلتحقوا مع غيرهم من الأصحاء بالمدارس العامة، ويسيروا على مستواهم فى الدراسة. وبذلك لم يحرموا التعليم من أجل ضعفهم، ولم يرهقوا بالنظام العادى من التعليم.

وإذا نجحت هذه الطريقة فى تعليم الضعفاء من الأطفال فلا شك فى نجاحها فى تعليم الأقوياء والمتوسطين منهم. فوزارة المعارف قد أحسنت فى عنايتها بالتعليم فى الهواء الطلق، حتى تطرد صحة التلاميذ فى التقدم فى مدارسنا؛ فإنا نشاهد الأطفال المصريين صفر الوجوه، ضعاف الأجسام لعدم العناية بالتربية المنزلية، وقلة التبكير فى النوم. ومن القسوة الحكم على طفل صغير بالمكث من الصباح إلى المساء فى حجرة الدراسة وإرهاقه بواجبات منزلية غير معقولة أحياناً فى وقت هو فيه فى أشد الحاجة إلى الراحة واللعب فى الهواء، والعناية بتربيته الجسمية.

محمد عطية الابراشى

فى الآداب الاجنبية

بِسْتَالُتْزِى بين عقله وقلبه

بقلم محمد مهدى علام

للفتش بوزارة المعارف وعضو المكتب الفنى بها

هناك فى برّ (١) مقبرة يقرأ عليها الانسان العبارة الآتية : « بين طيات هذا الثرى ينام هينرخ بستالتزى ، الذى ولد فى زوريخ فى الثانى عشر من يناير سنة ١٧٤٦ ، وتوفى فى برج فى السابع عشر من فبراير سنة ١٨٢٧ ، منقذ فقراء نيُهوف ، واعظ الناس فى « لِنَارْدْ و جِرْتْرُود » ، أبو اليتامى فى ستانزْ ، مؤسس المدارس الشعبية فى برْجدُورف و ميُونِخِنْ — بُكْسِى ، ومعلم الجنس البشرى فى فِرْدُون . رجل مسيحى ، وطنى ، لغيره كل ما يملك ؛ ولا يملك لنفسه شيئا . على اسمه الرحمة والرضوان . »

وإن كل كلمة من الكلمات السابقة لتحمل فى ثناياها كتابا من التاريخ . لا تاريخ بستالتزى العظيم وحده ، بل تاريخ البشرية المعذبة ، تاريخ الانسانية المضحية ، تاريخ الوطنية الصادقة ، تاريخ التقوى الراسخة — فى ألمانيا ، ثم فى أوربا ، ثم فى العالم .

وأنا لا أنوى أن أخرج هذه المقالة عن صورتها الأدبية إلى بحث علمى واف عن هذا المربى الألمانى العظيم ، فقد حاولت ذلك فى موضع آخر ، ربما نشرته فى عدد تال فى باب التربية ، ولكننى سأعرض هنا ناحية أو ناحيتين من حياة بستالتزى .

---

(١) Birr بالقرب من زوريخ .

بستالتزى بين قلبه وعقله :

ذهب بستالتزى وهو غلام صغير إلى حانوت تاجر من كبار التجار ليشترى لعبة تدخل على نفسه السرور، فقابل فى ذلك الحانوت بائعة صغيرة هى أنَّاشُـلتْهِس (١) ابنة التاجر التى كانت أكبر من بستالتزى بسبع سنوات ، ولقد خذلته البائعة الصغيرة فى مسعاه ، ونصحت إليه بالابقاء على دريهماته بدلا من ذلك الإسراف.

ولقد عقدت هذه الحادثة رباط الصداقة بين الشخصين الصغيرين ، وكانت صداقة أثمرت خطبة فزواجا .

وذهب بستالتزى وهو فتى ناشىء إلى ضواحى برن لدراسة الفلاحة ، وكان فى تلك المدة على اتصال بريدى بخطيبته أنَّا ، غير أن تلك الرسائل التى تبودلت بين هذين القلبين ـ أستغفر الله ، بين هذين العقلين ــ لم تكن من صنف رسائل الحب التى نعرفها بين عشيق وعشيقته ، أو خطيب وخطيبته .

وإنى لناقل هنا ترجمة رسالة من هذه الرسائل التى تصف وصفا دقيقا فيلسوفنا فى حياته الخاصة والعامة . قال المحب الفيلسوف :

« عزيزتى

« إن أهم ما يبدو لى من أخطائى التى لها علاقة بما يحتمل أن أقوم به من الأعمال فى المستقبل ، هو عدم توفيق ، وقلة حيطتى ، وفقرى فى حضور الذهن وسرعة البديهة التى أحتاج إليها فى الأحوال التى تطرأ فى عملى .

« أما عن إهمالى الفظيع فى الآداب التقليدية ، وفى كل الأمور التى ليست فى الحقيقة هامة فى ذاتها ، فأنا فى غنى عن الإفاضة ؛ فكل امرىء يستطيع أن يرى ذلك فىَّ لأول نظرة .

« وعلىَّ أن أصارحك ، يا حبيبتى ، بهذا الاعتراف أيضا : وهو أننى سأعد دائما واجباتى إزاء شريكتى المحبوبة ثانوية بالقياس إلى واجباتى نحو وطنى المقدس ، وعلى أننى سأكون أرق الأزواج وأشفقهم ، لن تشفع عندى دموع زوجتى إذا

---

(١) Anna Schulthess

هى أمطرتها بين يدى لتحول بها بينى وبين الشروع فى واجباتى التى يقتضيها الوطن منى — مهما كانت النتائج المترتبة على ذلك .

« ألا إن زوجتى ستكون مقرا لثقتى ، وشريكة فى أقدس سر وأغلى نصيحة : ولسوف تسود منزلى البساطة البريئة .

« وشيئا آخر لا بد أن أزيحه عن صدرى : وهو أنه لن تمر حياتى من غير أن تحدث فيها حوادث جسام ، وأمور عظام ، فان أول ما عقدت عليه عزيمتى هو أن أفنى فى سبيل أمتى . ولن يعقد لسانى خوف من إنسان ، إذا علمت أن الخير لأمتى فى أن ينطلق لسانى ، فما نفسى إلا ملك لوطنى . وسأغامر ما شاءت المغامرة فى سبيل العمل على رفاهية أبنائه . يا لهول النتائج التى تترتب على الأعمال التى أشعر بنار الحمية تلهبنى للقيام بها ! وما أصغرنى إزاءها ! وما أقوى شعورى بأن واجبى هو أن أشرح لك احتمال وقوعى فى المعاطب من جراء ذلك !

« عزيزتى ، صديقتى المحبوبة ، لقد صارحتك الآن بخلالى وآمالى ، فاتتدبرى كل شىء ، وإذا كان من شأن الصفات التى ألفيت من واجبى أن أصارحك بها أن تنقص من احترامك إياى ، فإنك من غير شك ستقدرين إخلاصى . وأن يقلل من تقديرك إياى أننى لم أستغل جهلك بصفاتى الطّموح ، التى ترمى إلى تحقيق أبعد رغبة من رغباتى . »

ولقد خفق لذلك النداء السامى قلب لا يقل عنه سموا ، ولا وطنية ، ولا تضحية . فلقد أجابته ليلاه بقولها : « مثل تلك الأخلاق الرفيعة تصل إلى أعماق قلبى . »

وهكذا قامت معه بعمله ، واحتملت معه تبعة إقدامه ، من غير أن تتحرك شفتاها بكلمة ضجر أو تبرم ، طوال حياة زوجية دامت ستة وأربعين عاما ، كانت فيها أُمًّا زوجة وفية لبستالتزى . وأُمًّا رءوما ، لا لأولاده فقط ، بل لتلاميذه البائسين الذين كان يجمعهم من الأزقة والشوارع ليعلمهم ، ومصرفا ماليا لا يطالب ضمانة لشىء مما تتطلب مشروعات زوجها من نفقات .

العقيدة الراسخة :

لعل أظهر صفة فى حياة بستالتزى هى الثبات على المكاره فى سبيل العقيدة، فقد كافح فى سبيل تربية الفقراء كفاحا مجيدا . بذل فى سبيله ذات نفسه وذات يده، ولقد كان الإخفاق يختم كثيرا من أعماله ، ولكنه كان لا يخرج من إخفاق إلا إلى ميدان جديد للجهاد ، حتى كتب الله له النصر والسداد . وما أبلغ ما يقوله مِشِلِتْ فى تلك البطولة النادرة : « إن كان فى الدنيا معجزة ، فثمة كانت المعجزة ، مكافأة على عقيدة راسخة ، وقلب جرىء : لقد اعتقد فأراد فنجح » .

ولا عجب فقد كان حاله مع تلاميذه كما وصف هو : « كنت ألازم الأطفال من فلق الصبح إلى غسق الليل ، وما ألوت جهداً فى إنماء أجسامهم وعقولهم ، وما ركنت إلى غير نفسى فى تثقيف عقولهم ، وتهذيب نفوسهم . لقد كانت يدى فى كل عمل إلى أيديهم ، وابتساماتى تصحب دائماً ابتساماتهم ، لقد كان طعامنا وشرابنا قسما سوياً بيننا ، وكنا نمشى جميعا فى الحقول والمزارع لاستنشاق الهواء ، ولم يكن حولى هنالك أسرة ولا خلان ولا خدم ، فاتخذت من الأطفال أسرتى وخلانى ، لقد كنت أشعر بالصحة والسعادة ما داموا فى صحة وسعادة ، وكنت طبيبهم وممرضهم إذا مرضوا . كانوا إذا ناموا نمت بينهم ، وكنت آخر من ينام ، وأول من يستيقظ . . . . . »

إن فى ذلك لعبرة لأولى الألباب . هذه هى حياة البطولة ، حياة المجد ، حياة العبقرية ، حياة العقيدة الراسخة لا الهوى المتقلب . ولقد تعجب أن كوفىء على هذا الجهد المضنى ، والتضحية المنقطعة النظير بالإخفاق فى مشروعه ، وبالجحود من تلاميذه ، وبنكران الجميل من آبائهم وأمهاتهم ، ولكنه كعادته لم ينفض يده من عمل إلا إلى عمل . وإليكم ما يقوله عن نفسه فى كتاب أرسله إلى صديق له فى سنة ١٨٠٠

« لقد قطعت ثلاثين عاما أصارع الفاقة المروعة ، وأكاد لا أجد لى فى الانتصار عليها أملا . . . . لقد قطعت ثلاثين عاما اضطررت فى خلالها إلى التخلى عن كثير من أقل ضرورات الحياة ، ولقد حجبنى عن مخالطة رفقائى رثاثة ملابسى ،

وكم ليلة قضيتها من غير عشاء ، آكلا فى حزن ويأس كسرة خبز جافة على قارعة الطريق ، فى وقت كان فيه أشد الناس فاقة يجلسون حول مائدة ! لقد احتملت كل ذلك ، وما زلت حتى اليوم أحتمله لغير غرض سوى تحقيق مشروعاتى فى مساعدة الفقراء . »

حب تلاميذه له :

ولعل أدق وصف لبستا لتزى هو ما كتبه عنه أحد تلاميذه فى معهد فردون ، وقد صار تلميذه هذا أستاذا ، قال يحدث تلاميذه :

« تصوروا يا بنى رجلا دميما ، ذا شعر شائك ، ووجه قد شوهه الجدرى ، وغطى أديمه الكلف ، لحيته شعثاء ، وليس له رباط رقبة ، سراويله لم تزر أزرارها بإحكام ، ولذلك تراها قد هبطت إلى جواربه ، وجواربه قد تخلت لها عن مكانها نازلة فوق نعليه الكبيرتين الغليظتين ـ تصوروا هذا الرجل يلهث ويهتز إذ يمشى ، تصوروا عينيه يفتحهما تارة فترسلان شعاعا من النور ، وآونة يكاد يغمضهما كما لو كان مشتغلا بما يدور فى خلده ، أما أسارير وجهه فتارة تنطق بحزن عميق ، وآونة ينبعث منها الرضا والسعادة ؛ وأما حديثه فطورا بطىء ، وطورا سريع ، وآنا هادىء موسيقى ، وآنا آخر صاخب كأنه هزيم الرعد . تصوروا هذه الصورة ، فهى صورة هذا الرجل الذى كنا ندعوه (أبانا بستا لتزى) وعلى هذه الصورة التى رسمتها لكم ، كنا نحبه ، لقد أحببناه جميعاً لأنه كان يحبنا جميعا . بل لقد بلغ من حبنا إياه أنه كان إذا مرت بنا ساعة لم نره فيها جزعنا من أجله فاذا ما ظهر بيننا لم نستطع أن نحول أنظارنا عنه » .

مهدى علام

عجائب النظم الاجتماعية

عقوبات قضائية توقع على الحيوانات والجمادات وجثث الموتى والأطفال والمجانين

بقلم الدكتور على عبد الواحد وافى
الأستاذ بدار العلوم العليا وأقسام التخصص بالأزهر

أجمعت شرائع الأمم المتمدينة فى العصور الحاضرة على أن يُعْفَى من تبعة ما يحدثه من الأعمال الجنائية كل من لم تتوافر فيه الشروط الأربعة الآتية : —

(الشرط الأول) أن يكون إنسانا — فالحيوان والجماد غير مسئولين عما يتسببان فى إحداثه . وقد رأى المشرعون الحاليون أن هذا الشرط بدهى فلم ينصوا عليه صراحة فى قوانينهم .

(الشرط الثانى) أن يكون حيا — فان مات المجرم سقطت تبعته الجنائية ، ولا يسوغ أن توقع أية عقوبة على جثته ، سواء أ كان قد حكم عليه قبل موته أم لم يحكم عليه . وإلى هذا يشير قانون تحقيق الجنايات الفرنسى فى مادته الثانية : « تسقط الدعوى العمومية ، من حيث ما تقتضيه من عقوبة ، بموت المتهم » . وقانون العقوبات البلجيكى ، إذ يقول : « العقوبات المحكوم بها من أية جهة قضائية تسقط بموت الجانى » .

(الشرط الثالث) أن يكون عاقلا — فالمجنون غير مسئول قضائيا عما يرتكبه من الجرائم . وفى هذا المبدأ تتفق شرائع الأمم المتمدينة فى العصور الحاضرة ، على الرغم من اختلافها فى تعريف الجنون الذى تسقط به التبعة .

(الشرط الرابع) أن يكون قد بلغ سنا معينة — وقد اختلفت القوانين فى

تعيين هـذه السن ، فالقانون الانجليزى والقانون الروسى القديم يجعلانهـا سبع سنوات ، والقانون الفرنسى يؤخرها إلى الثالثة عشرة . والقانون البلجيكى يعفى من المسئولية الجنائية كل من لم يبلغ السادسة عشرة ، وهذه تقريبا هى سن البلوغ التى تشترطها شريعتنا الغراء فى توقيع الحدود والقصاص .

غير أن اشتراط هذه الأمور لصحة المسئولية الجنائية لم يعرف إلا منذ زمن حديث وعند الأمم المتمدينة فحسب . وذلك أن كثيرا من قوانين الأمم الغابرة وبعض قوانين الأمم غير المتمدينة فى العصور الحاضرة تجيز مسئولية الحيوانات والجمادات وجثث الموتى والأطفال والمجانين كما سيتبين ذلك فيما يلى :

الحيوان والجماد :

رأى كثير من الأمم أن تحاكم الحيوانات المتسببة فى إحداث بعض الجرائم وأن تجازى على أعمالها بعقوبات لا تختلف فى نوعها وطرق تنفيذها عن العقوبات التى يؤخذ بها بنو الانسان . ومما يستوقف النظر أن انتشار هذا النظام فى الأمم المتمدينة أكبر من انتشاره فى غيرها . بل الحق أننا لم نعثر عليه فى أوضح أشكاله إلا عند شعوب تعد من أرقى الشعوب حضارة وأمجدها تاريخاً وأكثرها علوماً وأبلغها أثراً فى تكوين مدنياتنا الحاضرة : عند العبريين واليونانيين والرومان وأمم أوروبا الحديثة من القرن الثالث عشر إلى أوائل القرن التاسع عشر .

العبريون . — قررت كتب اليهود المقدسة عقاب الحيوان فى حالتين : الحالة الأولى واردة بسفر الخروج فى الآيتين الثامنة والعشرين والتاسعة والعشرين من السورة الحادية والعشرين ، ونصهما : « إن نطح ثور رجلا أو امرأة وأفضى ذلك إلى موت المنطوح عوقب الثور بالقتل رجما وحرم أكل لحمه ولا يعاقب مالكه . وهذا إذا لم يكن الثور معتادا النطح . فان كان قد اعتاده من قبل وأنذر الناس صاحبه ولكنه لم يعبأ بإنذارهم وأهمل رقابته حتى سبب قتل رجل أو امرأة حكم على الثور بالرجم وعلى صاحبه بالقتل . . . الخ » — والآيتان صريحتان فى اعتبار الحيوان مجرما ومسئولا عن جرمه وفى اعتبار رجمه عقوبة قضائية بالمعنى الكامل

لهذه الكلمة — والحالة الثانية واردة بسفر اللاويين فى الآيتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة من السورة العشرين ، ونصهما : « إن زنى رجل ببهيمة حكم على كليهما بالموت . وإن ارتكبت امرأة الزنى مع حيوان وجب قتل المرأة والحيوان » . وليست هاتان الآيتان بأقل صراحة من الآيتين السابقتين فى المعنى الذى نريد تقريره . وبخاصة بعد أن فسر كتاب المشناة كلمتى « الموت والقتل » الواردتين فيهما بالرجم .

الاغريق — حرص قدماء اليونان فى نظمهم القضائية أيما حرص على القصاص من الحيوانات والجمادات المتسببة فى قتل إنسان . وقد حداهم حرصهم هذا على إنشاء محكمة مستقلة بأثينا (عرفت باسم البريتانيون . تسمية لها باسم المكان الذى كانت تعقد جلساتها فيه) مقصورة على النظر فى هذا النوع من الجرائم . وعلى الرغم من أننا نجهل تاريخ إنشاء هذه المحكمة ، فانه من الثابت أنها كانت موجودة قبل دراكون (القرن السابع ق م) ، وأن هذا الشارع قد احتفظ بها ولم يغير شيئا جوهريا من وظائفها ونظمها ، وأنها بقيت إلى العصر الذى فتح فيه المقدونيون بلاد الاغريق (القرن الرابع ق م) . فقد ذكرها ديموستين (٣٨٤ — ٣٢٢ ق م) فى حديث يدل على وجودها فى عصره حيث قال : « لو سقطت صخرة أو قطعة حديد أو خشب على شخص فقتلته وجب أن تقام عليها الدعوى أمام محكمة البريتانيون » . ويفهم مما كتبه أرسطو بهذا الصدد أنه كان يحاكم أمامها كذلك الحيوانات المتسببة فى موت إنسان . وأنها كانت تحكم عليها بالاعدام قصاصا . على حين أنها كانت تقضى على الجمادات القاتلة بالنفى أى بالقائها فى خارج حدود البلاد — وذكر أفلاطون فى كتابه القوانين ما نصه : « إذا قتل حيوان إنسانا كان لعاقلة القتيل الحق فى إقامة دعوى عليه (على الحيوان) أمام القضاء مالم يكن القتل نتيجة مبارزة بين الحيوان والشخص فى مسرح الألعاب العمومية . ويختار أولياء الدم القضاة من الزراع . ولهم أن يختاروا منهم أى عدد يشاءون . وإذا ما ثبتت جريرة القتل على الحيوان وجب قتله قصاصا

وإلقاء جثته فى خارج حدود البلاد . وإن تسبب جماد (غير الصواعق وماإليها من الأمور التى تقذف بها يد الآلهة) فى موت إنسان ، سواء أكان ذلك بوساطة شخص آخر قذف به أم بغير وساطة ، اختار أقرب الناس إلى القتيل قاضيا من جيرانه ليحكم على الجماد أن ينبذ فى خارج الحدود » .

الرومان . — قد عثر فى أقدم قوانين روما على تشريع منسوب إلى نوما بومبيليوس (ثانى ملوك الرومان السابقين للتاريخ ٧١٤ — ٦٧١ ق م) يقضى بعقوبة الاعدام على الثور وصاحبه اللذين يتسببان فى أثناء حرثهما فى نقل الحد الفاصل بين الحقل المحروث والحقل المجاور له . ولا غرو ، فقد بالغ الرومان فى تقديسهم لحدود الحقول حتى ظنوا أن ثمت إلها خاصا لاوظيفة له غير حراستها وحمايتها ضد المعتدين . فنقلها من أماكنها لم يكن اعتداء على صاحب الحقل فحسب ، بل كان كذلك جريمة دينية موجهة إلى شخص الاله الحارس . ومهما يكن من شىء ، فالذى يهمنا هو اعتبار الثور فى نظر هذا التشريع مسئولا عن الجرم الذى اشترك فى إحداثه وأهلا لأن تطبق عليه نفس العقوبة التى توقع على الأناسى .

على أننا لسنا فى حاجة إلى الرجوع إلى أقدم قوانين الرومان لاثبات مسئولية الحيوان عندهم ، فقد قررت جميع قوانينهم « الكلاسيكية » أن لمالك البهيمةالخيار ، إن ارتكبت ما أفضى إلى الاضرار بانسان ، بين أن يسلم البهيمة للمجنى عليه يتصرف فيها كما يشاء أو يدفع الغرم المقرر . وإن إلماما بسيطا بروح القانون الرومانى لكاف فى إدراك أن تسليم البهيمة فى هذه الحالة لم يقصد منه أن يكون تعويضا ماليا معطى للمجنى عليه بل عقوبة قضائية موقعة على البهيمة .

الأمم الأوربية الحديثة — كانت فرنسا أول أمة أوربية مسيحية رأت مسئولية الحيوان الأعجم ومعاقبته بجرمه أمام محاكم منظمة وبنفس الطرق القانونية المتبعة فى مقاضاة الانسان . وقد ظهر هذا النظام لديها أوائل القرن

الثالث عشر الميلادى ، ثم انتقل إلى سردينيا فى أواخر القرن الرابع عشر ، فالى بلجيكا فى أواخر القرن الخامس عشر ، فالى هولندا وألمانيا وإيطاليا والسويد فى أواسط القرن السادس عشر ، ثم إلى انجلترا فى القرن الثامن عشر ، وظل العمل به قائما عند طائفة من صقالبة الجنوب حتى القرن التاسع عشر الميلادى.

ويؤخذ مما كتبه « فون أميرا » أن التسبب فى القتل كان أظهر جريمة يقدم بها الحيوان إلى ساحة القضاء . وأن المالك كان يشهد المحاكمة مدافعا عن المتهم ، وأن المدعى كان فى الغالب النائب العمومى نفسه وأحيانا المجنى عليه . وأن شكل تنفيذ العقوبة كان مطابقا كل المطابقة لشكل تنفيذها فى الأناسى ، حتى لقد كان يحكم على الحيوان عند الحاجة بالحبس الاحتياطى ؛ وأنه فى حالة إدانة الحيوان كان يحكم عليه بالاعدام وينفذ ذلك على مشهد من الجمهور ، وأن الاعدام كان تارة بالشنق وأحيانا بالرجم وآونة بالحرق . . . الخ .

هذا ، وإن نظرة عجلى فى أسباب الأحكام الصادرة ضد هذه الحيوانات لا تدع مجالا للشك فى جدّية هذه القضايا ، فكثيرا ما نعثر فى نصوص هذه الأحكام على مثل العبارات الآتية : « نحكم باعدامه تطبيقا للقانون » ، « قضينا عليه بالاعدام جزاء بما كسب » . . . .

وقد أجاز معظم قوانين الأمم الأوروبية الحديثة للقضاة عند عدم العثور على مرتكبى بعض الجرائم أن يأمروا باقامة تماثيل لهم وأن ينفذوا فى هذه التماثيل نفس العقوبات التى يرون القضاء بها على أصحابها . وظل هذا النظام سائدا طوال القرون الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر الميلادى . وهذا يدل على أن الروح القضائية فى هذه العصور كانت ترى صلاحية الجماد لاحتمال التبعة أو على الأقل لاحتمال العقوبة .

وقد عثر على نظم شبيهة بالنظم السابقة عند بعض أمم غير متمدينة ؛ وإن كان انتشارها لديها أقل كثيراً من انتشارها بين الشعوب المتمدينة كما ألمعنا إلى ذلك فيما سبق . وأشهر حالة يعاقب فيها غير الانسان عند الأمم غير المتمدينة

هى التى رواها « فان جينيب » عن سكان جزيرة مدغشقر حيث قال :

يعتقدأهل مدغشقر أن التماسيح قد تعاهدت قديما مع بنى الإنسان وأقسمت لهم أيماناً مغلظة ألا تأكل لحومهم . فى حالة الحنث بهذه الأيمان ، أى فى حالة اعتداء أحد التماسيح على إنسان ، يذهب رئيس قبيلة المجنى عليه ،أو فى حال غيبته أحد شيوخها الحافظين لتقاليدها ، على رأس وفد من الرجال والنساء إلى شاطىء البحيرة التى ارتكبت فيها الجناية ، حيث يقرر الدعوى . ويسرد عناصر الاتهام، مؤنبا التماسيح لحنث أحدهم بيمينه ، ويأمرهم أن يسلموا الجانى بإرغامه على الدخول فى الشبكة . ثم يلقى الشبكة بالبحيرة وبها فخذ ثور . ويقفل هو ومن معه راجعين إلى منازلهم . وهناك يأخذ الرجال فى إعداد حبال وثيقة وأوتاد حادة ، والنساء فى غزل خيوط الحرير . فاذا ما كانت صبيحة اليوم التالى رجع الوفد إلى البحيرة تحمل رجاله حبالهم وأوتادهم ونساؤه خيوطهن الحريرية . ثم يخرجون الشبكة فيجدون بها أحد التماسيح ، فيعتقدون أنه الجانى وأن التماسيح قد أسلمته وتبرأت من جريرته وأباحت لبنى الانسان القصاص منه . فلا يكاد يتجاوز سطح الماء حتى يستقبله أفراد الوفد بهتافات السخرية والازدراء . ويسحبونه على الأرض حتى يبلغوا به متسعا من الفضاء فينقض عليه الرجال ويشدون وثاقه بالحبال التى يحملونها. وعندئذ يشرع القاضى فى تلاوة أسباب الاتهام ويبدى أسفه لاضطراره إلى عقوبة فرد من أفراد التماسيح الذين تربطه بهم رابطة القرابة ، ثم يقضى عليه بالموت ، فيندفع نحوه الرجال فرحين مغتبطين ويأخذون فى تمزيق جسمه بالأوتاد الحادة التى بأيديهم . وما هى إلا دقائق حتى يصبح جثة هامدة . غير أنه لا يكاد يلفظ النفس الأخير حتى يتغير المنظر ، فيتملك الحزن والأسى جميع الحاضرين وتتدفق عبراتهم ويشتد نحيب النساء ويعلو صراخهن وعويلهن ثم يتقدمن نحو الفقيد ناشرات الشعور ويكفنه بخيوط الحرير التى أعددنها لذلك . ثم يحمل إلى مقره الأخير مشيعا بالعبرات التى تشيع بها الأسرة من تفقده من أفرادها الأعزاء.

☆ ☆

جثث الموتى :

من أشهر الجرائم التى كانت تعرض جثث مرتكبيها للعقوبة بعد موتهم جرائم الانتحار والقتل والخيانة الوطنية والاعتداء على الملوك وعلى رجال الدين . فقد قضت طائفة من قوانين الأمم القديمة بمحاكمة المنتحر وعقاب جثته بالتقطيع او استئصال الرأس أو الحرق أو الحرمان من الدفن ومن الطقوس الدينية . - وقرر القانون الصينى القديم (تاتسنج لو لى) بالفصل ٢٨٤ « أن قاتل أبيه إذا مات فى السجن قبل أن يقتص منه تعاقب جثته بنفس العقوبات التى كان يجب القضاء بها عليه لو كان حيا ، وذلك بأن تقطع إربا إربا وتجتث رأسها » : ويظهر أن الصينيين يقصدون بمثل هذه العقوبات تعذيب الروح لاعتقادهم أن الروح لا تبقى هادئة سليمة إلا إن كان جسم الميت كاملا غير منقوص . وذكر « ديودور » فى أثناء كلامه عن التقاليد القضائية لقدماء المصريين أن جثة كل ميت كانت تقدم أمام المحاكم الكهنوتية وأن هذه المحاكم كانت تقضى بحرمانها من الدفن إن ظهر لها أن صاحبها قد ارتكب فى حياته جريرة لم يعاقب عليها . وروى « بلوطارخوس » أن بطليموس الرابع قد حكم بالصلب على جثة ملك اسبرطه كليومين الذى كان قد لجأ إلى الاسكندرية ثم أخل بواجب الضيافة ، إذ اشترك فى ثورة مصرية ضد الملك وعثر على جثته بعد تغلب جنود بطليموس على الثائرين ، وأن سيروس أحد ملوك فارس قد قضى أن تقطع إربا إربا جثة أخيه القتيل فى حرب أهلية أثارها للاستيلاء على العرش . وتقضى قوانين قدماء الاغريق أن من يرتد عن دينه أو يرتكب خيانة وطنية ثم يموت قبل أن يعاقب يحكم على جثته بالنفى أى بالقائها فى خارج الحدود . فإن دفنت خطأ فى داخل الحدود وجب نبش القبر و إخراجها لتنزل بها العقوبة السابقة .

على أننا لسنا فى حاجة إلى الرجوع إلى تلك الأمم القديمة بهذا الصدد . فقد ظلت محاكم فرنسا تطبق عقوبات على جثث الموتى طوال القرون الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر وصدر القرن الثامن عشر الميلادى . غير أن قدر هذه العقوبات ونوعها والحالات الذى تنفذ فيها . . . كل ذلك لم يكن خاضعا

لقوانين ثابتة مضبوطة بل كان متروكا لاجتهاد القضاة وتقديرهم ، حتى صدَر عام ١٦٧٠ أمر ملكى بألا تنزل عقوبة قضائية بجثة ميت إلا إن كان صاحبها قد ارتكب إحدى هذه الجرائم الخمس ومات قبل أن يقتص منه : الاعتداء على كبار رجال الكنيسة أو على القوانين التى تسنها ، خيانة البلاد ، الاعتداء على شخص الملك ، الانتحار ، التمرد على أوامر الحكومة إذا صحبه استخدام القوة . وقد جرت عادة القضاة فى هذه العصور أن يأمروا بتعقيم الجثة إن ظنوا أن التحقيق سيستغرق زمنا طويلا ، حتى يمكنهم إذا رأوا الإدانة أن ينزلوا العقوبة بجسم سليم لم تتحلل منسوجاته : وإن كانت الجثة بحالة لا تمكن معها أن تترك بدون دفن ، أمر بدفنها مؤقتا ثم باخراجها وإنزال العقوبة بها إن ثبتت إداتها . وتقتضى العقوبة التى كانت توقع عادة على جثة الميت أن تشد إلى سارية من الحديد أو الخشب وينكس وجهها ناحية الرغام وتجرها الخيول بطرق المدينة الكبيرة وميادينها ثم يقذف بها فى المواطن التى تلقى فيها جثث الحيوانات النافقة .

المجانين :

يقضى قانون العقوبات الصينى أن يحكم على المجنون بالسجن المؤبد مكبلا بالحديد إن قتل إنسانا غير أبيه وأمه ، وبالاعدام إن جرح أحد أبويه ، ويجوز للامبراطور فى هذه الحالة أن يستبدل بعقوبة الاعدام عقوبة أخف منها ، وبتقطيع جسمه إربا إربا إن قتل أباه أو أمه . وفى أواخر القرن الثانى الميلادى أصدر « مارك اوريل » امبراطور الدولة الرومانية الغربية أمرا يحظر عقاب المجانين ؛ وهذا يدل على أن المحاكم الرومانية كانت تعاقبهم قبل هذا الأمر . وفى القرن الثامن عشر الميلادى كانت المحاكم الفرنسية تنزل بالمجانين المجرمين نفس العقوبات التى تحكم بها على العقلاء تاركة للبرلمان الحق فى تخفيف هذه العقوبات أو فى العفو المطلق ، مالم يكن المجنون قد ارتكب إحدى الجنايات الخمس التى كانت تبيح عقاب جثة الميت والتى ألمعنا إليها فيما سبق ، فى هذه الحالة لا يكون للبرلمان الحق فى تغيير حكم القضاء . وذكر « مودسلى » أن القوانين الانجليزية القديمة كانت

تشترط فى المجانين الذين لايسوغ عقابهم شروطا لم تتوافر ولا يمكن توافرها فى أى مجنون .

⁂

الاطفال :

يقرر قانون العقوبات الصينى أن من يرتكب خيانة ضد بلاده أو ضد الامبرطور يصبح هو وجميع أفراد أسرته مسئولين أمام القضاء ، ويقضى بانزال عقوبة الاعدام بالخائن نفسه وعقوبة الرق والخصاء بأولاده الذكور والرق فقط بأولاده الاناث ، سواء فى ذلك صغيرهم وكبيرهم . وكثير من النصوص الاغريقية تدل على أن قدماء اليونان كانوا يعاقبون الأطفال المرتكبين لبعض الجرائم . فقد قرر « أفلاطون » أن الطفل المتهم بالقتل يعاقب بالنفى سنة ، وفى حالة هربه من المنفى يعاقب بالحبس سنتين . وروى « زينوفون » أن المحاكم الاسبرطية قد عاقبت طفلا بالنفى لقتله زميلا له خطأ . وقرر القانون الرومانى القديم (شريعة الألواح الاثنى عشر) أن الطفل إذا قبض عليه وهو متلبس بجريمة السرقة حكم عليه بالجلد : وفى انزال العقوبة به ما يدل على اعتباره مسئولا عن جريرته . ـ وكثير من قوانين القرون الوسطى يعاقب الأطفال إذا ثبتت إدانتهم فى جريمة القتل العمد : فقوانين الدنيمارك تقضى عليهم بالاعدام . وقوانين النرويج بالنفى من أرض البلاد . وفى سنة ١٤٥٧ قضت المحاكم الانجليزية بالاعدام على طفل فى الرابعة من عمره . ـ وفى القرن الثامن عشر أصدرت المحاكم الانجليزية أحكاما بالاعدام على أطفال صغار لادانتهم فى جريمة القتل أو فى جريمة التسبب فى الحريق .

⁂

الخلاصة :

ومن هذا يظهر أن دائرة المسئولية الجنائية كانت واسعة النطاق عند الأمم القديمة ولا تزال كذلك عند الشعوب غير المتمدينة : تشمل الحيوان والجماد كما

تشمل الانسـان ، وتتعلق بجثث الموتى كما تتصل بأجسام الأحياء ، ويؤخذ بها المجانين كما يؤخذ بهـا العقلاء ، ويستوى فيها الأطفال والمكلفون . ثم أخذت تضيق شيئا فشيئا حتى أصبحت فى شرائع أممنا المتمدينة الحاليـة مقصورة على الانسان الحى العاقل المكلف .

غير أنه بالتأمل فى النظم التى تبيح معاقبة الحيوان والجماد وجثث الموتى والمجانين والأطفال نجد أنها لا تأخذهم إلا بطائفة معينة من الجرائم : وبالتأمل فى تلك الجرائم الخاصة التى كانوا يؤخذون بها نرى أنها تنحصر فى الجرائم الكبرى التى تعتبرها الأمة مهددة لكيانهـا الاجتماعى أو لنظمها السياسـية أو لتقاليدها الدينية ، وذلك كخيانة البلاد والاعتداء على أشخاص الملوك والتمرد المصحوب باستعمال القوة ضد السلطة الحاكمة والارتداد عن الدين والقتل والانتحار . . . . وما إلى ذلك من الجرائم التى يزلزل من وقعها الضمير الجمعى وتستفز الأمة وتثير غضبها وتأبى عليها إلا أن تثأر لنفسها ، فتفرغ جام عقابها على المتسبب فى إحداث الجريمة أيا كان نوعه ، إنسانا كان أم حيوانا أم جمادا ، حيا كان أم ميتا ، عاقلا كان أم مجنونا ، مكلفا كان أم قاصرا : تهدىء بذلك سورة غضبها وترهب الأفراد وتشعرهم بصرامتها حيال هذه الجرائم وبقسوتها على مرتكبيها وبعدم استعدادها لغفرانها أو للتساهل فيها .

وصفوة القول : لم يكن عقاب بعض الأمم للصبيان والمجانين وجثث الموتى والحيوانات والجمادات ناشئا عن جهل بأن هذه الأشياء لا تستحق العقوبة ، وإنما كان الدافع عليـه عظم الجريمة وشدة وقعها ورغبة الأمة فى انتقامهـا وإظهار حرصها على الثأر ممن تحدثه نفسه بارتكاب مثلها .

على عبد الواحد وافى
ليسانسيه ودكتور فى الآداب من جامعة باريس

ديوان الاطفال

فى معسكر الكشافة (وقد ناموا الا الحارس)

الحارس

ذئب أتى يا رفقتى   يبغى الفساد فى السكن

أحد الرفاق

ماذا يقول الحارس   وكل حى قد سكن

الحارس

تيقظوا ولا تنـــوا   ودافعوا عن الوطن

الرفيق صارخا

يا رفقتى يا رفقتى   ذئب أتى للخيمـــة

(يستيقظون)

فلتخرجوا من فوركم   لتجمعوا من أمركم

(يخرجون سراعا)

الحارس

هـا هو الذئب اللعين   رابضا خلف الكمين

يرقب الفرصة فيكم   فاجعلوها لا تحين

الجميع يصيحون

هـا قد أخذنا حذرنا   متأبطيـــن عصينا

فليذهبن من حَيِّنا   نسل الذئاب الخائنين

(يهرب الذئب من الضجة)

(الجميع فى فرح وسرور)

هو قد جرى من جمعنا ومن اتحاد صفوفنا
قد كان يبغى ضرنا لو دب ذعر بيننا
أو كان فرق شملنا شكرا لرب العالمين

(الجميع يشكرون الحارس)

يا حارسا أنقذتنا نبدى إليك سرورنا
كم قد سهرت لأجلنا حتى تخطانا الخطر

الحارس

يا رفقتى أهلا بكم فالنصر مرجعه لكم
والذئب هاب جموعكم وبذاك قد نلنا الظفر

(الجميع فى حماس)

يحيا التعاون بيننا يحيا التضامن والوئام
لا شئ يعلى قدرنا إلا المحبة والسلام

الرحمة

من للفقير البائس بمأكل وملبس ؟
وإن بكى أو اشتكى فمن رثى للبائس ؟
وإن شكا آلامه فهل يرى من مؤنس ؟
من ذا يعول أمره إن بات رهن المحبِس ؟
إليك منى درهما يمسح دمع اليائس

خالد الشامى

البكور

قبيــل الفجر توقظنا طيور الدار والشجر
يصيح الديك من فرح لأن الليــل فى سفر
تجــاوبه دجاجات كأهل الدف والوتر
وكل الطير فى طرب بألوان من السحر
فهل يحــلو لنا نوم ولو كنا على سهر ؟

خالد الشامى
ناظر مدرسة المعلمين بأسيوط

آيات المبدع

هل شهدتَ الليــل يمسى لابســا ثوب الحزينْ
يملأ الأرجاء رُعبــا ثم يَمضى فى سُكونْ

هل شهدتَ الشمس تضحى فى جمالٍ وبهــاء
تملأ الدنيَا حيــاةً ثم تمضى للفنــاء

هــل تأمَّلْتَ سماء صفَّفَتْ فيها النجومْ
لم تؤســس بعمادٍ حيرت منا الفهومْ

هــلْ رأيت البحر تبدو فيــه فلك جارياتُ
فيــه ماء وغذاء فيــه موتٌ وحياةُ

هــل نظرت الطير يوماً راكباً متن الهواءِ
باكياً طوراً وطوراً منشــداً حلو الغناءِ

كلّ ما ألقى عجيب محكم الصنع متينْ
خلْق ربى فيــه ذكرى وعظات العالمينْ

محمد عبد المنعم سالم

الجندى

أنا جُنديٌ شجاعٌ عن حمى مصر أناضلْ
مثل رمسيس ومينا مثل أجدادِى الأوائلْ

لست أنسَى مجد مصر والملوك الأوَّلينْ
هـذه الأهرام فيها ذكريات الذاكرينْ

إنْ أكن فى السلم إنساً إننى فى الحرب جنْ
مصر أفديها بجسمى وبروحى لا أضنّ

اسألوا عند الحديقة ذلك الشهْمَ الهُمَام
اسألوا عنى «كريتاً» واسألوا هذا الحُسَام

وارقبوا أجناد مصرٍ والأعادى تستجيرْ
نحن فى البرّ أسودٌ نحن فى الجو نسورْ

إن نكنْ نمنا قليلا سوف يغدو الانتصارْ
فاهتفوا أبناء مصرٍ واذكرونا بالفخارْ

محمد عبد المنعم سالم
المدرس بالمدارس الابتدائية

المكتبة العربية

فوق العباب

ديوان شعر للدكتور أحمد زكى أبى شادى

تصوفت فى فصول العام أجمعها ... حتى الربيع وحتى الصيف أرضاها
ففى الربيع معان من تيقظها ... ومن مناجاة من بالحب ناجاها
ويجمع الصـــيف ألوانا تعذبها ... من التحرق فى ترديد نجواها
حين الخريف صلاة كلها لهف ... وكلها شغف ما كان لولاها
بينا الشتاء صيام ، فى تجرده ... أبهى التصوف ، أسماها وأغناها !

هذا هو وصف الشاعر للطبيعة فى تصوفها النشيط الدءوب . وإخاله وصفا صادقا للشاعر نفسه فى تصوفه النشيط الدءوب . فالطبيعة — فى رأى الشاعر — متصوفة ولكنها عاملة ، متعذبة ولكنها مضطلعة ، إذا استيقظت فى الربيع ، فإنما تستيقظ لمناجاة من بالحب ناجاها ، وإن اكتمل شبابها فى الصيف فلكى تردد فى أنفاسها الحارة نجواها ، وهى فى الخريف تتعبد مصلية (كأنما تستغفر الله عن ترفها فى الربيع والصيف) ، وهى فى الشتاء صائمة متجردة من زينة الحياة الدنيا .

والدكتور أبو شادى تراه فتخاله صامتا صمت الطبيعة فى الشتاء ، ولكل عقل شتاء ، ولكنه كشتاء الطبيعة ، لا تموت فيه ولكن تستجمع قواها . وشتاء هذا النوع من العقل أقصر من شتاء الطبيعة فى مصر ، ولكنه أجدى على ربيع الأدب من شتاء الطبيعة على ربيع الطبيعة . وليس أدل على ذلك من أن الأشهر القليلة — أستغفر الله بل الأسابيع القليلة — التى يخيل للقراء أنها شتاء لعقل أبى شادى ، لا تنتهى إلا بربيع ممرع ، يثرى به الأدب والشعر . بله فروع الحياة الأخرى التى يجول فيها الأستاذ جولات صادقة .

وبين يدى الآن « فوق العباب » ديوانه الأخير — أقصد آخر ديوان صدر

له حتى الآن ، لأنى أرجو ألا يكون ديوانه الأخير إلا بعد عمر طويل .

وللديوان تصدير بقلم الشاعر يقع فى ست عشرة صفحة . ولست أدرى أمما يسهل عمل الناقد أم مما يعقده أن يكون للديوان مقدمة طويلة كهذه بقلم صاحب الديوان ، ولكن الذى أخشاه أن هذه المقدمة ستثقل كاهلى بمناقشة آرائها إلى جانب مناقشة آراء الديوان نفسه .

الشعر والموسيقى

يقول الدكتور أبو شادى عن الشعر الموسيقى (ص ب) : « ينادى المنادون من أصدقائنا المحافظين وأنصاف المجددين بأن الشعر « موسيقى » قبل كل اعتبار آخر ، ونحن لا نفهم من الشعر إلا أنه « شعر » قبل كل اعتبار آخر ، وليس معنى هذا أننا نكره اقتران الشعر كفن بفنون أخرى وفى مقدمتها الموسيقى ، ولكننا نأبى تبعية الشعر لأى فن سواء وإن رحبنا بمزاملته غيره من الفنون الملائمة له . » ونحن نؤيد الأستاذ فى هذا الرأى إلى درجة كبيرة ، فجلال الشعر ينبغى أن يصونه عن مركز التابع ، ولكننا نرى أن الصبغة الموسيقية من ألزم صفات الشعر الجيد. وبعبارة أخرى نشترط أن يكون للشعر فكرة ، وموسيقى . فاذا خلا منهما لم يكن شعرا البتة ، وإذا خلا من إحداهما كان شعرا ناقصا . لذلك لا نستطيع أن نذهب إلى الحد الذى ذهب إليه الأستاذ حين يقول (ص د) : « وكم من جنايات على الشعر يرتكبها باسمه أولئك المزماريون الذين ليس لهم حظ كبير من الطاقة الشعرية وإنما كل حظهم محصور فى قدرتهم الموسيقية ! فيشجعهم تصفيق الجمهور الذى يستهوونه على العبث بتعريف الشعر وأغراضه ؛ ولا يغنم الأدب الصحيح منهم شيئا ، بل هم يسيئون اليه بصرف المتأدبين عن إنتاج أعلامه المنجبين الحريصين على استقلاله . لا نذهب إلى هذا الحد مع شاعرنا النابغة ، لأن الشعر لسان الوجدان كما هو لسان الفكر . ولعله لسان الوجدان أكثر مما هو لسان الفكر . وموسيقية الشعر عامل من أقوى عوامله على التأثير فى الوجدان السليم . وكثيرا ما يؤدى خلو الشعر من الموسيقى إلى غمط أفكاره الجيدة التى لو سرت فيها الموسيقى لبعثت فيها الحياة . لقد استشهد الدكتور أبو شادى – فى هذا الصدد – بشعر جليل لأبى تمام ، قال عنه إنه شعر جيد على الرغم من خلوه من الموسيقى :

ديمة سمحة القياد سكوب مستغيث بها الثرى المكروب
لو سعت بقعة لإعظام نعمى لسعى نحوها المكان الجديب
لذّ شؤبوبها وطاب فلو تسـ ـطيع قامت فعانقتها القلوب
فهى ماء يجرى وماء يليه وعزال(١) تَنْشى وأخرى تذوب

ولكننا نخالفه فى خلو هذا الشعر من الموسيقى . فنى ألفاظ القطعة ونسجها موسيقى عذب ، انظر إلى العبارات : « ديمة سمحة القياد سكوب » وكذلك « لذ شؤبوبها وطاب فلو تسـ ـطيع قامت فعانقتها القلوب »

ثم اقرأ البيت الأخير فهو يسيل رقة وعذوبة وموسيقى :

فهى ماء يجرى وماء يليه وعزال تنشا وأخرى تذوب

ولعل أبلغ ما نرد به على الدكتور فى موسيقية الشعر ما كتبه هو نفسه فى تحديد « رسالة الشاعر » (ص ٨) :

مرحبا بالنشيد بعد النشيد فى معان من الزمان المديد
ومعان تزف للزمن الآ تى . ألسنا له جدود الجدود ؟
هات ياصاحبى أغانيك ألوا نا فانا بحاجة للمزيد
هات من كل لوعة وغرام خمرة عطرت بورد الخدود
إنما نحن فى قيود وفقر لشعور يفكنا من قيود
لسرىّ الأشعار من كل ناى وأغانى فردوسنا المفقود

. . . .

صور حولنا لصفو وبثّ فى حنو يخال مثل الصدود
فاذا الشعر من يترجم عنها عازفا للورى أمانى الخلود
وإذا الشاعر الذى يحسن الفن حرى بمجدنا المنشود

أرأيت ياصديقى الدكتور أن تصويرك لرسالة الشاعر لم يختلف عن رأينا ؟ فأنت تطلب من الشاعر الذى يحسن الفن أن يغنيك ألوانا من كل لوعة وغرام .

---

(١) جمع عزلاء ، وهو مصب الماء من الراوية .

وأنت ترانا فقراء لشعور يفك من قيودنا . فقراء لسرى الأشعار تنبعث من الناى . فقراء إلى أغانى فردوسنا المفقود . وأخيراً تقول . إن الذى يترجم عن الصور التى حولنا من صفو وبث إنما هو الشعر عازفا للورى أمانى الخلود . فهل بعد هذا تعلق بالموسيقى ولزومها للشعر ؟

وإذا أردنا أدلة أخرى على صدق رأينا ألفيناها كثيرة فى نفس الديوان . استمع إلى الشاعر حين يتحدث عن النيل (ص٢٦) فتتدفق الموسيقى فى شعره تدفق الماء فى النهر :

ينساب فى دعة ، لكنها دعة فيها سماحة غلاب وقهار
والماء ينصب كالتاريخ منبسطاً للقارئين ويشجى الشاعر القارى
تفيض أمواجه جياشة أبداً بالفتح لا شعُثا أنضاء أسفار
بين المعابد والآثار زاخرةً ياطالما عُبدت فى ظل آثار

وإذا أردنا دليلا على أن الشعر مهما سمت أفكاره ، لم يكن شيئا مذكورا إذا لم تتخالله الموسيقى ، ألفينا ذلك أيضا فى الديوان (ص ٦)

إلى الشاكين :

شكوت كما تشكون من زعمائنا وقد كثروا لكن مآثرهم قلّتْ
فهلا شكونا من تهاون أمة ؟ وهل هى خافت فى المعارك أم ملّتْ
أينتقد القُوّاد والجند محجم عن الحرب؟أم هذى موازيننا اختلّتْ

فهذه القافية النابية عن الموسيقى يغص بها القارىء ، ولا شك أنها تنزل بالشعر من درجته .

هدهد الشاعر

ومن أروع القطع التى قرأناها فى الديوان قطعة « الهدهد فى القرية » (ص٢٢) ولعل الأفضل أن نتركها تتحدث عن معانيها وجمالها :

مرحبا بالهدهد الوافى الأبر ملأ القرية حسنا وخطر

عـد كل النـاس أتباعا له غير أهل الشعر أو أهل الصور

٭ ٭ ٭

جمـع الأصباغ في زينتـه من حلى القوس ومن وحى السحر
ثم ولى منبئـا رفقتـه فاذا هم ملء فكرى والنظـر
لابسو التيجان أبهى زينـة من نضار هو أضغاث البشر
عن « سليمان » لهم حكمتهم حينما عافوا الغـرور المحتقـر
وأبَوا تيجان تـبر مرهق فاذا التيجان ريش وشعـر

وما زال الشاعر بهدهده حتى جعله رمز التقوى والإيمان :

لك دين أوحـدى خالد حينما المؤمن منـا قد كفر !

ويذكرنى البيت الأخير بيتا لشاعر الريف محمود حسن اسماعيل فى آخر قصيدته « البومة والملحد » حيث يقول :

ألحدتِ بالنـور وكل الورى لولاه ما خفـوا إلى مورد
حياتهـم من لحـه ومضـة لولاه لم تخلـق ولم توجـد
إن عز فى الدنيا دليـل الهـدى فحسبكِ اليـوم تقى الهدهد .

ومن الانصاف للشاعرين أن نعترف بأن الديوانين قد صدرا فى وقت واحد (أول يناير سنة ١٩٣٥)

في المحكمة الشرعية

ونريد أن نقف مع الشاعر وقفة قصيرة فى « المحكمة الشرعية » ! ففى هذه القصيدة (ص ٥٤ — ٥٥) قد عبر الشاعر عن شعوره وهو يشاهد المحكمة الشرعية ، وما فيها من بؤس وشقاء :

يا ليتنى فى فضولى لم أطع قدمى ! يا ليتنى ! كم أعانى الآن من ألم
إن أنس لا أنس سوقا لا تباع بها غير الكرامات والأخلاق والذمم
حيث النساء ضحايا فى جوانبهـا وفى مسالـكها فى ذلة الرمم

وهو يصور لنا المرض الاجتماعى والمادى فيقول فى الأول :

حيث السماسرة المرهوب جانبهم ما بين بائسة تدمَى ومتهم
يضاعفون من الويلات أسقمها ويؤجَرون على الويلات والسّقم

في كل ركن صراخ لامثيل له وفى التراب عزيز الوعد والقسم

ويقول فى المرض المادى :

وكل طفل يتيم دون ميتمة لكنه فى شقاء صورة اليتم
وللذباب ألاعيب منوعة عليه لاينتهى منها إلى سأم
والخبز غطته دون الأدم أتربة كأنما هى ألوان من الأدم
والمرضعات بأثداء مجعدة من سورة الجوع والأحزان والألم

كل ذلك تصوير للواقع ، وشعر حساس للبيئة يترجمها ويشكو بلسانها ، ولكن الشاعر قد أقام نفسه محامياً للمرأة فى هذه « المحكمة » ولم يظفر منه الرجل بنصيب من دفاعه عن بعض مايصيبه . ولا شك أن الشاعر يوافقنا على أن بعض الرجال مظلومون فى الأخذ بتلابيبهم إلى المحكمة . وإن فيما نقرؤه من أخبار الصحف وما يحدثنا به بعض المحامين لما يقنع بأن المرأة ليست دائما مظلومة . غير أنه يظهر أن ضعف المرأة هو الذى استدر عطف الشاعر فقال :

دار العويل ودار المشجيات ، وما أقسى العويل بدار العدل فى الظلم
ممن يطالبن بالقوت الضئيل وما ينلن إلا صنوف اللوم والتهم
يلحن أشـــباه أشباح مكفنة وكل ران إلى أكفانهن عمى
وينتهين إلى ظلم على ظلم يا أمة لم تزل من أعرق الأمم !

إلا هذا !

يجد القارىء فى (ص ٩٨) قصيدة عنوانها « ذكرى ميت غمر » ومطلعها :

إن أنس ليلة (Bella Vesta) حينما لاقى الصباح الليل بين يدينا

ومهما كانت دوافع التجديد فاننا نربأ بشعرنا وشاعرنا عن هذا الخلط وأضرابه .

وبعد فاننا نكتفى بهذا القدر . ولعل أصدق وصف لهذا الديوان هو ماقاله الشاعر نفسه فى آخر إهدائه :

بعثت به فوق العباب عواطفا تثور فثار الموج حتى تنثرا

ولا شك أن لؤلؤ البحر ينسينا صدفه .

مهدى علام

المعلم الجـــديد

مجلة تصدرها وزارة المعارف العراقية

السنة الأولى – العدد الأول

منذ نحو خمسة أعوام فكرت وزارة المعارف المصرية فى إصدار مجلة فى التربية ، لتكون لسانها الرسمى العلمى فيما ينبغى أن تنقله إلى المعلمين من الآراء الحديثة الصالحة فى شئون التعليم ؛ ولأمر ما نام المشروع . واليوم تصدر وزارة المعارف العراقية مجلة تؤدى هذا الغرض الذى فكرت فيه مصر منذ خمسة أعوام فقد جاء فى « خطة المجلة » التى صدر بها العدد الذى بين أيدينا الآن :

« أما بعد فهذه مجلة « المعلم الجديد » نزفها إلى معلمى العراق لتكون همزة الوصل بينهم وبين وزارة المعارف تودعها الوزارة الأفكار والمعلومات التى تريد أن تنشرها بين المعلمين ، والخطط والأساليب التى تعتمد عليهم فى تطبيقها ويزودها المعلمون بزبدة أفكارهم ونتائج اختباراتهم وخلاصة مشاكلهم ولتكون خير وسيلة لاطلاع المعلم على ما يقوم به زملاؤه من أعمال ، ويبذلونه من جهود لتهذيب أبناء قومهم ، ولتنقل إلى المعلم ما يقع من الحوادث ويجد من المشاريع العامة فى العراق . وما ينتجه العقل البشرى من اختراعات واكتشافات وأساليب جديدة فى الحياة ، وما يقوم فى العالم من حركات واتجاهات تهذيبية واقتصادية واجتماعية وقومية يهم المعلم الاطلاع عليها . »

وقد اشترك فى تحرير هذا العدد الدكتور محمد فاضل الجمالى مدير المعارف العام بالعراق ، وكل من الدكتور متى عقراوى مراقب التعليم الابتدائى ، والأستاذ محيى الدين يوسف مراقب التعليم الثانوى ، وغيرهم من رجال التربية والتعليم فى الحكومة العراقية .

ويظهر أن المجلة تعتمد كثيرا على الترجمة ، وهو عمل لا محيص عنه لأمة ناشئة ، ولكننا نود أن تسرع فى اجتياز هذه المرحلة لتخرج على القراء ببحوثها

الشخصية ، فيها خلاصة ما قرأ المحررون وما كسبوا من تجارب ، لتكون فائدتها أعم على العراق والعراقيين .

ولا يفوتني ، وأنا بصدد الكلام عن الترجمة ، أن أعبر عما شعرت به وأنا أقرأ هذا العدد من الحاجة الماسة إلى توحيد المصطلحات العلمية في جميع العالم العربي ، وهو عمل نرجو أن ينهض به مجمع اللغة العربية الملكي بالقاهرة . فان بعض المصطلحات الواردة في « المعلم الجديد » يكاد لا يفهمها القارئ العربي في مصر ، وهو أمر يدعو إلى الأسف حقا . وليتدبر معنى القارئ المصري المصطلحات الآتية : المحيط القرائي (أي الجو العلمي ، أو الجو الصالح للقراءة) — الفيزياء (أي علم الطبيعة) — قياس المثلثات (أي علم حساب المثلثات) — الشّكلَجة (أي علم النفس) — الفبارك (أي المصانع) — المكائن (أي الآلات)

وفي المجلة عشرات الأخطاء العربية التي لا نشك في أن إدارة المجلة ستعمل على تجنب أمثالها في الاعداد المقبلة — ونحن نعلم أن لحكومة العراق بعثة متعددة الأفراد في دار العلوم ، وقد تخرج بعضهم وعاد إلى وطنه ، ولقد توسمنا فيهم أيام تلمذتهم نبوغا وكفاءة وربما كان في ضم واحد منهم إلى قلم التحرير فائدة عظيمة للمجلة .

ونحن نرجو ألا يكون في كلمتنا هذه شيء يغضب جيراننا الأعزاء ، فانما يدفعنا حبنا لهم إلى طلب الكمال لهم . وجدير بوارثي مجد العباسيين أن يكونوا أحرص الناس على مجد العربية .

ويحملنا الاخلاص للغة وللقومية كذلك أن نسأل ملحين عن السبب الذي حدا بالقائمين على تحرير « المعلم الجديد » إلى جعل الغلاف مطبوعا من إحدى دفتيه بالعربية ، ومن الأخرى بالانجليزية . ونرجو مخلصين أن تتخلص المجلة ، من ذلك الشعار الأجنبي الذي لا نرى له ضرورة ، بل نرى فيه ضررا . وبعد فاننا نهنىء الزميلة الجديدة تهنئة خالصة ، ونتمنى لها أن توفق في أداء الرسالة التي بعثت لتبليغها .

وتقع المجلة في ١١٦ صفحة من قطع « صحيفة دار العلوم » ، وتصدر أربع مرات في السنة ، واشتراكها ١٠٠ فاس في العراق و ١٥٠ فاسا في الخارج

مهدي علام

(١) الْأُرْجَانُو

أو دستور ارسطوطاليس فى العالم العربى

ترجمته ودراسته وتطبيقه

(٢) منزلة الفارابى فى المدرسة الفلسفية الاسلامية

للدكتور ابراهيم بيومى مدكور

آية جديدة تقدمها دار العلوم ، نبوغ أبنائها فى جامعات الغرب

عاد إلى وطنه حضرة الشاب النابه الدكتور ابراهيم بيومى مدكور خريج دار العلوم العليا بعد أن قضى بفرنسا نحو سبع سنين حصل فى أثنائها من جامعة باريس على خمس دبلومات عاليـة فى المنطق والفلسفة والاجتماع والأخلاق والاقتصـاد والتربية وعلم النفس وعلى ليسانس ودكتوراة الدولة فى الآداب بدرجة التفوق الممتازة ، وأضاف إلى هذا كله دراسة القانون وحصل فيه على ليسانس من كلية الحقوق . — هذا إلى أنه قد انتهز فرصة إقامته بالغرب فأجاد الانجليزية والألمانية والاغريقية القديمة ، وانتفع بهـذه اللغات أيما انتفاع فى بحوثه القيمة التى قدمها للحصول على شهادة الدكتوراة .

* * *

تناول حضرة المؤلف فى بحوثه هذه موضوعين كبيرين من أدق موضوعات الفلسفة العربية الاسلامية فى مراحل تأثرها بالفلسفة الاغريقية القديمة ، أحدهما « أرجانو (١) أرسطوطاليس فى العالم العربى : ترجمته ودراسته وتطبيقه » ، وثانيهما « منزلة الفارابى فى المدرسة الفلسفية الاسلامية » .

---

(١) تطلق كلمة « الأرجانو » L' Organon على مؤلف كبير لأرسطوطاليس جمعت فيه بحوثه فى علم المنطق وقسم الى ستة كتب : المقولات ، القضايا أو العبارة ، القياس البرهان ، الجدل ، السفسطة . — وقد عد بعض الباحثين (وعلى الأخص فلاسفة =

وقد اعتمد الدكتور مدكور فى الموضوع الأول الذى اختاره لرسالته الأصلية على طائفة كبيرة من المؤلفات العربية والفرنسية والانجليزية والألمانية والاغريقية ، وألحق بكتابه بحثا فى التعليق على كل مرجع منها ونقده . وإن نظرة عجلى فى هذه المراجع ، التى يربى عددها على الثلثمائة والتى لا يدع تعليقه عليها مجالا للشك فى أنه قد قتلها بحثا وتنقيبا ، لكافية فى الدلالة على جلال مجهوده وإخلاصه فى العمل الذى تصدى له . ومما يزيدنا إكبارا لعمله أنه لم يكتف فيه بالمراجع المطبوعة والمتداولة بل أخذ ينقب فى مكاتب الغرب عن المخطوطات القديمة المتعلقة ببحثه ووفق إلى كشف عدد كبير منها . ومن أهم ما كشفه من هذه الطائفة مخطوطة لابن سينا فى المنطق عثر عليها فى إحدى مكاتب انجلترا وثبت له من تحرياته أنها الجزء الأول من كتاب « الشفاء » وأن الرئيس قد ترسم فيها خطوات أرسطوطاليس فى « الأرجانو » . وقد اتخذ الدكتور مدكور هذه المخطوطة أساسا لبحثه ، لما لها من صلة وثيقة بموضوعه .

والكتاب يقع فى اثنتين وثلثمائة صفحة من القطع الكبير . وقد صدر بمقدمة للعلامة الهولندى « سيمون فان دنبرغ » الأستاذ بمدرسة « الدراسات العليا بباريس » كلها اطراء للمؤلف وثناء على جهوده وتقدير لنبوغه . وبحسب دار العلوم فخرا أن يقول عالم جليل كالأستاذ سيمون فان دنبرغ فى مقدمته هذه : « إن قيمة هذا الكتاب لا تنحصر فى أن مؤلفه قد استطاع أن يقفنا فى عبارات فرنسية دقيقة واضحة على ما ترمى إليه تلك النصوص العربية الغلقة التى ضمنها فلاسفة العرب مؤلفاتهم . بل تظهر كذلك فى معالجته لهذه النصوص وتعليقه عليها ومناقشته لها مناقشة تحمل فى ثناياها أسطع دليل على علو مداركه وإلمامه الواسع بالبحوث الفلسفية والمنطقية . ولذلك أرى أن هذا الكتاب سيكون من أجل المراجع فى بحوث تاريخ المنطق » .

= مدرسة الاسكندرية) من « الأرجانو » ثلاثة كتب أخرى لأرسطوطاليس ، وهى إيساغوجى أو المدخل والخطابة والشعر . ويرى الدكتور ابراهيم مدكور أنه من الخطأ اعتبار كتابى الخطابة والشعر من « الأرجانو » ذاهبا إلى أن موضوعاتهما ليست من علم المنطق فى شىء . ورأيه هذا يحتاج إلى مناقشة سنعود إليها فى فرصة أخرى

وأما الرسالة المكملة : « منزلة الفارابى فى المدرسة الفلسفية الاسلامية » : فتقع فى خمسين ومائتى صفحة من القطع الكبير ، ولا تقل مراجعها فى عددها وقيمتها ودلالتها عن مراجع الرسالة الأصلية . — وقد درس فيها المؤلف فلسفة الفارابى دراسة وصفية تحليلية ، فجمع شتات نظرياته ، وكشف عن الدعائم المقامة عليها ، وناقشها مناقشة الناقد البصير ، ووضح مقدار تأثر الفارابى بمذهب أفلاطون وأرسطوطاليس ، وأظهر فضله فى نشر آرائهما وتهذيبها والتوفيق بينها وفصل المواضع التى تتفق فيها فلسفته مع مذاهب فلاسفة الاسلام كابن سينا والغزالى وابن رشد ، وعنى عناية كبيرة ببيان المواطن التى تختلف فيها آراؤه عن آرائهم وبخاصة فيما يتعلق بالالهيات . . . كل ذلك فى بسط ودقة ومنطق سليم وترتيب حكيم . وناهيك بمؤلف يقول فى مقدمته المستشرق الذائع الصيت العلامة ماسينيون الأستاذ « بالكوليج دوفرانس » بباريس والعضو بمجمع اللغة العربية الملكى بالقاهرة : « يقدم لنا الأستاذ ابراهيم مدكور فى مؤلفه هذا بحثاً وافيا منقطع النظير فى نظريات الفارابى الفلسفية . . . . ومما يزيد من قيمة هذا الكتاب أنه قد امتزج فى التكوين العلمى لصاحبه ثقافتان عاليتان : فقد استطاع الأستاذ مدكور بفضل نشاطه الممتاز فى سنى إقامته بباريس أن يضيف إلى ثقافته اللغوية الراقية التى حصل عليها من معهد دار العلوم بالقاهرة ثقافة غربية ممتازة وأن يسيغ إساغة كاملة كل ما يتصل بها من طرق بحث وقواعد تفكير » .

* * *

وبعد ، فقد كان بودنا أن نوفى بحوث زميلنا ما تستحقه من التحليل والنقد لولا وصولها إلينا قبيل ظهور هذا العدد وعدم اتساع الوقت لأكثر من نظرة عجلى على محتوياتها . ولذلك سنكتفى بما تقدم راجين أن نعود إلى تقديمها للقراء تقديماً يليق بمكانتها ومكانة مؤلفها الفاضل فى عدد تال إن شاء الله ؟

علي عبد الواحد وافي

بيرون

تأليف نظمى خليل

بكالوريوس فى الأدب الانجليزى

إن من أجل مايخدم به أدب أمة من الأمم ، وتثرى به مكتبتها ، أن ينقل إلى لغة تلك الأمة أدب أجنبى راق ، تطلع منه على عقول جديدة ، وخيال غريب ، وأسلوب مخالف لأسلوبها . ولقد عرف ذلك الأوربيون أنفسهم . فانى أذكر أننى غادرت لندن يوما إلى برلين ، وكانت رواية لأحد الكتاب الانجليز قد ظهرت فى ذلك اليوم فى لندن ، وفى صبيحة اليوم التالى كنت أرتاد بعض المكتبات فى برلين فألفيت تلك الرواية مطبوعة بالألمانية ومعروضة للقراء ، أى أن الترجمة ظهرت فى برلين فى نفس اليوم الذى ظهر فيه الأصل فى لندن .

وليست عناية الأوربيين بترجمة الآداب الأجنبية مقصورة على ترجمة الآداب الغربية ، فكثيرا ما نقلوا إلى لغاتهم الآداب الشرقية من عربية وفارسية وهندية ، حتى لقد قال أحد المؤرخين فى ترجمة « فتزجرالد » لرباعيات عمر الخيام : « لو لم يكن ثمة عمر الخيام ، لم يكن هناك فتزجرالد » . إلى هذا الحد يرى ذلك المؤرخ أن خلود فتزجرالد فى الأدب الانجليزى يرجع إلى ترجمته الرباعيات الفارسية .

ونحن فى مصر قد تأثرنا كثيرا بالآداب الأوربية السكسونية منها واللاتينية . منا من يعان ذلك وينقله فى أمانة وإخلاص ، ومنا من ينتحله انتحالا ، وينتهبه انتهابا ، فلا يلبث أن يفتضح أمره ؛ لأن ثمار العقول الأوربية ليست الآن « سرا من أسرار الكنيسة » كما كان يعتقد بعض من يتغفلون الأمة .

وبين يدى الآن كتاب عن الشاعر الانجليزى « بيرون » كتبه مؤلف ناشئ من خريجى كلية الآداب بالجامعة هو « نظمى خليل أفندى » .

وقد تناولت هذا الكتاب مغتبطا ، لأننى أومن بنقل التراث الأدبى الأوربى إلى لغتنا . وقد عنى المؤلف بتعبيد الطريق للقارئ العربى ، فذكر شيئا عن عصر « بيرون » ليلم القارئ بالجو الأدبى والتيارات الفكرية التى عاش الشاعر متاثرا بها ، ومؤثرا فيها . ثم حدثنا عن نشأته فى فصل آخر ، ثم سرد حياته فى عدة فصول تتخللها الإشارة إلى أهم القصائد التى نظمها ، والظروف التى أوحتها . وختم كتابه بقطع مختارة

من شعره هى : « سجين شيلون » و « مانفرد » و « دكتور فوستاس » و « قايين » . وللكتاب مقدمة فى أربع صفحات بقلم الدكتور ابراهيم ناجى الشاعر المعروف .

ومهما دفعنا الاخلاص إلى حماية منتجات الشباب ، ومعاضدتها ، وإظهار مواطن الإحسان فيها — لم نستطع أن نخدع شباننا المؤلفين ، ولا أن نخدع النقد ، وهو أمانة فى عنقنا . ولخير هؤلاء الشبان أنفسهم نوجه مانراه من النقد .

نقل المؤلف فى الفصل الأول رأى « كرليل » عن النبى والشاعر : « ونحن نسمى هذا الرجل رسولا . فهو رسول أرسل إلينا من العالم المجهول غير المحدود برسالة . فلنا أن نسميه شاعرا أو نبيا إذ ليس هناك فرق كبير بين النبى والشاعر فهما فى الأصل واحد . . . هذا مجمل ما قاله كارليل عن العظيم والشاعر وهذا ماأراه جديرا بأن أصف به لورد بيرون الرجل ولورد بيرون الشاعر » . وفى رأينا أن بيرون هو آخر شاعر يليق أن يشبه بالأنبياء . فهو شاعر مستهتر فى حياته ، متهتك فى شعره . وفى سيرته الشخصية ، وفى اتهامه بصلته بأخته غير الشقيقة (مما سنعود إليه) ما يجعله أبعد الناس عن فضلاء الرجال بله الأنبياء !

ولأنتقل الآن إلى مناقشة المؤلف فى دفاعه عن بيرون ، واستبعاده ما كان شائعا معروفا فى انجلترة لعهد بيرون ، وما هو معروف الآن بين نقاد بيرون ، من أن الشاعر كانت له بأخته صلات أقل مايقال فيها أنها سببت مفارقة زوجته له . إن كل ماحاول به المؤلف تفنيد هذه العقيدة يكاد ينحصر فى أقوال يسوقها هو من غير استناد إلى دليل منطقى .

يعترف المؤلف بأن كلا من بيرون وزوجته آثر كتمان السبب الذى من أجله هجرت الزوجة الزوج ، ويعترف كذلك بأن بيرون تحدث عن زوجه بعد فراقها فى أدب واحتشام فقال : « إنى لا أعتقد أن هناك مخلوقا أسمى أو أكثر أنسا وأقوى جاذبية من ليدى بيرون . ليس لدى الآن ، ولن يكون شىء تستحق من أجله اللوم عن الأيام التى قضيناها معا . » ويعترف المؤلف كذلك أن بيرون حاول الرجوع إلى زوجته فلم تقبله ، وأنه عندئذ أنزل عليها سخطه ولومه . ويحدثنا المؤلف أيضا أن ليدى بيرون تجنبت الكلام عن سبب الفراق فى كل محادثاتها . ولكن فى عام ١٨٦٩ جاءت « مسز بتشر ستاو » وادعت أن ليدى بيرون قد أفضت إليها بأن بيرون قد ارتكب إثما مع أخته من أبيه « مسز لى » . وهنا يتقدم محامى الدفاع فيقول : « فكثر المتقولون عليه وانقادوا إلى تلك المرأة التى استطاعت أن تخلق أبطالا لقصص جذابة ولكنها من صنع الخيال والوهم ، وتشوه سمعة رجل عاش عيشة حقيقية .

نفا لقد كانت تلك الكاتبة ماهرة فى التخيل والتصوير ولكنها لم تكن أمينة فى تصوير الواقع أو وصف الحقيقة. لقد رفضت ليدى بيرون بكل إباء وقوة أن تتفاهم مع زوجها أو تتحدث إلى الناس فتلق الضوء على مأساة انفصالهما . فلو كان لديها ما كان يجب أن يقال لقالته فى وقته المناسب وزوجها حى حتى كان يستطيع الرد عليها إن كانت غير صادقة . »

والمنطق المستقيم يقول :

(١) إن امتناع ليدى بيرون عن الخوض فى الحديث عن أسباب الفراق لا يمنع أن تكون قد أسرت ذلك مرة أو أكثر فى حديث خاص لبعض خاصتها.

(٢) وأن مسز بتشرستاو كانت تعلم بوجوب سرية هذا الحديث فلم تبح به فى حياة ليدى بيرون حتى لا تغضبها .

(٣) وأن سياسة كتمان الفضيحة كانت خطة ليدى بيرون فانها لم تبسط لسانها فى زوجها بعد مفارقتها له . سواء أكان ذلك فى الأيام التى كان يتمنى فيها استرضاءها بمديحه . أو فى الأيام التى أثار فيها رفضها العودة إليه سخطه وهجاءه .

(٤) أما بيرون فلم تكن له خطة مرسومة إزاء زوجه ، فهى إن صفحت عن آثامه — أو بعبارة أدق ، حينما كان يعتقد أنها ستصفح عن آثامه — امرأة ليس فى الدنيا مخلوق أسمى منها ، وليس لديه ولن يكون لديه فيما بعد شىء تستحق من أجله اللوم عن الأيام التى قضياها معا .

فاذا رفضت العودة اليه قال : إن الأسباب ياسيدى (أسباب الفراق) لأهون من أن تستقصى ، ثم تحدث عنها متعديا حدود الأدب والوقار ، (على حد تعبير المؤلف نفسه) .

(٥) وإن حياة بيرون - فى غير حدود الزوجية - لأقوى مرجح لكل اتهام يوجه اليه .

وكأنما يشعر المؤلف بأن دفاعه عن « طهر » بيرون دفاع ضعيف ، فيحاول أن يسنده بشىء من الألفاظ ، فيقول : « مسكين بيرون . ولكن بالرغم من تقول النساء عليه وبالرغم من تشهير الناس باسمه والحط من قدره فانه سوف يبقى صورة حية للرجل المهضوم وعنوانا صادقا للرجل المجهول . وسوف يبقى اسم بيرون مذكوراً نجد فى شعره الغذاء لشعورنا والمرآة الصافية تنعكس عليها أفكارنا وعواطفنا فكلما اقتربنا منه وأحطنا به كلما (كذا) اقتربنا من الطبيعة ووقفنا على أسمى كنوز الانسانية ، الحب والتضحية والوطنية والوفاء . إن اسم بيرون سوف يبقى ما بقى الانسان جياش العاطفة ، وبقى للطبيعة جمالها وسحرها . »

ولكنا نقول : إن بقاء اسم بيرون فى عالم الشعر لا يستدعى وجوده فى صفحة الأبرار الأطهار . فلقد يبقى بيرون شاعرا صاحب ديوان ، ولكن هذا لا يقتضى أن يكون رجلا صاحب أخلاق . ولقد بقى وسيبقى « أبو نواس » شاعرا صاحب ديوان ولكن شعره وشعر الدنيا جمعاء لن يثبت له طهراً ولا عفافا .

وأخيرا يحاول المؤلف أن يخرج آخر سهم فى كنانته ليدافع عن سمعة بيرون ويبرئه من تهمته الشنعاء فيقول :

« ولكن بيرون لم يعدم مناصرين يذودون عنه ويحافظون على اسمه المقدس (كذا) (١) من أن تلوكه الألسنة فى غير صدق أو تدقيق ، فقد نهض أديب وكاتب معاصر له وتصدى للدفاع عنه ورد كل كذب وتضليل . »

« لقد كان هذا الكاتب وليم هاوت على اتصال وثيق بليدى بيرون يزورها وتزوره فقال يصف بعض طبائع هذه المرأة (إنى أعرف هذه المرأة من سنين ولقد زرتها فى مصيفها فى ريتشمند فى إيتون . إنى واثق أن ليدى بيرون كانت نبيلة النفس سامية الروح ولكنها كانت فريسة لكثير من النوبات العصبية . كانت تفقد نفسها وإرادتها عندما تعاودها النوبة . كانت سريعة التأثر سهلة الانفعال وكثيرا ما آذت من كان حولها. لقد رأيتها مرة ذات مساء فى أقصى حالات الهدوء والغبطة ثم رأيتها الصباح التالى كأنها قد أمضت ليلتها لا على فراش من حرير ولكن على بساط من الجليد ، وقد ظهر ذلك فى ملامح وجهها العابس) فاذا كان هذا شأن ليدى بيرون كما وصفها أحد عارفيها فليس بكثير على رجل كاللورد بيرون صاحب المزاج الحساس والطبع الحاد أن يضيق بها . وليس بكثير عليها أيضا أن تنفر منه . وليس بعجيب بعد ذلك أن يلجأ الزوجان آخر الأمر إلى الانفصال النهائى ولم يمض على زواجهما عام » .

ونحن نقول إن كل هذا حسن ومعقول ، ولكنه لا يتصل البتة بموضوع التهمة التى تصدى المؤلف لنفيها عن الشاعر ، تهمة اتصاله بأخته . إن كل ما تنطق به العبارة السابقة أن ليدى بيرون كانت امرأة حادة المزاج ، ولكن أى منطق يستنتج من ذلك أن زوجها كان بريئا من تهمة معينة ؟

ولعل قلم المؤلف كان أكثر توفيقا من منطقه بصدد هذا الاستنتاج ، فقد ساق العبارة ليبرئ بها بيرون ، ولكنه ما انتهى منها حتى خط قلمه النتيجة المنطقية لاقتباسه ، وهى أن كلا من بيرون وزوجته كان حاد المزاج ، وأنه لم يكن عجيبا أن يفترقا بعد عام .

---

(١) وليس عجيباً على من سبق أن شبه بيرون بالأنبياء أن يعود هنا فيقول : إن اسمه مقدس !

وما دمنا بصدد الكلام عن منطق التأليف ، فلنهمس فى أذن المؤلف همسة أخرى ، أو همستين :

فقد أقحم المؤلف صفات بيرون الجسمية فى عدة مواضع لاعلاقة لها بها البتة . ولعل أفظعها خروجا على أصول المنطق ، واعتداء على سلامة التفكير قوله (ص ١٢٥) : « وإن صبره وعزمه وإجاباته السريعة — عند ماكان يستشار — أكسبت جسمه شكلا عضليا قويا خدع به الغرباء » .

كذلك نرجو أن يتدبر المؤلف منطق الجملة الآتية : « وقد وهب بيرون إرادة قوية وعزيمة لا تلين فكان ينفذ ما يريد . فكثيرا ما كان يعيش على البسكوت والصودا عدة أيام متواصلة ثم يأتى أخيرا فيملأ معدته من البطاطس البارد والأرز والسمك ويلتهمها بشغف ونهم . » ونحن نسأل المؤلف أن يزودنا بمثال أفضل من هذا للدلالة على ضعف الارادة ووهن العزيمة !

ومن المنطق المضطرب ما يراه القارىء فى الفصل الذى كتبه المؤلف عن عادات بيرون . وهو فصل يقع فى ثلاث عشرة صفحة ظفر منها بيرون بأقل من ثلاث صفحات — ليست كلها فى عاداته — وظفر الشاعر شلى (فى استطراد لم يمهد له ، ولم يعقب عليه) بنحو عشر صفحات بعضها غير مفهوم .

وأريد أن أنبه هنا على أمر هام يتدبره من يتصدون للترجمة . فانه يشترط لنجاح الترجمة نجاحا ينتفع به قارئوها أن يكون المترجم عالما باللغة المنقول عنها ، وعالما كذلك باللغة المنقول إليها ، وعالما ذا ملكة ورأى فى المادة المنقولة . بغير ذلك لا تنتفع المكتبة العربية بالكتب التى تترجم إليها فى عبارات سقيمة تلبس فى معظم الأحيان قبعات . وأشهد أنى لم أفهم عدة عبارات وردت فى الكتاب . وأنا أطالب المؤلف بأن يكتب ليفهم القارىء العربى الذى لا يعرف الانجليزية ، فما بالك إذا كان القارىء لا يعرف الانجليزية فحسب ، بل يعرف فيها بيرون كذلك . ومع هذا لم أفهم مثلا خطاب المحيط (ص ٤٣) :

على سهولك اللجبة جل أعمالك التحطم والاغراق . ولم أفهم كذلك ارتباط الحوادث فى (ص ١٢٩) ، ولعل المترجم حاول التلخيص فلم يوفق إلى التقاط أمهات الحوادث ويرتبها ترتيب مؤلفها . وكدت لا أفهم اتصال الحوادث فى (ص ١٤٤) وهو يتكلم عن وصول جوان إلى الجزيرة ومقابلة هيدى له .

ولعل المؤلف يوافقنى على أن خريج الجامعة المصرية فى لغة الانجليزية إذا تصدى للتأليف عن شاعر إنجليزى لا ينبغى له أن يجهل أن المرأة قبل أن تتزوج لا يكون لقبها مسز فلان .Mrs وإنما يكون مس فلان Miss فقد ظل الكاتب يتكلم عن مسز تشاورث — وهى الفتاة التى أحبها بيرون وأراد زوجها وفضت — ظل يسميها

مسز تشاورث وهى عذراء لم تتزوج ، ويسميها مسز تشاورث بعد أن تزوجت رجلا غير بيرون ، فأصبح لقبها حقا « مسز » ولكن لا مسز تشاورث (وهو اسم أبيها) بل مسز شخص آخر يحمل - وتحمل معه - اسما آخر . وكذلك سلك فى تسمية ليدى بيرون قبل زواجها فقد سماها مسز ملبانك ، وهى لاتسمى ، ولم تسم فى يوم ما ، مسز ملبانك . فاسمها قبل الزواج كان مس ملبانك « Miss Milbanke » وبعد الزواج ليدى بيرون « Lady Byron » وقد كان هذا الخلط شائعا كلما مر اسم إحدى هاتين السيدتين .

ومثل هذا التهاون — ونفضل أن نسميه تهاونا على أن نسميه اسما آخر — يدل على عدم التحرى والدقه فى النقل ، وهما من أخص صفات المؤلفين والمترجمين . ولذلك لم نقر المؤلف على تصرفه فى ترجمة بعض القصائد ترجمة تحمل شبها بشعر بيرون ، ولكنها لا تحمل طابعه . وما دام كاتبنا قد ترجم الشعر نثرا ، فقد كان عليه ألا يحيد عن معانى بيرون . ولأ كتف بمثال من عدة أمثلة أختتم به كلمتى هذه . فقد ترجم القصيدة التى قالها الشاعر فى ابنة خاله « مرجريت باركر » بما يأتى : « فلتصمتى أيتها الرياح ولتبق أيها الليل البهيم الحالك ولتقف أيها النسيم الهادى ، حتى أرجع فأرى قبر حبيبتى مارجريت وأنثر الزهر على التراب الذى أحببت » . وإنى لأنقل هنا النص الانجليزى (١) ليتبين القارىء عدم الدقة فى الترجمة :

Hush' d are the winds, and still the evening gloom,
Not e'en a zephyr wanders through the grove.
Whilst I return, to view my Margaret's tomb,
And scatter flowers on the dust I love.

وكل عليم بالانجليزية يرى أن هناك فرقا بين الترجمة والأصل فيما لا يقل عن خمسة مواضع . وإذا كان لابد من ترجمة صادقة فلتكن على النحو الآتى : « لقد صمتت الرياح ، وسادت كآبة المساء ، حتى ما تحس نسيما يخترق الخميلة ، عندما أعود لأشاهد قبر (حبيبتى) مرجرت وأنثر الزهر على الثرى الذى أحب » .

وبعد فاننا نكتفى بهذا القدر فى نقد هذا الكتاب ، راجين أن يلقى من غيرنا من النقاد حظا أوفى ، ومجالا أفسح .

وإذا عرفنا أن كتاب « بيرون » هو باكورة تأليف الأستاذ نظمى خليل رجونا أن يكون فى دراساته المقبلة أكثر توفيقا . نقول فى دراساته المقبلة لأنه وعدنا فى مقدمة كتابه بأنه ينوى إخراج بحوث أخرى فى « شلى » و « كيتس » و « وردسورث » و « كولردج » . ونحن نعتقد أن المؤلفين ينتفعون من تأليفهم أكثر مما ينتفع منها قراؤهم .

مهدى علام

(١) نقلا عن ديوان بيرون طبعة JOHN MURRAY ص ٣٧٦

AL - BUKHARI

A Collection of Muhammad' s Authentic Traditions.

TRANSLATED INTO ENGLISH BY

I. H. EL-MOUGY

جامع صحيح البخارى

ترجمه إلى الإنجليزية

الأستاذ ابراهيم حسن الموجى

الأستاذ فى الآداب وعضو الجمعية الأسيوية الملكية ببريطانيا العظمى
والمحاضر بمدرسة التجارة العليا بمانشستر

لعل من أعظم ما يخدم به الاسلام أن تنقل مبادئه الصحيحة ، ونظرياته الدينية والاجتماعية إلى اللغات الأجنبية عامة ، والأوربية خاصة . فلقد ظللت سماء الاسلام سحب كثيفة من الخرافات والاختلاقات ، افتراها على الدين قوم جاهلون أو مغرضون . ولقد ساد عن الاسلام آراء فى منتهى الغرابة والبشاعة ، واستمسك بها الأجانب ولاسيما الأوربيين منهم - إما لحب النفس للغريب ، وإما لميل الانسان إلى التشنيع ، وإما لغرض سياسى أو دينى . ومما يؤسف له أن هذه الترهات قد ملكت على كثير من السذج عقولهم . ومن ثم كان من أفضل ما يقوم به المقيم بين هؤلاء الأوربيين ، أو من يستطيع أن يجعل آراءه تقيم بينهم ، أن ينقل لهم عن الاسلام صورا صادقة تبين ما فيه من سمو فى العقائد ، وحكمة فى التشريع ، ورعاية لمصالح العباد .

وإننى أعتبر ما يقوم به الأستاذ الموجى من ترجمة صحيح البخارى إلى اللغة الانجليزية عملا من أجل الأعمال التى يخدم بها الدين الاسلامى ، لا فى أوربا وأمريكا فقط ، بل كذلك فى كثير من البلاد الاسلامية التى للانجليزية فيها مقام على كالهند وغيرها .

ويوالى الأستاذ طبع ترجمته فى نجوم صغيرة ، وقد أهدانا النجم الأولى منها ، مستخرجا من ملحق مجلة نور الاسلام التى تصدرها إدارة الأزهر . وقد وضع النص العربى فى النصف الأيمن بكل صفحة ، وجعل قبالته الترجمة الانجليزية .

وقد قرأنا هذه الترجمة وقابلناها بأصلها فألفيناها ثمرة للدأب الصبور، ودليلا على إلمام واسع باللغتين العربية والانجليزية، وبصر بأسرار الشريعة الاسلامية. وليس يمنعنا هذا الاطراء المخلص من أن نستدرك على المترجم قليلا من النقط الثانوية، رغبة منا فى استكمال عمله الجليل، وحرصا على تحقيق فكرته السامية إلى أبعد غاية.

لقد عدل الأستاذ عن الترجمة القديمة المتداولة للبسملة وهى:

« In the Name of Allah, the Most Compassionate, the Most Merciful. » إلى ترجمة جديدة أحل فيها كلمة « All-loving » محل كلمة « Most Compassionate » ترجمة للرحمن. وهى ترجمة باللازم، ولكننا نؤثر بقاء العبارة الأولى لأنها ألصق بروح المعنى ولفظه.

كذلك نراه فى ترجمة « صلى الله عليه وسلم » أو « عليه الصلاة والسلام » قد التزم عبارة « Peace be upon him » ولا شك أن فى هذه الترجمة تجاوزا، لأنها لا تؤدى إلا معنى « عليه السلام »، وقد كان خليقاً بالأستاذ فى دقته التى ظهرت فى ثنايا الترجمة ألا يفوته مثل هذا؛ كما كان خليقا به أن يرمز لهذه العبارة — بعد ترجمتها ترجمة كاملة فى أول الكتاب — بأوائل حروفها، ثم يصطلح على وضعها كلما وردت، كما نفعل نحن فى « صلعم ».

وتدعونا دقة المترجم، التى يسرنا أن نعترف بها، إلى مؤاخذته على تلك الفوارق الدقيقة، التى إن أغضى عنها للشادين فى الترجمة لم يغض عنها لأساطينها، وللمتصدين لترجمته أعز تراث عندنا، فقد ترجم قول عائشة رضى الله عنها: « ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فينفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا. » بقوله:

« I have seen the Prophet When the Revelation came down on him on a very cold day . . . . »

ونحن نرى أن هناك تسامحا قليلا فى هذه الترجمة. فالعبارة التى ارتضاها المترجم لا تؤدى المعنى بدقة، إذ لو أردنا ترجمتها إلى العربية لكانت « ولقد رأيته . . . . . . فى يوم شديد البرد . . . . . . » وما قصدت عائشة أن تصف حالته عليه الصلاة والسلام فى يوم شديد البرد (بخصوصه)، وإنما قصدت وصف حاله عندما ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد، فى أى يوم شديد البرد، فى وقت البرد الشديد فكان الوحى يسبب له فى مثل ذلك اليوم إجهادا يجعل العرق يتفصد عن جبينه، لذلك نرى أن أصدق ترجمة لهذا المعنى هى:

« I have seen the Prophet when the Revelation came down on him on very cold days . . . . »

وكنا نود أن يعدل الأستاذ عن الترجمة التقليدية لكلمة « الجاهلية » فقد ظل بعض الناس يظنون أن هذه الكلمة تدل على « الجهل » وكذلك ترجمها كثير من المترجمين ، ولكن جاهلية العرب ليست مشتقة من الجهل الذى هو ضد العلم ، بل من الجهل بمعنى الغضب وشدة الإباء ، والنعرة والعنجهية البدوية ، ولعل أحسن ترجمة لها هى « non-civilisation » أو « Pre-Islamic »

وللأستاذ تعليق (فى ص ١٠) عند ترجمته لحديث ابن عباس : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن . . . . . » وليس لنا اعتراض على الترجمة نفسها ، فهى أقرب تعبير انجليزى للمعنى العربى ولكن اعتراضنا موجه إلى الشرح الذى كتبه على ترجمته لكلمة (يدارسه) فحينما أعوزته كلمة إنجليزية تؤدى معنى المفاعلة كتب ما ترجمته : « إن صيغة فاعل توحى المشاركة ، فالملك يرتل جزءا ، والرسول يرتل جزءا آخر . » ولكننى أعتقد أن مدارسة جبريل للنبى لم تكن على هذه الصورة ، وإنما كانت بتلاوة جبريل أولا ثم إعادة الرسول عليه السلام ما تلاه جبريل . وفرق بين هذا المعنى والمعنى الذى ارتضاه المترجم .

وفى حديث هرقل (ص ١١) ترجم الأستاذ الموجى عبارة « فدعاهم فى مجلسه وحوله عظماء الروم » بقوله : « He was surrounded by Greek notables »

ولكن عبارة المترجم معناها : عظماء روميون . ومهما يكن الفرق بين التعبيرين صغيرا فانه دقيق ، ويحق لنا أن نترقبه من الأستاذ الموجى . ولو شاء الترجمة الدقيقة لـ « عظماء الروم » لقال « notables of Greece »

وقد ترجم الأستاذ — فى نفس الحديث — عبارة : « فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله ؟ » بقوله :

« Hath any one of you ever made this claim before him ? »

وهى عبارة صحيحة ، ولكنها تحتمل معنى « هل قال هذا القول منكم أحد قط قبله ؟ » ومعنى هل قال هذا القول منكم أحد قط أمامه ؟ »

ولمنع هذا اللبس كان يجب أن تترجم إلى « before he did »

وبعد فاننا نكرر تهنئتنا للأستاذ على المجهود الجليل الذى بذله ، وندعو له بالتوفيق فى إكمال هذا العمل ، راجين أن يدرس الملاحظات القليلة التى أبديناها .

صبحى علام

الشـــاطىء المجهول

للشاعر سيد قطب

غزل الديوان :

سأفرد لصحيفة دارالعلوم الكلام فى غزل الديوان ، لأنها الناحية التى ستهنى القراء فيقفون أمامها موقف المتصلين بها ، وقد يجدون فيها مستوى فكريا ليس فيه غموض أو التواء ، فيشعرون بروح الامتزاج بينهم وبين مايقرأون . أما ما كتبته عن « الضلال والرموز والصور والتأملات » وهى أقوى وأدق ناحية فى الديوان ، فسوف لا أحمل الصحف تبعة نشره ، وسيكون دراسة خاصة لى ولصاحب الديوان ، وسواء وفقت فيها أم لم أوفق فهى ما استطعت أن أفهمه من دراستى وما أوحى إلى به فكرى أولا وضميرى ثانياً !

وغزل الديوان يبدو غريباً فى بعض نزعاته . ومألوفاً فى البعض الآخر ، وجديداً فى نبذ منه تتضمن التعبير عن نظريات أحسها الشاعر فى حياته الوجدانية ، ولكنها ليست النظريات المقررة من العلم ، وإن أقرتها الفلسفة الفكرية الخاصة بصاحبها ، يبدو هذا فى قصيدة « حب الشكور » وفيها يقرر الشاعر أنه عاش فى الحياة قبل حبه عاملا مأجوراً . عاش مملوكا للدنيا تتصرف فيه كيفما شاءت ، وبعد حبه ـ شعر انه الذى يملك الدنيا ويتصرف فيها حيثما أراد وهذا ماسماه الشاعر « ملكية الحياه »

حب الذى أحببت فيه حياته   مما لديك من الحيا المذخور
ووهبته ملك الحياة وطالما   قد عاشها كالعامل المأجور

ولست أرى أن أعجوبة الحب قد وهبت للشاعر ملك الحياة ، وكل ماوهبت له هو حب الحياة ، فخدعه شعوره بحب الحياة التى تخفق بالأمل ، بعد أن كان كاسف البال حزين النفس ، يعيش فى الدنيا كالمأجور المضنى . وطالما شعر المرء بأنه يملك مايحب حتى ليقضى الساعات والأيام فى حلم لذيذ .

وما هذا إلا أثر طبيعى من قوة الحب وإيمانه فى كل قلب ليتوفر على احترامه وليتجمع على تقديره ، ومن هذه الفكر الجديدة ما سيبدو فى قصيدة « عصمة الحب » « وسر انتصار الحياة » و « الحب المكروه » وفى هذه الكلمة تلميح اليها جميعها .

إلا أن الروح العام فى الغزل هو الشعور الصادق الجدير بالتقدير والاجلال ، والشعور الصادق هو الذى يقوم على أساسه تقدير الشعر فى جميع نواحيه وبخاصة فى الغزل الحديث الذى طغى عليه الادعاء ، وتغلغل فيه روح الأبهام والغموض ، وفى قصيدة «هى أنت» وهى أول قصيدة فى غزل الديوان يبدو الحس الصادق والعاطفة البريئة التى تنظر إلى المرأة من الناحية المعنوية ، الناحية التى تلهب فى الانسان مشاعره وتحيي آماله ؛ وتبعثه فى الحياة قوة عاملة لا تمل ولا تسأم مادامت هى منبع هذه القوة ومستمد ذاك الشعور

هى أنت التى خلقت لنحيا فى ظلال من الوفاء الرشيد

. . . .

هى أنت التى تلاقيت روحا مع روحى فهامتا فى الوجود

. . . .

أن تكونى . إذن فهاك فؤادى كله خالصاً نقى العهود

وفى هذه القصيدة إشعار بقيمة المرأة ، وتقدير لأثرها فى الحياة ، الأثر الايجابى الذى يقوم على أساسه جهاد الجنسين

شجعينى على الجهاد طويلا فجهاد الحياة جد شديد
أشعرينى بأن قلباً نقياً يرتجى ساعدى ويهوى وجودى

. . . .

وتعالى نبغ الحياة جهاداً عبقرى التصويب والتصعيد

. . . .

لك منى عواطفى وعهودى لك منى رعايتى وعهودى

وفى قصيدة « أحبك » يظهر نوع من الامتياز النفسى والقوة الروحية ؛ ذلك أن الشاعر وإن كان قد ذاب فيها حناناً وسال عاطفة ، قد احتفظ برجولته وشعر بمهمته فى الحياة ، فلم يتلاش أمام المرأة كما تلاشى غيره بل سما بأثر الحب فى نفسه إلى المقصد العفيف فى الحياة ، المقصد الذى تسعى اليه الرجولة العاقلة الرزينة ، التى أنضجتها التجارب واطمأنت إلى نوع صاف من المعرفة التى لم يخالجها الطيش ولم يمتزج بها لهو الشباب

أحبك من قلبى الذى أنت ملؤه ومن كل إحساس بنفسى ذائب
فؤادى الذى فتحت فيه مشاعراً من الحب والاحساس شتى المذاهب

سموت به حتى تكشف دونه عوالم أخرى تائهات الجوانب

وفى وسط هذه العاطفة المتأججة ، والفكرة الدقيقة يتيقظ الشاعر إلى قوة الرجولة المسيطرة على ضعف الأنوثة ، فيريدها ليهب لضعفها زادا من قوته وليتم نقصها كمالا من رجولته :

أحبـــك إذ ترجين منى رعاية وتهوين ساعات الحيـاة بجانبى
هنا لك نسمو بالحياة فنرتقى إلى كنف بين السموات ضارب
هنا لك نحيا والأمانى حولنا نغرد ألحان المنى والرغائب

ويبدو فى شعر الشاعر حب الدراسة والفكرة فى قصيدته (لمـاذا أحبك) الحب الذى امتزجت فيه العاطفة بالفكر فكان لكل أثره فيه ، وإذا تهذبت النفس ونضج الحس وتأمل الفكر ورقت العاطفة استطاعت هذه القوى متجمعة أن تصل إلى نتائج متزنه تقرها المقاييس العامة للأحكام النفسية الراقية

أحبك حب الهوى والجنون أحبك حب الرشاد الرزين
أحبك بالقلب فى وقدة أحبك بالعقل جم السكون

والشاعر ينكر فى هذه القصيدة أن يكون العطف أو الحنان أو الجمال أو السحر هو السبب فى حبه ، ويرى أن السبب قوة الحياة المتحفزة فيها كالشعلة الوامضة ، فاكمل هذا الطرب فيها هدوءه الحزين :

فأنت هنا فرحة تمرحين وأنت هنا نشوة تقفزين
فاكمل هذا المراح الطروب هدوء الحزين وجد الرصين

ويظهر أن الشاعر لمس حقيقة الحياة فعاد لايطمئن إلى الخيال والافتراض ؛ وأصبح حقيقياً يفصح بوضوح عن سر مايعمل ولو كان ذلك السر تافها فى ذاته أو سطحياً فى فكرته ، ولعله بعد مرحلة الحياة التى قطعها فقاسى فيها الآلم واستعذب الشقاء اصبح نهما نزاعا إلى التمتع بكل مظاهر الحياة بما فيها من متعة وجمال ، نلمح كل ذلك فى قصائد « رسول الحياة » و « سر انتصار الحياة » و « قبلة » و « داعى الحياة » و « تحية الحياة » و « الخطر » ويتمثل حب الحياة إذا كانت نابضة بالحب مليئة بالقوة فى قصيدة المعجزة !

والآن أخلص للدنيا وامنحها حبى وأدرك مافيها من الفتن
والآن اعمل للدنيا على ثقة بأننى قلبها الخفاق فى الزمن
والآن انصت للدنيا فيطربنى من صوتها العذب لحن ساهر اللحن
لك الحياة اذن مادمت مانحة لى الحياة بلا أجر ولا ثمن

وليس هذا ببالغ فى التفاؤل والحرص على اللحظات التى تمر فى العيش بأ كثر مما تحتويه قصيدة « توارد خواطر » من الفتنة والتلهف والظمأ والتفتح للحياة والتمشى مع طبيعتها من غير تكلف :

أفأنت ساحرة تصوغ من الدجى   نوراً وتبعث فى الحياة حطامى

. . . .

يا للقاء ! فكيف قد حجبته   عن نفس منهوم العواطف ظامى

هو هذه الدنيا وعالم سحرها   هو ذلك النبع الجميل الطامى

الفكر والتحليل :

دقت نظرة الشاعر وتأمل فكره فأحس أن حبيبته هى التى نبضت بالوجود ، وبوجودها انتصرت الحياة على الفناء . ومهما يكن فى هذا الفكر من غلو فانه صادق فى شعور صاحبه مؤمن به فى كل جارحة من جوارحه

ألست التى نبضت با « لوجود »   فشق قوى « العدم » الساخرة

بلى أنت سر انتصار الحياة   على الموت فى الوقعة الظافرة

هنا لك من قبل ميلادها   وكانت مغيبة حائرة

وكنت نواة بها ضامرة   فعدت حياة بها سافرة

وانتاب الشاعر فترة من الزمن طافت به فى جو من الفكر والتأمل فى غرائز المرأة وميولها الفطرية ، فأخذ يحلل نفسيتها تحليلا دقيقا مازجا عناصر هذا التحليل بالوصف الغنى الذى حمله بعض الصور الشعرية فى غزله ، فكان هذا اتجاها جديدا فى غزل الشباب لأنه يبدو واضحا فى ناحيتين ، ناحية العاطفة ، وناحية البحث العلمى الذى تؤيده نظريات علم النفس ، وأول ما حمل هذا الاتجاه قصيدة « الغيرة » وقصائد « مصرع حب » الثلاث « ليلة الشك » و « اليقين » و « الجنة الضائعة » وترتيب هذه القصائد فى الديوان « هكذا » ، ويظهر أن كل قصيدة نتيجة طبيعية لما تقدمها وهو أمر بينه الشاعر فى مقدمة هذه القصائد وفيها مسايرة الشعور الصادق من غير تكلف أو تعمل ، وقد بدا فى المقطوعة الأولى من قصيدة « الغيرة » قوة المرأة فى كتمان تلك العاطفة مع ما تعتقده من الفوز والانتصار

غضبت فيالك من غاضبة !   وأرسلتها نظرة عاتبه

يتمتم فيها الرجاء الأسيف   وتجأر فيها المنى الواثبه

وفيها هدوء الرضا المطمئن   تمازجه الغيرة الصاخبه

وفى البيتين الآتيين تصوير جميل للنظرة العاتبة التى تفيض بالذكريات ولكن يكتمها الألم المكبوح والأسى اللاذع

تطل بها الذكريات العذاب   وترجع مجهدة لاغبه
وفيها فتور ولكنه   فتور به قوة غالبه

ولم تكن الغيرة من غرائز المرأة وحدها . وإنما هى غريزة فى كل مخلوق حيوى ، لذلك بدت فى الشاعر إذ أحب فى صاحبته غيرتها ، لأنها غيرة من أجله وحرص عليه فإعجابه بهذا هو الغيرة عليها .

ولولا شعورى بحى العطوف   لأحببت فيك الشعور الأسيف

* * *

ولقد يخامر الشاعر الشك ـ وما ألذه فى الحب وآلمه ـ فتضنيه هذه الحيرة ويتطلب اليقين ولو الى خسارة وحرمان حتى ينتهى الى مدى ويطمئن الى غاية فيقول فى قصيدة « الشك » !

لهفتى لليقين يغمر نفسى   لهفتى للهدوء بعد اضطرام
أنا أشرى اليقين بالفقدان   موثرا فيه واضح الآلام

فاذا ما تيقن واطمأن وأقفرت كفاه من الأمل ، غمر شعوره اليأس . ووجد فى اليقين مرارة وألما فعاد يطالب الشك فى حنين فى قصيدة « اليقين »

أيهذا اليقين انك قاس   ما تطالبت كل هذا المصاب
أيها الشك ربما كنت خيرا   من يقين كالجدب بين اليباب

ويظهر أن الشاعر التى عصى التسيار ووصل الى شاطىء الحرمان فكفن حبه ودفنه فى قصيدة « الجنة الضائعه »

فقدتك فى النفس أنشودة   ومعنى من الفتنة الساحره
فقدتك ذكرى فواحسرتاه   لفقد من العين والخاطره

وتتمشى نغمة الحزن فى نفس الشاعر بعد « مصرع حب » فى قصيدتى « الحنين والدموع » و « اللغز » ثم يعود فينشط فى قصائد « قبلة » و « الحياة الغالية » و « الكون الجديد »

واليوم آسف للدقائق تنطوى   من عمرى الغالى الثمين الطيب
الحب فاض على الحياة بخصبه   واجد عمرانا بكل مخرب

وفى قصيدة « عصمة الحب » فكرة جديدة فهو يذكر للناس آسابقهم فى اللذائذ

ويقرران الخطيئة لازمة من لوازم الاعتقاد بالفناء، ويفصح عن صراع الجسم والروح فيما بينهما من حب التمتع المادى والنعيم المعنوى!

ولو ان الانام قد ضمنوا الخلـ ـداوان الارواح محض صفاء
لتساموا عن الخطيئة كالقيـ ـد وعاشوا معيشة الطلقاء

واذا كان الخلود مانعا من وقوع الخطيئة فيعيش الناس أطهارا معصومين من الزلل، فقد يكون فى الحب غناء عن ذلك الخلود — عند الشاعر —

وغناء عن الخلود غرام هو رمز ووصلة للبقاء
هو خلد وما الخطيئة الا بعض وحى الفناء للاحياء

ويريد الشاعر ان يكون الحب خلوا من الشقاء والنصب، لايضحى فيه الفكر، ولا يغذيه الألم، يريده أمرا طبيعيا ليس فيه تكليف ولا حرج، ويرى أن من التفاهة أن يكون المحب فانيا بفكره وروحه فى سبيل انتظاره دون أمل أو نهاية يصل اليها، لذلك جرد نفسه من حسها واخمد عاطفته بجموده، وحال بين قلبه وبين الخفقات فى قصيدة «الحب المكروه»!

وداعا أيها الحب كرهتك فارتحل قدما
كرهتك لم يعد قلب بصدرى يحمل الألما

* * *

سأحيا جامد الحس فلا حب ولا أمل
ستخبو شعلة النفس ويمضى ذلك الأجل

ويظهر أن الحياة الواجدانية للشاعر قد انتهت بانتهاء ديوانه فودعها بقصيدة «نكسه» وعلى «اطلال الحب»

وتاهت نفسى الولهى واسرت روحى السكرى
وقلت وقد نزا المى «فداك الكون يا طلل»

تلك لمحات سريعة عن غزل «الشاطىء المجهول» لسيد قطب فمن أراد أن يشبع رغبته فاليه الديوان، فسيرى بعينيه ويحس بقلبه مالا تصوره له الاقلام.

فايز العمروسى

أساس الفلك والجغرافية

تأليف الأستاذين

محمد فخر الدين و عبد الفتاح الزيادى
المدرسين بدار العلوم

أهدى إلينا أستاذنا العلامة الشيخ محمد فخر الدين ، وصديقنا البحاثة الأستاذ عبد الفتاح الزيادى مؤلفهما الجديد « أساس الفلك والجغرافية » وهو كما وصفاه : « مجموعة قيمة من البحوث المتعلقة بآراء القدامى فى الكون ، وتدرجها فى مدارج الارتقاء ، إلى أن صارت حقائق علمية صحيحة ثابتة نعتز الآن بدراستها . وفيها بيان ما كان للعرب والمسلمين من يد فى النهوض بعلمى الفلك والجغرافية فى العصور الوسطى ، ثم ما كان من حال التجارة العالمية ، ومركز مصر منها فى تلك العصور . »

وليس المؤلفان فى حاجة إلى تقديمهما إلى قراء « الصحيفة » فانهما قد خدما الجغرافية والفلك فى معاهد العلم المصرية ولاسيما دار العلوم حقبة طويلة . ولأولهما فى مدارسة هذين العلمين بدار العلوم نحو ثلاثين سنة ، ولثانيهما ما يقل عن ذلك قليلا ، ومنها نحو أربع عشرة سنة فى دار العلوم نفسها .

وقد عنى المؤلفان بالترجمة لبعض جغرافيي الاسلام كالمسعودى وابن بطوطة ، لأنهما رأيا فتنة العصر الحاضر بعلماء أوربا قديمهم وحديثهم ، ورأيا نشأنا يعرف الكثير عن أمثال ملطبرون ، ومركوبولو ، على حين يجهلون ، أو يكادون يجهلون علماء العرب والمسلمين ، مع ما كان لهؤلاء من أثر فى إنهاض علمى الفلك والجغرافية فى القرون الوسطى ، مما جعلهم برزخا علميا انتقلت عليه المعارف من الشرق إلى الغرب

ولم يحتقر المؤلفان النشأة الخرافية لعلمى الفلك والجغرافية ، ولم يحقراها فى أعين القراء ؛ بل هما ـ على العكس من ذلك ـ وقفا إزاء تلك النشأة الفطرية الساذج وقفة الاجلال والاكبار ، واعتبراها نواة لاتستغنى عنها المدنية . لأنها كانت أساس وصف الدنيا ، وقد استوت فى النهاية علما جليلا بعد أن ماز العلماء غث الأقاصيص من سمينها ، وهذبوها على الوجه الأكمل ، واستخلصوا جوهر الحقيقة من رغام الخرافة .

ومن الفصول الممتعة فى الكتاب الفصل الذى كتب عن رأى المصريين الأقدمين فى الكون ، وعن معارفهم الجغرافية ، وهو مزين ببعض الصور الجذابة الموضحة . ولم تكن عناية المؤلفين بشرح العقلية اليونانية بأقل من عنايتهما بشرح العقلية المصرية أما كتابتهما عن العصور الاسلامية فسخية مبسوطة . وقد استرعى نظرنا ما جاء فى ترجمة أبى معشر البلخى « ص١٠٦ » من أنه لكثرة ما ألف من الكتب كان ولا يزال مضرب المثل فى العلم بالتنجيم . وما فتىء اسمه مترددا على ألسنة العامة من المصريين . ويظهر أن الدخان لم يكن بلا نار .

وقد صدر ملحق الكتاب ، عن أنواع المناخ وآثاره فى أحوال الناس ، بمقدمة شائقة فى أصل كلمة « المناخ » والأطوار التى مرت بها ، والكلمة التى كان العرب قديما يستعملونها فى هذا المعنى ، وهى كلمة « إقليم » التى يرجح المؤلفان أنها معربة عن كلماتا « Klimata » الاغريقية ، التى أخذت عنها الانجليزية : كليمت « Climate » وكليم « Clime » فى الشعر ؛ وأخذت عنها الفرنسية : كليما – « Climat » وللألمان كلمتان للدلالة على هذا المعنى إحداهما كليما « Klema » ولا شك أنها تمت بأقرب الصلات إلى ذلك الأصل الأغريقى . ذلك إلى دليل آخر نسوقه لتأييد رأى الأستاذين المؤلفين ، وهو أن كلمة « إقليم » فى العربية تحمل صفات الكلمات المعربة . فالألف التى فى أولها يبدو لأول وهلة أنها مزيدة فى أصل التعريب للتخلص من البدء بالساكن الذى يستكرهه العرب . والكلمة فضلا على ذلك غير متصرفة بأفعال ومشتقات ، شأن جمهرة الكلمات العربية الصريحة النسب . وما برح الناس يبتسمون للمجهود اللغوى الذى بذلته وزارة الزراعة فى الاشتقاق من هذه الكلمة بقولها : نبات مؤقلم ، وتأقلم النبات ، وأقلمته . ولكنه يسرنا أن تكون وزارة الزراعة قد مهدت بذلك لقرار المجمع اللغوى الملكى الذى أجاز الاشتقاق من أسماء الأعيان والجواهر فى اللغة العلمية .

وبعد فان هذا الكتاب مقدمة جليلة لا لدارس الجغرافية والفلك فحسب ، بل لقراء التاريخ والمذاهب الفلسفية الشرقية والغربية .

مهدى علام

أبرا الآلهة

تاليف الدكتور زكى أبو شادى

تلحين محمود حلمى أفندى

الموسيقى فن من الفنون الجميلة وهى أشدها اتصالا بالنفس تدفع المرء الى سماء الخيال والأحلام اللذيذة ، وقد أصبحت فى وقتنا الحاضر من الكمالات الضرورية للانسان يهرع إليها فراراً من عناء العمل فيجد فيها الراحة واللذة التى ينشدها ، وكما أن الموسيقى فن هى علم كذلك له أصوله وقوانينه ، وإن قوانينها فى نظرى لمن القوانين الوضعية التى ثبتت على مر الأيام بدون تحوير أو تبديل تناقلها الخلف عن السلف كما اصطلحوا . وينقسم علم الموسيقى أقساما عدة منها « علم النغمة » وهو العلم الذى يبين معنى النغمة وكيفية عزفها بمعرفة ابتدائها وانتهائها والسير فيها ثم التفرقة بينها وبين غيرها من النغمات ثم كيفية عزفها فى الأوضاع المختلفة الممكنة . والأنغام كثيرة منها المتداول بكثرة والمستعمل قليلا لأنها لا تلائم الذوق كغيرها ، ولذلك نجد الأذن قد تنبو عن سماع النغمات الأفرنجية ، وإذا كان الأمر كذلك تبين أن الذوق هو الحكم فى جمال الموسيقى وقبحها ومن حيث أنه جد مختلف تفهم خطأ من يدعى نقص الموسيقى الشرقية من الغربيين لأنهم لم يتذوقوا حلاوة موسيقانا كما لا نتذوق حلاوة موسيقاهم وإنى لعلى استعداد تام لاثبات خصوبة موسيقانا وفضلها على موسيقاهم فليس القصور فى التلحين وقلة آلات العزف مما ينسب القصور إلى الموسيقى فى ذاتها . ومما يعنينا فى هذا البحث أن نضع تعريفا بسيطا لكلمتى الأوبرا والأبريت — أما الأوبرا فالمقصود منها رواية « درام » تمثيلية غنائية . وأما الأبريت فهى كالأوبرا غير أن الرواية من نوع « الكوميك » أعنى فكاهية ، ولقد ألف فيما ألف الدكتور أحمد زكى أبو شادى رواية الآلهة وقد لحنها الموسيقى محمود حلمى أفندى وطبع ما استحسنه من ألحانها . فرأيت أن أنقد ذلك القدر نقداً بريئا أؤدى به واجبى نحو الموسيقى التى عشت فى ظلها نحو الخمسة عشر عاما . ولكنى أرانى أتطلب من القارىء أن يفسح صدره للقول فان نقد الموسيقى مما يتطلب منه معرفة للاصطلاحات وأفانين القول فيها ولكن أعاهده على تخفيف العبء بتسهيل العبارة وتيسير الصعب من الاصطلاحات .

يجب أن نقرر بعض القواعد فنقول : الانتقال الفجائى فى كل شىء غير مستحسن وبخاصة فى الموسيقى وقد كان القدماء إذا عزفوا شيئا أو غنوا لنا طربنا لهم لأنهم يظلون فى حيز النغمة الواحدة مدة طويلة تألف فيها الأذن ذلك الطرب وتتشبع به فتستعذبه ولذلك إذا انتقل المغنى أو العازف من مقام إلى مقام (١) شعرت الأذن بذلك التغيير وأخذت تتنبه للجديد المتصل بما قبله ، ولكن منذ عشر سنوات شاع الانتقال الفجائى من نغمة إلى نغمة دون التريث فى الأولى حتى تصقلها الأذن مما جعل الآذان فى هذا الدور لا تكاد تستقر فى نغمة أو تستعذبها حتى تفاجأ بغيرها وما تكاد تتخلص من الأولى لتعرف طعم الثانية حتى تفاجأ بالثالثة وهكذا دواليك مما أدى إلى ذهاب روح الطرب من تلك الألحان وهذا ما أخذته على تلك « الأوبرا » فى ألحانها وإليك أيها القارىء ما يؤيد هذا : —

سار الملحن فى المقدمة الأولى من الرواية من نغمة « الراست » ثم انتقل إلى نغمة « العجم » ثم إلى نغمة « الحجازكار » ثم إلى نغمة « النهاوند » ثم رجع إلى نغمة « الراست » وكل هذه الانتقالات فى مقدمة موسيقية لا تستغرق فى العزف أكثر من دقيقتين . ثم انظر اليه فى مقدمته للمنظر الثانى من الفصل الثالث حيث ابتدأها بنغمة « الحجازكار » منتقلا إلى نغمة « النهاوند على الجهاركاه » ثم انتقل بعد ذلك إلى نغمة النهاوند ثم ختمها بنغمة الرصد وهذه المقدمة لا تستغرق أكثر من ثلاث دقائق ، والأمثلة على ذلك الخطأ كثيرة تتمثل فى جميع لحن الرواية ومعنى ذلك أن روح الطرب لم تظلل هذه الأنغام كما أن بها جهدا للممثل الذى يمثل دوره ومن أمثلة ذلك ترى أن الهة الجمال غنت مقطوعتها الأولى من نغمة « الرصد » والثانية من الحجازكار على مقام النواه فالراست فالحجازكار — والمقطوعة الثالثة من النهاوند فالنهاوند على الدوكاه فالحجاز دوكاه — والمقطوعة الرابعة . من الحجاز دوكاه انتهت بالحجازكار . كل هذه الأنغام لا بد للممثل من حفظها وتوقيعها بدون شائبة . وبعض هذه الأنغام متنافر وبعضها قريب من الآخر جد التقارب . والرأى عندى أنه كان على الملحن أن يختار لكل فرد من أفراد الرواية نغمة خاصة يقول منها دائما وأما هذا الخلط فهو مما لا تستسيغه الأذن . وهذه الروح فى التلحين روح الموسيقى الافرنجية وقد قدمت أنها لا تلائم الأذن الشرقية .

وبالنسخة المطبوع بها لحن تلك الأوبرا خطأ قد يكون مطبعيا وقد لا يكون وهو « زيادة ٢ كروش مما أدى إلى جعل وزن الجزء الذى به الخطأ ٣ من ٤ مع أن القطعة جميعها وزن ٢ من ٤ كما لاحظت على المقدمة التى للمنظر الثانى من الفصل الثالث أن

(١) نغمة

الوزن الأول لها ٩ من ٨ صار بعد قليل ٥ من ٤ ثم ابتدأ الشاعر لحنه من وزن ٤ من ٤ فكان الأنسب أن يكون ميزان المقدمة ٤ من ٤ لتناسب ما بعدها . ولست أرى مهمة الملحن بأقل شأنا من مهمة الشاعر فكلاهما متمم للآخر غير أنني أنعى على أولئك الملحنين نزوعهم إلى الروح الافرنجية وكثرة تركيب الأنغام وسرعة الانتقال كما بينت . وإن كانت اذن الملحن تصقل ذلك كله فلا ينسى انه إنما يقدم ذلك للشعب لا لنفسه . والنفس في الطرب لا تنطبع بطابع غير ما ألفت ، ولا تميل إلى كل جديد تنفر منه . فعلى الملحن أن يتجافى عن تقليد مافات ، ويبتكر طريقا جديدا من موسيقانا لا على أكتاف موسيقى غيرنا مما نمجه ولا نحن اليه . فشأن الملحن كالخياط يخيط لكل جسم ما يناسبه ــ لست مسرفا فيما قدمت ولا متحاملا وإنما هو الحق سجلته حتى لا أكون قصرت . ولكنى أود أن أنصف الملحن فيما أجاد لأن النقدليس معناه تتبع السيء فقط .

ببعض الألحان كثير من الجمال يدل على براعة الملحن فقد وضع قطعة موسيقية صامتة تعادل ما نسميه « البشارف » ، وقد قسمها أربعة أجزاء كلها من نغمة « النهاوند » أبدع فيها كثيرا ، وأخص الجزء الرابع بالذكر حيث أجاد في عمله نغمة « صبا » ثم رجع إلى النهاوند ثانيا متخلصا تخلصا بديعا يطرب ويشجى ـ وله قطعة رقص تعتبر « تحميله » من نغمة « الرصد » جميلة حقا لضبطها وجمال اطرابها ، وان نسيت فان أنسى ما كان في مجموع تلك الألحان شرقيا فانه كان جميلا في كل ذلك .

أما من حيث مطابقة اللحن للكلام فهو مطابق له جد التطابق بغض النظر عن الأشياء التي قدمتها وإني أهنىء الملحن باخلاص كما أتمنى أن يطرح الروح الافرنجية جانبا ، فانا قوم نريد أن نحافظ على قوميتنا فلا نذهب بها جريا وراء التقليد والشهرة .

وفي هذا القدر كفاية لأني أشعر بالقارىء وقد تبرم بهذه الاصطلاحات .

محمود حمدى مصطفى

المدرس بالمدارس الحرة

مجلة التربية الحديثة

العدد الثالث ــ السنة الثامنة

أصدرت كلية المعلمين بالجامعة الأمريكية عددها الجديد من مجلة « التربية الحديثة » وهو عدد شامل لكثير من البحوث القويمة بأقلام كتاب أعلام في مصر وأمريكا وبلاد الشرق . و « صحيفة دار العلوم » تهنىء الزميلة بافتنانها في التحرير ، وتقدمها المطرد ، وترجو لها كل ما تستحقه من تقدير وذيوع . وقد جاءنا في آخر لحظة العدد الرابع من هذه المجلة وهو كسابقه ملىء بالبحوث القويمة بأقلام أعلام الأساتذة .

القصص المدرسية

سلسلة يصدرها

سعيد العريان   أمين دويدار   محمود زهران

خريجو دار العلوم والمدرسون بالمدارس الابتدائية

القصة الأولى : مدرس اكسفورد

القصة الثانية : الصياد التائه

فى نحو ستين صفحة من حجم الجيب يقرأ التلميذ الناشىء قصة تشوقه حوادثها فيفهمها ويتتبعها ، ويجذبه أسلوبها فيحلو له أن يكرره . ونحن نعد ظهور هذه القصص فوزا عظيما للصيحات التى طالما رددناها فى قاعات الدرس ، فى فضل القصة على التعليم ، ولاسيما تعليم الصغار . والحق أننا نعيش الآن فى عصر قد أصبح للقصة فيه المقام الأول ، لا فى تعليم الناشئة فحسب ، بل فى تعليم الشعوب كذلك . ومادور التمثيل ، ودور الصور المتحركة — إن هى سارت على السنن القويم — إلا معاهد للتثقيف والتسلية .

وقد حلى المؤلفون كل قصة بعدة صور . وقد قصدوا تحقيق الأغراض الآتية من قصصهم :

(١) أن تكون وسيلة إلى تعليم الانشاء ، ولذلك جعلوا أسلوبها سائغا مفهوما ، لا يبلغ فى السمو درجة تبعث فى نفس الناشئة القنوط ، ولا ينحط فى الدنو إلى درك العامية بما يجعلها عديمة القيمة بل محققة الضرر .

(٢) أن تكون القصص وسيلة إلى تهذيب الطفل ، ولذلك اختاروا موضوع القصص من جو التلميذ بحيث يسهل عليه متابعة حوادثها من غير أن يرهق خياله .

(٣) أن تكون وسيلة إلى تسليته . ولذلك اشتملت على روح الفكاهة الطفلية التى يسر لها الأطفال ، واشتملت كذلك على صور موضحة لبعض الحوادث .

وقد جعل ثمنها خمسة مليمات ليكون فى مقدرة التلميذ أن يشتريها .

ولنا رجاء نتقدم به إلى المؤلفين وهو أن يعدلوا عن طبع قصصهم بالحبر الأزرق ، لأنه على الورق الأبيض أكثر إجهادا للعين من الحبر الأسود .

ونحن لانشك فى أن هذه القصص ستخط طريقها فى الحياة التعليمية بنجاح عظيم ؟

مهدى علام

القصـــة الثالثة

عروس الببّغاء

وصلتنا والصحيفة على وشك انتهاء الطبع القصة الثالثة من هذه السلسلة ، ولم نتمكن من قراءتها ، ولكننا نعتقد أنها أخت شقيقة للقصتين السابقتين . وربما عدنا إلى نقدها بما تستحق فى العدد التالى .

م . ع

سمير التلميذ

أرسل إلينا معهد التربية الأعداد التى ظهرت من السنة الثانية من مجلة « سمير التلميذ » التى تصدر عن معهد التربية والفصول التجريبية . وقد نظرنا فى هذه الأعداد نظرة سريعة — لأنها وصلتنا و « باب المكتبة العربية » يتنفس من بين يدى الطباع . و « السمير » صديق نافع للتلميذ ، يسيح به فى عدة مناطق من الفكر الذى يلائم حياته وعقله ، ويزوده فى خلال تلك الرحلات بكثير من المعلومات المثقفة ، كما يسليه تسلية بريئة نافعة . وفيه عدة صور جميلة مشوقة .

ولا يمنعنا إطراؤنا هذه المجلة التى سدت فراغا كبيرا فى عالم التربية ، من إبداء بعض الملاحظات التى عنت لنا فى أثناء تصفحها . فقد جاء فى مقدمة السنة الثانية العبارة الآتية من قلم التحرير إلى قراء السمير من الناشئة : « فالقراءة المفيدة ، فى أوقات الفراغ ، خير مثقف ، وأحسن مكمل لرجولتكم التى نعمل لها نحن المربين ، آملين أن تكونوا أسعد حظا منا ، وأوفر قوة على الكفاح فى الحياة . » ونحن لا ندرى لماذا نثير فى أذهان أبنائنا السعداء بطفولتهم ، الهانئين بغفلتهم عن متاعب الحياة مؤقتا ، مشكلة لا يستطيعون أن يفهموها ، ولا ينبغى لهم أن يفهموها . وإذا كان فى نفوسنا شىء من الألم يحز فيها لسبب أو لغير سبب فجدير بنا ألا نعلن ذلك لأطفالنا الأبرياء ، وجدير بنا ألا نثير فى أذهانهم فكرة عن عدم هناءتنا . إن زملائى محررى « السمير » يعلمون أكثر مما أعلم أن التلاميذ والأبناء ينظرون إلى أساتذتهم وآبائهم نظرة إجلال وإكبار ، وهى نظرة تمهد لهم سبيل الاقتداء بهم ، واعتبارهم مثلا أعلى لهم ؛ فليظلوا على

عقيدتهم هذه فان هذا أهدى إليهم من تشككهم فى القائمين على تربيتهم ، وتكليفهم وهم — فى نعومة أظفارهم — محاولة التفوق عليهم فيما ينعمون به .

كذلك أرجو أن يسمح لى أصدقائى محررو « السمير » بأن أوجه نقدى إلى قصة « الجندى السعيد » التى فى عدد اكتوبر سنة ١٩٣٤ . ولعل من حق القراء على أن ألخص لهم القصة قبل أن أنقدها .

تتألف هذه القصة من أنه كان لملك اثنتا عشرة بنتا جميلة ، وكان يلاحظ أن أحذيتهن تصبح كل يوم بالية من كثرة الاستعمال ، وأراد الملك أن يعرف سر ذلك فأعياه الأمر ، فأذاع أن من يكشف عن ذلك السر يكون وريث العرش ، ويختار من يشاء من الأميرات زوجة له . ووفق جندى إلى معرفة دخيلة الأمر . ولكن ما دخيلة الأمر ؟ هى أنه كان فى حجرة الأميرات سرداب سرى ينزلن منه إلى حيث يقابلن اثنى عشر أميرا من أجمل الأمراء كانوا على موعد معهن . فتنزل كل أميرة مع أمير فى قارب ويعبر الجميع بحيرة ، ثم يصلون إلى قصر فخم . ويقضون ليلتهم فى رقص وطعام وشراب ، وفى آخر الليل يعود الأميرات من سردابهن السرى . ثم يعلن الجندى السر للملك فيكافئه بما وعده ويختار كبرى الأميرات زوجة له ، ويأمر الملك باقامة حفلة الزفاف فى نفس اليوم .

تلك هى القصة فى أوجز عبارة ، وهى من غير شك قصة شائقة جذابة ، ولكنها لا تصلح غذاء سليما بريئا لصغار الأطفال ؛ لأن العلاقات الجنسية تتخللها من أولها إلى آخرها ، ولأن الفوز فيها ينتهى بزواج ، وأى شىء فى هذا ؟ وماذا فى رقص الأميرات وقصفهن مع الأمراء سرا ، وتحت جنح الظلام ، من مغزى صالح للأطفال ؟ حتى الدعابة البريئة ، والتسلية التربيبة لا تتحقق فى هذا الجو ، أما المكافأة بالزواج فيغنينا عن التعليق عليها أنها — فضلا عن بعدها عن عقل التلميذ — مكافأة خائبة ، وأقل ما يقال فيها أنها لا تحتاج إلى تحريض أو إيحاء ، حتى للكبار .

وإلى جانب هذا قصص كثيرة تدعو إلى الاعجاب ومنها : « إبهام » و « أندركليس والأسد » و « الكشاف السريع الخاطر » .. الخ .

ونحن نبعث بتحيتنا إلى الزميلة الجليلة ونرجو لها ما هى أهل له من التوفيق والذيوع ؟

مهدى علام

أخبار جماعة دار العلوم

محاضرة الدكتور ابراهيم مدكور

افتتاح موسم المحاضرات

لجماعة دار العلوم

افتتحت جماعة دار العلوم موسم محاضرات هذا العام ، بقاعة المحاضرات بدار العلوم ، فى مساء الجمعة ٥ ابريل بمحاضرة جليلة ألقاها الدكتور ابراهيم مدكور خريج دار العلوم وجامعة السربون ، وقد وجهت الجماعة الدعوة إلى رجال الأدب والعلم والصحافة فلبى منهم الدعوة عدد عظيم ازدحمت بهم القاعة على رحابتها . وكان يستقبل كبار الحاضرين لجنة من أعضاء نادى دار العلوم على رأسها الأستاذ الجليل نجيب حتاتة رئيس النادى .

وقد قدم المحاضر الأستاذ الكبير أبو الفتح الفقى رئيس الجماعة بكلمة نشرناها فى صدر الصحيفة ، ثم وقف الأستاذ مدكور فألقى محاضرته فى « متن اللغة العربية وسبيل توسعته » بأسلوب طلى ، وبيان جلى ، مما دل على ثقافة واسعة ، واطلاع شامل ، وقد تكلم الأستاذ عن ضرورة الاصلاح فى كل لغة حية ، وعن أوجه الاصلاح فى العربية خاصة ، ثم بسط الطريقة التى اتبعها أسلافنا فى تجديد شباب اللغة من ترجمة وتعريب ، وقد عرض على الحاضرين عدة أمثلة من ترجمة العرب للمصطلحات الأجنبية . ثم أشار إلى تقارض اللغات الأوربية بعضها من بعض ، وانتهى أخيرا إلى وجوب النظر فيما ترجمه المسلمون قديما لاقرار الصالح منه ، والعدول عما لا يصلح ، ثم أعلن رأيه فى التعريب إذا ماعجزت الترجمة ، متحدثا عن الأمل الحلو اللذيذ الذى طالما حلم به بعض العلماء من توحيد اللغة العلمية ، مؤيدا رأيه بعدة أمثلة من بحثه الشخصى . ثم غادر المنصة بين تصفيق الحاضرين وتهنئتهم .

ثم وقف الأستاذ الرئيس ابو الفتح الفقى وأعلن أن كلمة الختام للأستاذ مهدى علام فوقف الأستاذ وشكر للحاضرين حضورهم ، وهنأ الدكتور مدكور على توفيقه

فى اختيار موضوع هو فى صميم الحياة الفكرية للأمة المصرية والعالم العربى ، وعلى حسن بلائه فى معالجة الموضوع مما دل على فكر وثاب ، واطلاع شامل ، وبيان فياض ، وقال : إن الدكتور مدكور هو أحدث طبعة أوربية لدار العلوم ، وهى طبعة فاخرة كما ترون ، وإذا كان سرنا أن قدمناها إليكم ، فانه يسرنا أن سنقدم إليكم طبعات أخرى بعضها شرقى وبعضها أوربى ، وكلها من دار العلوم . ويسرنا أن تبدوا آراءكم فى هذا الموضوع الهام الذى أثاره الأستاذ مدكور . ثم ختم كلمته بقوله :

إننى أنتهز فرصة نجاح هذه المحاضرة العظيمة لأهمس فى أذن أدعياء الأدب باسم دعاته ، أن دار العلوم قد برهنت على أنها خالدة تؤدى رسالتها . وعليهم قبل أن يحاولوا الهدم أن يقدموا أدوات البناء .

أقلوا عليهم ـ لا أبا لأبيكمو من اللوم ـ أو سدوا المكان الذى سدوا

ثم انصرف كبار المدعوين إلى نادى دار العلوم وتناولوا هناك الشاى معيدين التهنئة للأستاذ ابراهيم مدكور .

رقم قياسى تسجله دار العلوم

فى الشعر والخطابة

فى مشروع القرش — وعيد الوطن الاقتصادى

يسرنا أن نعلن لقرائنا أن مباراة الشعر لمشروع القرش قد انجلت عن تفوق الشعراء الثلاثة :

(١)	محمد برهام افندى	الطالب بدار العلوم
(٢)	ابراهيم عبد الفتاح افندى	» »
(٣)	حامد الخولى افندى	» »

* * *

وفى مسابقة الشعر لعيد الوطن الاقتصادى كان جميع من نجحوا كذلك من طلبة دار العلوم ، وهم بترتيب جوائزهم :

(١) عبد الرحمن الكيالى افندى
(٢) حامد الخولى افندى
(٣) ابراهيم عبد الفتاح افندى

وكان الحائز للجائزة الأولى فى الخطابة فى عيد الوطن الاقتصادى السيد ابراهيم العجان افندى الطالب بدار العلوم كذلك .

***

و « صحيفة دار العلوم » تقدم لحضراتهم خالص التهنئة ، وتتمنى لهم ولزملائهم طلبة دار العلوم مستقبلا يحقق طموحهم . والصحيفة تقدم تهنئتها كذلك إلى هيئة التدريس بالمدرسة وعلى رأسها الأستاذ الجليل حضرة صاحب العزة احمد عاصم بك ناظر المدرسة على نجاح أبنائهم واثمار نباتهم .

المرحوم محمد عسل بك

تلقت جماعة دار العلوم نعى المرحوم محمد عسل بك بقلب ملؤه الحزن على زميل كريم ، وعالم فاضل . والصحيفة تقدم عزاءها إلى أسرته العلمية وأصدقائه فى وزارتى المعارف والزراعة .

هو ابن المرحوم الشيخ بسيونى عسل من هيئة كبار علماء الأزهر فى العصر الماضى . ولد فى بلدة قرنشو بمديرية الغربية فى سنة ١٨٧٩ فرباه أبوه تربية دينية والتحق بدار العلوم ثم تخرج منها فى سنة ١٩٠٠ وكان ترتيبه الثانى على حداثة سنه ولا سيما بالنسبة إلى ذلك العهد . ثم عين مدرساً بمدرسة الناصرية إلى أن اختير سنة ١٩٠٤ لتدريس اللغة العربية وآدابها بجامعة كمبردج فبقى بها إلى سنة ١٩١١ .

وقد انتهز فرصة وجوده بكمبردج فعكف على الدرس حتى أحرز شهادة عليا فى العلوم الزراعية النظرية والعملية وفى العلوم الطبيعية مع التخصص فى الكيمياء الزراعية .

وكان مدة إقامته بكمبردج ملجأ للطلبة المصريين كما أنه أحرز مكانة عظيمة بين الأساتذة ومنهم المرحوم الأستاذ براون المستشرق العظيم الذى اشتهر بمؤلفاته عن التاريخ والأدب الفارسى إذ كتب عن المرحوم عسل بك عدة خطابات إلى نظارة المعارف كلها تقدير عظيم وإجلال وثناء . كما أن الفقيد أحرز منزلة كبيرة بين طلابه ومنهم بعض كبار موظفى دار المندوب السامى الحاليين والسابقين فحفظوا له الود والتقدير إلى آخر حياته ولم ينسوا فضله عليهم أيام كانوا يتلقون عليه دروس اللغة العربية بكمبردج .

وفى سنة ١٩٠٥ كان أحد أربعة ممثلوا الحكومة المصرية فى مؤتمر المستشرقين بمدينة الجزائر وهم المرحوم سلطان بك عن دار العلوم والمرحوم الشيخ عبد العزيز بك جاويش عن جامعة اكسفورد والمرحوم عسل بك عن جامعة كمبردج والمرحوم الدكتور حامد والى عن جامعة برلين .

ولما عاد إلى مصر عين مفتشا بوزارة المعارف إلى أن اختارته وزارة الأشغال العمومية فى سنة ١٩١٤ ليكون رئيساً للقلم الافرنجى بها . وفى سنة ١٩١١ تفضل المغفور له السلطان حسين فاختاره محرراً انجليزيا بالديوان العالى مع من اختار فى تلك السنة من نوابغ المصريين .

وفى سنة ١٩١٩ رفعت وزارة الزراعة فى عهد المرحوم عبد الرحيم صبرى باشا مذكرة إلى مجلس الوزراء بضرورة رفع مستوى التعليم الزراعى وبنقل المرحوم عسل بك ليكون مفتشاً لهذا بوزارة الزراعة .

ثم تقلب الفقيد فى عدة وظائف فى وزارة الزراعة منها وظيفة سكرتير مجلس مباحث القطن ومنها وظيفة مدير قسم النشر والترجمة ووظيفة المفتش الأول للوزارة . فكما أثبت رحمة الله عليه فى أوائل حياته العلمية أنه لم يقتصر على الاستعداد للتدريس بل تناول وجهات أخرى علمية كذلك أظهر فيما تقلد من الوظائف فى وزارة الزراعة فضلا عن الكفاءة العلمية النادرة كفاءة عظيمة فى الأعمال الادارية شأن الرجل الذى نال قسطا وافراً من العلم الصحيح وأما آثاره العلمية الزراعية قبل اشتغاله بوزارة الزراعة وأيام اشتغاله بها فمنها ترجمة كتاب فى الكيميا الزراعية يدرس فى مدرسة الزراعة العليا وقد وضع فيه المصطلحات العلمية باللغة العربية فأصبحت مرجعاً وأساساً ثابتا إلى الآن . ومنها المصطلحات الخاصة بجميع العلوم الزراعية الواردة فى تقريرات مجلس مباحث القطن وغيره من الأبحاث والمطبوعات . وأما آثاره فى الأعمال الادارية فان الوزارة لما أنست فيه الكفاءة المتعددة النواحى والدقة والاستقامة اختارته مراقباً لادارة المخازن والمشتريات والمصانع فنهض بهذه الوظيفة ووضع أسساً قويمة أقامها على التوفيق بكفاءته الشخصية بين الوجهة الفنية الزراعية والوجهة الادارية المالية إذ كان يدرس حاجات الأعمال الزراعية فى مختلف الأعمال والأقسام ويقرر أساليب تنفيذها فيما يساير المقتبسات الفنية .

وقد ظل مثال النشاط الدءوب والعمل المثمر حتى اختاره الله إلى جواره فى ٧ فبراير سنة ١٩٣٥ تغمده الله برحمته .

بريد الصحيفة

فى الروح

جاءتنا رسالة ضافية من الأديب محمد عبده الهنداوى الطالب بدار العلوم وهى فصل من فصول رسالة وضعها فى (الروح) . يحتوى ذلك الفصل على تاريخ المذهب الروحانى والأطوار المختلفة التى تقلبت فيها كلمة (الروح) قديماً وحديثاً فى الشرق وفى الغرب. ثم عرج على تعريف الروح . واستخلص من كل ذلك تعريفا ارتضاه ورأيا رجحه . فأبان عن رجاحة فى التفكير . وشخصية فى البحث . فالصحيفة تغتبط بمثل هذه البحوث لناشئة دار العلوم وترجو لهم المزيد فى هذا النشاط المحمود والجهد المشكور . ولولا ازدحام هذا العدد بمواده لسرنا أن ننشرها .

دار العلوم تحي عيد الميلاد الملكى

أقام نادى دار العلوم حفلة جميلة إحياء لعيد الميلاد الملكى السعيد بدار النادى ومن الكلمات التى ألقيت قصيدة الأستاذ ابراهيم مأمون . وقد جاء فيها :

جرى الشعب للشأو البعيد فجازه ولم يثنه صعب ولم يعيه وعر
تعهده مولى البلاد بعطفه فلله مولى فى رعيته ذخر

* * *

أبا الملك والدنيا تبايع ربها يبايعك الوادى وأنت ابنه البر
نظرت إلى الأعياد لم أر بينها كيومك عيد وهى بين الدنا كثر

فى حفلة الألعاب الرياضية بأسوان

جاءنا من حضرة الشيخ عبد الرحمن نصر الدين المدرس بمدرسة أسوان الأميرية يصف لحفلة الرياضة التى أقيمت فى ٦ ابريل بحضور سعادتى محمد طاهر باشا ومحمد حسين بك الأمين الثانى لجلالة الملك . وفيما يلى أبيات من قصيدته التى ألقاها فى ذلك الحفل :

جلالة الملك :

فهو فى مصر ربيع دائم　　توج القطر بتيجان الرخاء
قد بنى الشعب بناء شامخا　　صير العلم أساسا للبناء

فضل المعلمين :

شاد صرح العلم قوم أخلصوا　　قتلوا الجهل وواروه الثراء
نغرس الغرس ونسقيه الدما　　نبذل النفس وذا أقصى السخاء

صور من الريف

من قصيدة لحضرة فرحات عبد الخالق افندى خريج دار العلوم والمدرس بالمدارس الابتدائية .

رب نخل تناوحت باسقات　　فى قراه وفى سفوح الجبال
وعلى الضفتين للنيـل قامت　　وحواشى المروج والأدغال
أهى أعلامه ترف عليـه　　خافقات بنيل الاستقلال ؟ .
أم قلوب بحبـــه خافقات　　مشرقات ببـــارق الآمال

قيثـــارتى

من قصيدة طويلة

لمحمد يوسف المحجوب

المدرس بمدرسة محمد على الملكيه للبنات بالقاهرة

يا ريف مصرَ ،لدى واديك قد نَبُهَتْ أرواحُنـا ، ونمـــيرُ الشعر أرْوَانا
درجتُ فى قريتى طفـلا فعوَّدنى جمالُها أن أُطيـلَ الفِكر إمعانا
حتى اختزنت بأضــــلاعى عوارفَهَا فالآن أُشْبِـعُ فيهـا القولَ عرفانا
دَيْنٌ عَلَى مهجتى أقضيه ، معتـذراً إن لم أف الدَّيْنَ بالأشعار شكرانا

***

نشأتُ للمجـد وثاباً ، فما عصفت بى مُصْبِيَاتٌ ، ولا طاوعت شيطانا
مُعَلماً رحتُ من فجر الصبا فَطِناً لواجبى ، أبْنِى للجيـــل أعوانا
ومَنْ ترى مثـل بَنَّاءِ النهى شرفاً ؟ سل خاتمَ الرسل ، سل عيسى ولقمانا
رِسـالةٌ فَـذَّة ، نُغْلِى مكانتَها فينا ، فنُرْخِصُ أرواحاً وأبدانا
دَيْنٌ نؤديه ، لمْ ترْقُبْ ضمائرُنا فيــه سوى خالق الأكوانِ ديَّانا

***

قضيت فى الريف أعواماً أُثَقِّفُهُ فـلم أصادفْ لمـا أرجوه أذهـانا
ولم أجـد فى ظلال الريف منتجعاً لمَنْ غـدا نَهِماً بالعـلم غرْثانا
فيـه الجمال ، ولـكن لست أحْفِلُهُ إن لم يكن بجمال للعـلم مزدانا .

مؤتمر المدرسين الفنيين
بالمدارس الحرة

كثرت المدارس الحرة فى البلاد حتى قارب عددها تسعمائة مدرسة ، وكان أصحابها يستقلون بأدارتها ، ولم يكن للوزارة إشراف عليها إلا من مرور المفتشين عليها مرة كل عام.

ولكن الوزارة رغبة منها فى الاشراف على هذه المدارس إشرافا تاما ، وضعت قانون التعليم الحر ولما لمس المدرسون نية الوزارة فى الاصلاح أرادوا معاونتها فى معرفة أدواء المدارس واقتراح وسائل العلاج قدر ما يستطيعون ، وقام أبناء دار العلوم فى هذه المدارس بتنظيم حركة من شأنها أن تساعد على إصلاح تلك المدارس ، وكان أول ما عملوا أن وضعوا مذكرة وافية وقدموها لمعالى الوزير برفقة رئيسهم الكبير الأستاذ أبى الفتح الفقى ، فوعدهم معاليه بدرسها وتحقيق ما يمكن تحقيقه منها .

وكان من أثر حركتهم أن انضم إليهم إخوانهم خريجو المعلمين العليا والثانوية ومعهد التربية وقدموا مذكرة أخرى باسم جماعة المعلمين العليا بالمدارس الحرة.

وقد اتجهت الفكرة بعد ذلك إلى عقد مؤتمر يجمع المدرسين الفنيين بالمدارس الحرة جميعها وأصحاب المدارس الفنيين .

وبالرغم من ضيق الوقت استطاعوا عقده يوم الاثنين الموافق ١٨ من مارس سنة ١٩٣٥ برياسة الأستاذ احمد فهمى العمروسى بك بقاعة يورث التذكارية بالجامعة الامريكية .

وقد دعوا للمؤتمر كبار رجال التعليم فى الوزارة ، ومثل جماعة دار العلوم فى المؤتمر الاستاذ الجليل ابو الفتح الفقى ، ولم يكد يطالع المؤتمرين حتى دوت القاعة بالهتاف والتصفيق تحية له .

وفى تمام الساعة التاسعة صباحاً حضر الرئيس العمروسى بك وافتتح الجلسة الأولى بالكلمة الآتية :

خطبة الرئيس

أيها السادة : لقد أولتنى اللجنة التنفيذية لاتحاد المدرسين الفنيين بالمدارس الحرة شرفاً عظيما إذ عهدت إلى أن ألقى كلمة الافتتاح فى هذا المؤتمر ، وهو أول مؤتمر عقدته طائفة محترمة من المدرسين الفنيين الذين يزاولون مهنة التدريس بالمدارس الحرة فى مصر ، بعد أن خبروا أحوال تلك المدارس زمناً ، ووقفوا بأنفسهم على مواطن النقص فيها ، وقد قاموا قومة رجل واحد لمعالجة هذه المشكلة الخطيرة من جميع نواحيها ، ومطالبة أولى الأمر بالعمل على ملافاة هذا النقص وإزالة أسبابه حرصاً منهم على سلامة المجتمع ، وصوناً لطائفة من أبناء الأمة من أن يظلوا يرسفون فى قيود تلك النظم العتيقة البالية .

وإنى بكل صراحة وإخلاص أشكر لهم ما بذلوا من جهود ولاقوا من صعوبات فى درس هذه المشكلة العويصة .

وإن رأيتم أيها السادة أنهم طالبوا بتحسين حالهم مادياً وأدبياً ضمن المطالب الأخرى فلأن ذلك عامل من أهم العوامل فى ترقية صناعة التربية والتعليم والوصول إلى تحقيق الفكرة السامية التى قصدوا إليها من وراء إقامة هذا المؤتمر ، وهى اصلاح المجتمع المصرى من ناحية إصلاح التعليم الحر .

إن المدرس الحديث يجب أن يكون رجلا اجتماعيا ملما بأحوال المجتمع الذى يعيش فيه ، ويقف على ما فيه من علل ليعمل على معالجتها واستئصال جذورها من قلوب النشء من بدء حياته .

أما ذلكم المدرس الذى يقصر همه على صحائف الكتب دون صحائف الحياة فعلم عقيم لا يؤتى ثمراً ، ولا تجنى البلاد منه خيراً ، وإن بلغ فى مادته الذروة ، لذلك أحببت هؤلاء الشبان ، وأعجبت بتضافرهم وتضامنهم على العمل لما فيه مصلحتهم ومصلحة البلاد ، وجئت اليوم معهم مشاركاً لهم فى الفكرة ، ومتضامنا معهم فى المسعى راجياً لهم التوفيق والنجاح .

لقد قضيت حياتى مدرسا فما ازددت إلا نقداً لمركز المدرس وتقديساً لمهنة التدريس ، وإلى حضراتكم ما سمعته بأذنى ، ووعيته بقلبى من خطبة لرئيس عصبة الأمم عن مركز المدرس ومكانة مهنة التدريس بين المهن الأخرى ألقاها على أعضاء مؤتمر التربية الخلقية الدولى الذى عقد بمدينة جنيف من أعمال سويسرة سنة ١٩٢٢

ى كنت منتدبا فيه عن الحكومة المصرية مع المرحوم اسماعيل حسنين باشا . جاء فيها :

« إننا جميعا نحب السلام للعالم ونود أن نعمل على منع الحرب فى المستقبل ، كن الأمر ليس بملكنا ، ولا فى أيدينا ، وإنما هو فى يد المعلم لأنه هو الذى طيع دون غيره أن يهذب غريزة الطمع فى الأطفال ، ويعمل على استئصال شأفتها قلوبهم على مر الأيام والسنين » .

فالمدرس اذاً هو المسيطر على مستقبل الأمم والمدير لدفة العالم .

٭ ٭ ٭

وبعد أن انتهى عزته من إلقاء خطابه القيم أخذ مكانه بين عاصفة من التصفيق لاستحسان .

ثم تقدم الأستاذ أمير بقطر الأستاذ بالجامعة الأمريكية فألقى بحثاً مستفيضاً عن عليم الحر فى الخارج ووازن بينه وبين نظيره فى مصر .

وأعقبه الأستاذ عبد السميع حسين المدرس بالتوفيق القبطية الثانوية وانتقد قانون عليم الحر وأبان عما فيه من نقص ومرونة .

وتكلم بعده الأستاذ محمد عبده المدرس بمصر الثانوية عن وجوب حماية مهنة دريس أسوة بالمهن الأخرى كالمحاماة والطب .

وقام بعده الاستاذ نظمى قنصوه المدرس بالطائفة الاسرائيلية وتكلم عن أنواع دارس الحرة وماليتها .

ثم ارتجل الأستاذ مظهر سعيد المدرس بمعهد التربية خطبة ضافية عن ذكرياته التعليم الحر ، ووازن بين حالة المدرس فيه قديماً وحديثاً .

وتلاه الاستاذ عبد الرحمن عليم المدرس بالفرير وتكلم عن علاقة المدرس برؤسائه . الاستاذ عبد الستار عبد الغنى بمدرسة الاستقلال عن « التلميذ بالمدارس الحرة » ثم قف الاستاذ محمود سامى مدير مدارس المبتديان وألقى خطبة فياضة ، وسرد عيوب لمدارس الحرة ، والروح التجارية التى تسودها والمنافسة الدنيئة بين أصحابها ، واقترح تكوين مجلس إدارى يشرف على حالة المدرسة العلمية والمالية من الناظر والمدرسين لفنيين بالمدرسة . فصفق له الحاضرون طويلا وأعجبوا بصراحته وحبه للأصلاح وانضمامه إلى المدرسين الفنيين ، ومناداته بوجوب اتحاد المدرسين وأصحاب المدارس حتى يعملوا جميعاً على رفعتهم .

وتكلم بعده الاستاذ حلمى ميخائيل المدرس بالتوفيق القبطية عن « التربية الخلقية بالمدارس الحرة » . وتكلم الاستاذ عبدالسلام نصار المدرس بعابدين الخيرية عن موضوع « الامتحانات بالمدارس الحرة » . وتلاه الاستاذ محمد ابراهيم جبر المدرس بجامعة المحبة وتكلم عن وجوب إنشاء مدارس نموذجية تمدها الوزارة بالمال

وألقى الأستاذ صالح قدور كلمة شرح بها الغرض من اتحاد المدرسين لصالح التعليم .

وكان ختام الجلسة بحثا قويما للاستاذ عبدالوهاب حموده أستاذ الخطابة بكلية الحقوق وازن فيه بين المدرس الفنى ، بالمدارس الحرة وبينه فى المدارس الاميرية وأسهب فى شرح الاعباء الملقاة على عاتق المدرسين فى المدارس الحرة ، واثنى على جهودهم ، وبين أن هذه الاحمال الثقيلة خلقت منهم رجالا ذوى خبرة وكفاية مما كان سببا فى خلق تلك النتائج الباهرة ، من تلاميذ لفظتهم المدارس الاميرية لضعف قواهم العقلية وعجزها عن مداواتهم

فقوبلت كلمته بعاصفة من التصفيق والاستحسان

واتخذ المؤتمرون القرارات الآتية التى وافقوا عليها بالاجماع

(١) مطالبة وزارة المعارف بتحقيق ما جاء فى مذكرتى دار العلوم والمعلمين العليا بشأن إصلاح التعليم الحر

(٢) مساواة المدرس بالمدارس الحرة بزميله بالمدارس الاميرية فى المرتب وتحديد عدد الحصص بأن تكون ١٨ فى الثانوى و ٢٢ فى الابتدائى

(٣) تنفيذ ما جاء بالقانون خاصا باستخدام الفنيين ، ومراعاة أن يكون الناظر فنيا

(٤) الا يعين مدرس فى المدارس الاميرية إلا ممن يشتغلون بالمدارس الحرة على أساس الاقدمية

(٥) تحديد مصروفات التلاميذ منعا للمساومة غير المشروعة

(٦) مضاعفة الاعانة للمدارس الحرة التى يديرها فنيون مع إرجاع إعانة الكفاية لما كانت عليه سابقا (٤٨) للمدرس على أن تصرف لكل مدرس فنى شخصيا

(٧) وضع أسس جديدة عادلة لتوزيع الاعانة .

(٨) تأليف مجلس ادارة من ناظر المدرسة وبعض المدرسين الفنيين للاشراف على المدرسة علميا وماليا

(٩) عقد امتحان لغير الفنيين فى المواد التى يدرسونها لايدخله الا من قضى سبع سنوات فى التدريس بشرط أن يكون حائزا للبكالوريا أو ما يعادلها على أن يكون مدرسا بمدرسة ابتدائية فقط .

(١٠) عقد المؤتمر سنويا وتخصيص اسبوع يطلق عليه اسم اسبوع التعليم الحر واختيار احدى الجرائد لنشر البحوث الخاصة باصلاح التعليم الحر .

(١١) رفع هذه القرارات إلى الاعتاب الملكية ودولة رئيس الوزراء ومعالى وزير المعارف ؟

نادى دار العلوم

كان اليوم الأول من عيد الأضحى المبارك فرصة أتيحت لخريجى دار العلوم ، فقد وجدوا من ناديهم مكانا يتسع للقائهم هم وأصدقائهم . وهناك يتبادلون التهانى ويشعر كل منهم كأنه فى داره .

وكم كان داعياً إلى الغبطة أن يرى أبناء دار العلوم مثل هذه الفرصة التى جمعت بين شيوخ الدار وشبانها من خريجى ستين عاما .

وقد فتح النادى لذلك سجله ليوقع كل باسمه . وكان من بين الذين تشرف النادى بحضورهم من أبنائه حضرات الأساتذة الشيخ احمد ابراهيم بك وكيل كلية الحقوق ، والشيخ احمد الاسكندرى عضو المكتب الفنى بالمعارف وعضو المجمع اللغوى الملكى ، والشيخ مصطفى عنانى المفتش الأول للغة العربية بالمعاهد الدينية ، والشيخ عبد الرزاق القاضى بك نقيب المحامين الشرعيين ، والشيخ احمد أبو الفتح بك الأستاذ السابق بكلية الحقوق ، وغيرهم من الأساتذة الأعلام .

وقد كانت فترة طويلة تلك التى قضاها أبناء دار العلوم فى ناديهم بين سمر الحديث وطيب التهانى . ووجدوا فى هذا النادى الذى لم شمل هذه الأسرة تحقيقا لأمل طالما نشدوا الأيام تحقيقه وأعادوا ذكريات قديمة كريمة لنادى دار العلوم القديم .

ولم يفت المجتمعين أن ينتهزوا هذه الفرصة فرصة أول اجتماع كبير لهم فيبرقوا إلى

حضرة صاحب المعالى كبير الأمناء بالولاء والدعاء لجلالة الملك ولولى عهده المحبوب . ولقد كان للنادى فرصة حظى فيها بزيارة الكثيرين من كبار الرجال من أصدقاء أعضائه نذكر هنا من تحضرنا أسماؤهم منهم علنا بذلك نوفيهم قليلا من شكر لهم علينا أداؤه كاملا :

الدكتور أحمد ماهر	وزير المعارف الأسبق
أحمد عاصم بك	ناظر دار العلوم
محمد كمال بك	مدير قسم بمصلحة التجارة والصناعة
ابراهيم درويش بك	مراقب الإدارة بوزارة المعارف سابقا
محمد صادق جوهر بك	مراقب تعليم البنات بوزارة المعارف
الدكتور حسين زهدى	كبير أطباء وزارة المعارف
الأستاذ محمد أمين لطفى	مراقب المشروعات بوزارة المعارف
« عبد الحميد العجاتى	المراقب المساعد للتعليم الأولى
« غانم محمد	المفتش بوزارة المعارف
محمد فهيم بك	المراقب المساعدللتعليم الثانوى

مكتبة النادى

أصبح فى مكتبة النادى بضع مئات من مؤلفات الاعضاء وإهدائهم . وإدارة النادى حريصة على أن تزودها بالكثير من الكتب ولن تقف فى ذلك عند غاية . وقد أرسل إليها عدد كبير من أبناء دار العلوم بمؤلفاتهم ، كما انضم إليها خمسة وستون مجلدا من مكتبة « نادى دار العلوم » القديم كانت عند الأستاذ الشيخ عبد الخالق عمر . وقد أهدى حضرة صاحب العزة الاستاذ احمد عاصم بك ناظر دار العلوم أربعة وستين كتابا للمكتبة والنادى يقدم لعزته ولحضرات المهدين أخلص شكره .

صحيفة دار العلوم

فهرس العدد الرابع

بحوث فى اللغة

فى عالم التربية